
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي



الأُمومة في شعر جليلة رضا

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي

الملخص :

يسعى هذا البحث الى الوقوف عند أُمومة إحدى الشاعرات المعاصرات ومدى تعبيرها عن هذه الغريزة ، وهي ترعى وليدها المريض . واقتضى البحث الإشارة الى عاطفة الأمومة عامة ، وسيرة الشاعرة جليلة ، واستخلاص عواطفها من خلال دواوينها وسيرة حياتها وهي (صفحات من حياتي) .

(١)

الأُمومة غريزة لدى الإنسان والحيوان وربما بعض النباتات ، لأنها تمثل الأنوثة الحقة في حب الأبناء والحنو عليها منذ ان يروا الحياة . وكانت الأمومة في القديم نظاما تعلو فيه مكانة الأُم على مكانة الأب ، ولكنه انحسر بتقدم الحياة ، وأصبحت الأمومة تطلق على تربية الأولاد ، والعناية بهم والحنو عليهم .

إن حب الأبناء أسمى ما تصبوا اليه المرأة بلْه الرجل ، وفي كتاب (العقد الفريد) باب (حب الولد)[١] وفيه ذكر ما للأمهات والآباء من حب وعطف على الأبناء . وجاء مثل ذلك في كتب التراث العربي ودواوين الشعر ، وتمثلُ الحب لدى المرأة العربية بما كانت تقوله لوليدها من شعر يتجلى في :

---

[١] ينظر العقد الفريد ج١ ص ٤٣٧ .

أولا : الترقيص ، وهو ما تقوله الأم عندما تحمل وليدها وترقصه بين يديها ، وكانت أشعار الطفولة أو إشعار الترقيص ((من الفنون التي احتضنت بها المرأة ، فتحنوا على أولادها ، وتعنى بتثقيفهم))[٢] . ومن ألوان ذلك الترقيص قول صفية بنت عبد المطلب في توجيه أبنائها :

يا رب أمتعني ببكري الأولِ | بالماجدِ الفياضِ والمؤملِ[٣]

وقول أُم جرير في ترقيص ولدها جرير :

قصصتُ رؤياي على ذاك الرجلْ | فقال لي قولا وليت لم يقلْ

لتلدنَّ عضلة من العضلْ | ذا منطق جزل اذا قال فصلْ

مثل الحسام العَضْب ما منه فصل | يعدل ذا الميل ولماً يعتدل[٤]

٢ ـ الدعاء للولد ، كقول ضباعة بنت قرط لابنها سلمة الذي لحق برسول الله محمد ـ ﷺ ـ بعد الخندق :

اللهم رب الكعبة المسلمه | أظهر على كل عدو سلمه

له يدان في الأمور المبهمه | كف بها يعطي وكف منعمه

أجرأ من ضرغامة في أجمه | يحمي غداة الروع عند الملحمه[٥]

٣ ـ الرثاء حيث بكت الأمهات على أولادهن ، وعبرن عن لوعتهن شعرا وكان موت الابن من افجع الفواجع ، وقد سُئلت أعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إنّ فقدي إياه أمنني كل فقد سواه ، وإن مصيبتي به هوّنت عليّ المصائب بعده ، ثم أنشأت تقول :

---

[٢] معجم ديوان أشعار النساء في صدر الاسلام ص ١٠ .

[٣] المصدر نفسه ص ١٠٠ .

[٤] المصدر نفسه ١٩٠ .

[٥] المصدر نفسه ص ١١٢

كنت السواد لمقلتـــي ... فعمـــى عليـــك الناظـــرُ

مَنْ شاء بعدك فليمت ... فعليـــك كنـــت أحـــاذر

ليتَ المنازلَ والديـــا ... رَ ، حفائـــر ومقابـــر

إني وغيري لا محـــا ... لة ، حيث صرت لصائر[٦]

ومن أفجع الرثاء ما قالته أم تأبط شرا أو أم السليك بن السلكة ، وقد هرب من الطاعون فهلك :

طافَ يبغي نجـــوةً ... مـــن هـــلاك فهلـــك

ليتَ شعري ضلـــة ... أي شـــيء قتلـــك[٧]

ومن ذلك قول عمرة الخثعمية ترثي ابنيها[٨] ، وقول امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ترثي ولديها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة ، وكان رثاؤها مؤثرا لكل من سمعه ، وقد طرق مسامع الإمام علي بن أبي طالـــب_ عليه السلام_ وعلـــم بقصة الولدين فقال: ((اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسل عقلـــه)) واستجاب الله ـــ تعالى ـــ دعوه الإمام ، ومظلمة الأم[٩] واستمر رثاء الأبنـــاء حتى اليوم ، ومن الشواعر اللواتي كان لهن شعر عـــائلي عائشـــة التيموريـــة (١٨٤٠ ــ ١٩٠٢ م) وقد رثت ابنتها (توحيدة) التي ماتت صبية[١٠] ، وتهللت فرحا يوم ختان ولدها ، واشتاقت اليه فحيته بقصيدة.[١١]

---

[٦] ينظر الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام ص١٠٩، ورثاء الأبناء في الشعر العربي ص ٦٥

[٧] ينظر شرح الحماسة للمرزوقي ج٢ ص ٩١٤ .

[٨] ينظر المصدر نفسه ج٣ ص ١٠٨٢ .

[٩] ينظر معجم ديوان أشعار النساء في صدر الاسلام ص ٢٠٥ ، ورثاء الأبناء في الشعر العربي ص ٦٤ .

[١٠] ينظر شاعرة الطليعة عائشة تيمور ص ١٣٥ ، ونسمات واعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر ص ٢٦ .

[١١] شاعرة الطليعة عائشة تيمور ص ١٢٠

ورثت الدكتورة سعاد الصباح ابنها رثاء يثير عاطفة كل أُم ، وأصـــدرت مراثيها بديوان (إليك ياولدي) وفيه صورت حزنها وحزن كل ما في البيت على الفقيد ، وسؤال أصدقائه ، وأخته عنه[12]. تقول:

لاتَسلْ عن لون مأساتي ومجرى عبراتي

لوعة لم تدرها قلبي ثكالـــى الامهـــات

ولدي كان حبيبي ورجائـــي وحياتـــي

ولدي كان ابي كان اخي بل كان ذاتي[13]

وتمنت لو انَّ أمها وأدتها عند ولادتها لكي لاتشهد وفاة ابنها ، وتمنت لو أنهـــا زفت الى القبر يوم عرسها[14] .

٤ – المناغاة : ومن ذلك مناغاة نازك الملائكة ولدها البراق[15] ، ورزقت لميعه عباس عمارة بأربعة أطفال قطعوها عن القراءة والكتابة مدة طويلة ، ولها فيهم ثلاث قصائد عبرت فيها عن أمومتها[16]. وللحاجة صابرة محمود العـــزي[17] قصيدة (ولدي)[18] وقصيدة (ندى)[19] وهي حفيدتها التـــي حمـــدت الله علـــى سلامتها حين شفيت من العملية الجراحية ، وحيت الدكتور سعد الوتري الـــذي أجرى العملية بنجاح.

---

(١٢) ينظر اليك ياولدي ص ١٠ ، ٣٧ .

(١٣) المصدر نفسه ص ٥٢ .

(١٤) المصدر نفسه ص ٤٤ .

(١٥) ينظر شجرة القمر (ديوان نازك الملائكة ج٢ ص ٥٥٦)

(١٦) ينظر الزاوية الخالية ص ٥٧

(١٧) اسمها الحقيقي خديجة محمود علي العزي . (ينظر نفحات الايمان ص ٦) .

(١٨) ينظر نفحات الايمان ص ١٤١ .

(١٩) ينظر نفحات الايمان ص ٤٣ .

وهناك الكثيرات اللواتي عبرن عن الأمومة بقصائدهن وكتاباتهن ، وهذا يدل على تأصل غريزة الأمومة في الأنثى ، وإنْ شغلتها هموم الحياة.

(٢)

وكان رثاء الأمهات بعد رحيل إبنائهن مما ذكرته كتب التراث والدواوين معروفا، ولكن مايتصل بسيرة حياة الأبناء وملازمتهم قليل ، وقد شهد القرن العشرون شاعرة تابعت حياة ابنها منذ ولادته حتى رحل عنها مشيعا بالألم والحزن العظيمين. وتلك الشاعرة هي جليلة فؤاد رضا التي ولدت في الدرب الأحمر بالقاهرة في الثلاثين من كانون الأول سنة ١٩١٦ م[٢٠] وكانت أخر العنقود اذ سبقتها شقيقتان هما: فاطمة ونعمات ، وأخ هو إبراهيم الذي كان أبوه يحبه حبا جما ، وينفذ رغباته ، ومن ذلك انه باع البيوت التي يملكها في الدرب الأحمر تنفيذا لرغبة ولده إبراهيم عندما كبر . تقول جليلة : ((لقد كانت رغبات أخي أوامر عند والدي ينفذها راضيا . لم يكن أبي قاسيا على بناته ، بل كان يعاملنا بحنان ورفق ، غير اني كنت أحس دائما أنني (فوق البيعة) ، رغم انه لم يقصر في حق من حقوقي مطلقا ، ولكنه كان كثير الحديث مع شقيقتيّ قليل الكلام معي ، وربما لأنني كنت صغيرة ، وربما لأنني لم أكن أحسن الحديث وإبداء التعاطف معه))[٢١] .

أدخلها أبوها في مدرسة قريبة من بيتهم ، وعندما بلغت العاشرة من عمرها ، انتقل والدها الى بلدة (الفشن) في الصعيد ، ودخلت في المدرسة الوحيدة في تلك البلدة ، ونقل أبوها بعد عام الى الإسكندرية رئيسا للقلم المدني بالمحكمة الأهلية ، فالتحقت بمدرسة (العروة الوثقى الابتدائية) .

---

[٢٠] مجلة الهلال (حزيران ٢٠٠٤)ص ١٣٩ ، وقيل انها ولدت في الاسكندرية سنة ١٩٢٠م).

صفحات من حياتي ص٩ ، وتنظر ص [illegible] في تسميتها وتسمية مؤلفيه [illegible] ومستقبلها

وتفتقت أنوثتها وهي في الثالثة عشرة من عمرها ، وأحبت شاباً في التاسعة والعشرين من أصل جزائري ينتمي الى الحامية الفرنسية في ذلك الوقت ، وما كان من أبيها إلا أن يدخلها في مدرسة الراعي الصالح (البون باستور) بشبرا في القاهرة ليقطع صلتها بمن أحبت .

التحقت بالمدرسة وكانت تقضي فيها العطلة الصيفية ، تقول : ((وعرفت ان أهلي اتفقوا مع المسؤولين بالمدرسة على أن أقضي الأجازة فيها بلا خروج ، معنى هذا أني لن أسافر الى الإسكندرية ، ومعنى هذا أني لن اذهب الى شقيقتي بالقاهرة ، معنى هذا ان حجري بالمدرسة هو في نظر أهلي الطريق الأسلم لي ولهم))[٢٢] .

وفي العام الثالث من بقائها حبيسة في المدرسة التي أتقنت فيها الفرنسية وطرفاً من العربية انتقل أبوها الى القاهرة ، واتخذ سكناً في الحلمية الجديدة فانتقلت الى بيت أسرتها في بداية العام الرابع من دراستها . وضاقت بها الحياة وأرادت ان تغير دينها الإسلامي لتصير راهبة ، ولم تُقبل لأنها لم تبلغ الرشد ونصحها الراهب بأن تعود الى أهلها ، وقال : ((عودي يا ابنتي الى دينك ولأهلك ، لاتكوني سبباً في جلب المشاكل لنا))[٢٣] .

وتزوجت من محمد مصطفى الدرديري الذي درس القانون في سويسرا ، وعين بعد عودته الى القاهرة موظفاً بالسلك النيابي ثم القضائي ومكثت هي وزوجها في القاهرة عامين ثم انتقل الى (قنا) وأنجبت (ثريا) و(جلال) ، ثم انتقل الزوج الى (سوهاج) ثم الى (قوص) و(أسيوط) . وكانت تقضي الوقت بالقراءة حين يغيب الزوج طويلاً ليؤدي عمله المتواصل في

---

(٢٢) المصدر نفسه ص ٢٩ .

(٢٣) المصدر نفسه ص ٣٠ .

القضاء . وضاقت بحياتها وطلبت الطلاق بعد عشر سنوات من زواجها . ولم تنفع معها النصائح ، فطلقت ، واحتضنت طفليها تحت جناحيها بعد ان امتلكت حريتها ، تقول : ((لقد امتلكت حريتي فماذا أنا صانعة ؟ هل اخرج ، وأين اذهب ؟ وأنا لا أحب الخروج ولا استطيع أنْ أترك الأولاد بلا رقيب ... بدأت أتبين الحقيقة ، أنا لم استفد شيئا بانفصالي من زوجي ، ومع ذلك لم أندم ... ولماذا الندم ما دمت أنا وحدي الخاسرة ، لقد آذيت نفسي ولم أجْنِ على أحد . إنّ زوجي سيرتبط بزوجة أخرى تستطيع ان تسعده ، بل لقد ارتبط بها فعلا وعاش بقية عمره مستريحا ، وإن ظل الى آخر لحظة يلهج باسمي ويذكرني في حنين وحب))[٢٤] .

سكنت بعد انفصالها من زوجها في (شبرا) ، وبدأت تنمي ثقافتها وقيدت اسمها بدار الكتب المصرية ، وبدأت تستعير منها الكتب العربية والفرنسية ، وفي عام ١٩٥٢م ألمَّ بها مرض في الأمعاء ، فراجعت إبراهيم ناجي ، وتوثقت بينها وبينه[٢٥] ، وعرضت عليه ما ألفت من أغانٍ ، وعرضت بعضها في زيارتها الثانية ، وقرأ :

مضت الأيام تجري	بين هم وعذاب
وسهرت الليل وحدي	في شجون واكتئاب
لم يكن قلبي يحوي	غير آمال كبار
كفراش حائرات	بين ليل ونهار
كنت كالزهرة حُسْنا	كل ما حولي نعيم
أنشد اللهو وأسري	بين طيات النسيم

---

[٢٤] صفحات من حياتي ص ٤٥

[٢٥] كتب الاستاذ وديع فلسطين مقالة في مجلة (الهلال ــ حزيران ٢٠٠٤ ص ١٣٩/ مقالة بعنوان : ((الشاعرة جليلة رضا هل أحبت الشاعر ابراهيم ناجي ؟)) .

وصاح ناجي هاتفًا : ((مرحى ، مرحى ، هذا ناجي الصغير ، هذا شعر ... شعر ، ينقصه دراسة العروض والقراءة)) تقول وجذبني بشدة الى مكتبة عريضة تتوسط حجرته بالعيادة ، وفتح مصراعيها قائلا خذي ما تشائين من كتب الشعراء))[٢٦] .

وزوّدها ببعض الكتب وأوصاها بدراسة العروض ، وتوثقت العلاقه بينهما ، وساعدها على نشر بعض قصائدها ، وهي التي ألهمته قصيدة (الرحيل) التي مطلعها[٢٧] :

هنا سمير آميس هل تعلمين   وههنا بالأمس طال السهر

ومات الشاعر إبراهيم ناجي في الرابع والعشرين من آذار سنة ١٩٥٣م ودعاها أخوه محمد ناجي لإلقاء قصيدة في حفل تأبين ناجي ، وألقت قصيدة في رثائه نالت استحسان الحاضرين ، وكانت هذه فاتحة اتصالها بمجالس الأدب يقول الأستاذ وديع فلسطين : ((اما الشاعرة جليلة رضا فقد جاءت ولادتها الحقيقية في دوحة الشعر في حفل التأبين الذي أقيم للشاعر إبراهيم ناجي في عام ١٩٥٣م ، فقبل هذه المناسبة لم يكن احد يسمع بهذه الشاعرة ، وإنما كانت تدخر هذه المفاجأة إثباتا لشاعريتها التي هزتها وفاة أستاذها وموجهها إبراهيم ناجي))[٢٨] .

وفي العام الثاني من وفاة إبراهيم ناجي سافرت الى (رأس البر) وهاجت الذكرى ، وتذكرت فداحة ما أصابها بموته الذي كانت تعده أستاذها ، وتتأثر بشعره ، وهناك نظمت قصيدة النجم الخابي)[٢٩] :

---

[٢٦] صفحات من حياتي ص ٤٧ .

[٢٧] وهي قصيدة غير موجودة في دواوين ناجي (تنظر مجلة الهلال ص ١٤٣) .

[٢٨] مجلة الهلال ص ١٣٩ .

[٢٩] اللحن الباكي ص ٦ ، وتنظر صفحات من حياتي ص ٥١ .

ها هي الشمس تهاوت في دماها غارقه
وعلى للأفق غيوم جاثيات خافقه
ناشرات فوق ذاك الميت أكفان الغناء
تابعات ظل نعش كان رمزا للضياء
حائرات بين أجواء الفضاء الشاهقه
وهنا في أضلعي قلب جريح في شرود
كان بالأمس له ضوء وإشعاع فريد
فخباوي كيف يخبو ذلك النجم لرغيق
أين امشي؟ كيف أخطو والدجى ملء الطريق
ما لعين أنْ تراني أو لقلب أنْ يذود

الى ان تقول :

كنت لي كونا حفيا بالأماني الزاهيه
ونعيما من زهور ظلال حانيه
فتغيبت ومرت بعدك الأيام تجري
لا أنا أُبدي اهتماما او بما تحويه أدري
رائحات غاديات تافهات عاديه

وأخذت تحضر المجالس الأدبية وتلقي القصائد ، وأعجب بها الشعراء وكانوا يلتفون حولها ، وفيهم من أُعجب بوجهها واستحسنه ، وفيهم من أُعجب بشعرها وقدره ، وفيهم مَنْ تقرب اليها ليصغي الى ألقائها ، ومنهم من تقرب اليها طمعا في الزواج بها . وكان يتوافد الى بيتها بعض الشعراء ، ويتحلقون حولها ويمطرونها بوابل من غزلهم وعشقهم حتى ضاقت بهم وهم يحتلون بيتها ليل

وتهور وغطرستهم[٣٠] ويتبادل الطرفان قصائد الهجاء ، ولعل من قصائدها فيهم (ثورة على الشعراء)[٣١] التي تقول فيهم :

يا أيها الشعــراء أثخنتم فـؤادي بالجـراح

ضاق الوجود بظلمكم والأرض ناءت بالنواح

تتناقشــون وتنهشــون بقيتي نهشــا مبــاح

فلقد وجدتم قصة في الليل تُروى للصبــاح

وتقول عن الضجة التي يثيرونها :

لكن هذا الليل والشـك المشـرب باليقيـن

والضجة الهوجاء تصحبها أعاصير الظنون

ستقر بعد هبوبها ، ستمر يعقبهــا السكــون

وسترجعون الى عقــور بيوتكم متحيريــن

وستصمتون ستندمون أجل أجل وستندمــون

لا شيء مني سوف يبقى عندكم غير الحنين

وقالت سوف أمضي بعيدا ، وكانت قد قررت أن تنسحب بهدوء والتزمت بيتها بعيدة عن المتاعب التي خلقها لها الشعراء والمنافقون . إنّها ستغيب حتى يرتقي المجتمع ويختفي وجه النفاق ، وستعود حين يرعى الآدمي أخاه الآدمي .

إنها لن تعلو المنابر بعد اليوم ، وسوف يلتفتون فلا يجدونها ، ولعلهـا تصرح بأحد أولئك الشعراء فتقول :

---

(٣٠) تنظر اسماؤهم في رسالة الاستاذ وديع فلسطين التي ارسلها الى الشاعر عبد الخالق فريد في ايلول سنة ١٩٨٦م (كتب عبد الخالق فريد في رسائل ادباء عصره ج١ ص ٢٠٦).

(٣١) الملحق الشعري ص ٦٤ ، وتنظر ص ١٩ ــ ٢٠ من كتاب صفحات من حياتي .

وستكشف الأيام يوما عن غلام أسود

ملأ الغرور دماه منتحلا صفات محمد

ويقول إني شاعر سبق الزمان الى الغد

سجدت على قدمي الغواني واعتصمت بمعبدي

وأقول يا هذا الضرير أثرت في تمردي

ستظل ترقب في الورى زنجية لم تولد

وستكشف الأيام عن شاعر متلون تحيل :

وستكشف الأيام عما قد تخفى واستتر

عن ثلة لا تأتلي تصطاد في الماء العكر

عن كاهن عملاق ينظم للإله وقد كفر

عن قائد كاللص يختلس الهوى عبر النظر

ولأترك التاريخ يروي كل فن مبتكر

عني فرغم أنوفكم سأظل خالدة الأثر

ومرت الأحداث وهي لا تعبأ بمن يثير حولها الزوابع ، ومثلت مصر في مهرجان الشعر العربي الذي أُقيم في سورية سنة ١٩٥٩م ، تقول : ((جاء عام ١٩٥٩م ، وأشرف السيد كمال الدين حسين على أول مهرجان شعري عربي أقيم في سورية . كنا قد اتحدنا مع سورية ، ومثلت أنا العنصر النسائي الوحيد ، واقمنا هناك أسبوعا كاملا كان من أجمل ايلام حياتي ، والكل هناك كان يعرفني ويقدرني ، كان معنا المرحومان صالح جودة واحمد رامي ، وكانت معنا وردة الجزئرية لتغني أثناء الحفل . والقى المرحوم هاشم الرفاعي قصيدة رائعة كانت آخر قصائده ، فقد اغتيل عقب عودته الى مصر . وزارتني هناك السيدة الاديبة وداد سكاكيني ، والسيدة ثريا الحافظ ، وتنزهت في الغوطة . وقبيل عودتنا

تدفعه المرحوم يوسف السباعي على حساب الدولة مبلغا من المال لا بأس به لتشتري هدايا العودة))[32] .

وعادت إلى الظهور في الندوات الأدبية ، تنظم الشعر وتنشره ، وعُينت سنة ١٩٧٢م عضوة في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للآداب بتوصية من الشاعر عزيز أباظة ــ في الغالب ــ[33] وأصبحت عضوة في لجنة الشعر بالمجلس القومي ، وعضوة في (رابطة الأدب الحديث) التي ضمت العشرات من أدباء الوطن العربي ، وكانت رئيسة (جماعة النهر الخالد) ، وأعضاؤها الشعراء كمال نشأة ، وفوزي العنتيل ، ومحمد الفيتوري ، وكانوا يوقعون باسم الجماعة أو الرابطة عند نشر نتاجهم .

وظلت عاكفة على نظم الشعر وكتابة المسرحيات والروايات حتى وافتها المنية عن خمسة وثمانين عاما يوم الاثنين الثاني عشر من آذار سنة ٢٠٠١م (السابع عشر من ذي الحجة سنة ١٤٢١هـ) . وأقيم لها حفل تأبين متواضع قال عنه الأستاذ وديع فلسطين : ((أقمنا حفلا متواضعا لتأبين الشاعرة جليلة رضا ، لم يشهده إلا خمسة أشخاص منهم ابنتها[34] وصديقة لها . وطبعا تجاهلت جميع الصحف هذا الحفل ، وهي قد تجاهلت وفاتها أصلا . ولهذا كتبت كلمة عن جليلة المفروض أنْ تندرج في (هلال) الشهر المقبل ، فإن جهلتها مصر ، فهي غير مجهولة في العالم العربي بدواوينها السبعة ، وقد أشرت على

(٣٢) صفحات من حياتي ص ٧٩ ــ ٨٠

(٣٣) تنظر صفحات من حياتي ص ١٢١

(٣٤) هي ثريا بنت زوجها الأول محمد مصطفى الدرديري ، وكان أزواج أمها الثلاثة قد توفوا قبلها .

دار الهلال بان تعيد نشر سيرتها الذاتية الرائعة[٣٥] ، التي صدرت من بضعة عشر عاما))[٣٦] .

ولجليلة رضا عدة دواوين وكتب وهي :

١ـ اللحن الباكي (شعر) سنة ١٩٥٤م .

٢ـ اللحن الثائر (شعر) سنة ١٩٥٧م .

٣ـ الأجنحة البيضاء (شعر) سنة ١٩٥٩م .

٤ـ أنا والليل (شعر) سنة ١٩٦١م .

٥ـ خدش في الجرة (مسرحية شعرية) سنة ١٩٦٩م .

٦ـ صلاة الى الكلمة (شعر) سنة ١٩٧٥ .

٧ـ تحت شجرة الجميز (رواية) سنة ١٩٧٥م .

٨ـ العودة الى المحارة (شعر) سنة ١٩٨٢ . وبه نالت جائزة الدولة التشجيعية للشعر سنة ١٩٨٣م .

٩ـ صفحات من حياتي ـ (سيرة ذاتية) سنة ١٩٨٦م.

١٠ـ وقفة مع الشعر والشعراء (ج١) ـ نقد ـ سنة ١٩٨٧م .

١١ـ مختارات من شعري (شعر) سنة ٢٠٠١م .

ولعل ابنتها ثريا أو أولادها (أي الأحفاد) يصدرون ما تركت جليلة رضا من شعر وكتب ومقالات .

---

[٣٥] يقصد صفحات من حياتي الذي صدر في كتاب الهلال العدد (٤٢٧) شوال سنة ١٤٠٦هـ ـ جزيران ١٩٨٦م.

[٣٦] من رسالة بعثها الى الشاعر عبد الخالق فريد (ينظر عبد الخالق فريد في رسائل ادباء عصره ج٦ ص ١٦٣.

(٣)

لم تكن الشاعرة جليلة رضا في أمومتها كبقية النساء اللاتي عبرن شعرا عن أُمومتهن ، فقد امتحنها الله ــ تعالى ــ أن تخلص لمشيئته ، وان تكون الأم الحنون الصابرة على البلاء العظيم . لقد رزقها الله من زوجها الأول محمد مصطفى الدرديري بنتا هي (ثريا) وولدا هو (جلال) وصارا سلوى لها في غربتها بمدينة (قنا) حيث يعمل الزوج ويقضي معظم أوقاته في أداء الواجب الرسمي . وانتقلا الى (قبرص) و (أسيوط) ومرت عشرة أعوام على زواجها وأصيب ولدها بالحمى التيفوئيدية وبرئ منها وهو صغير ، وعاودته وخرج منها غير طبيعي إذ تركت آثارها الرهيبة فأصبح متخلفا منذ السنة الثالثة من عمره ، تقول الشاعرة : ((ومع ذلك ففي شبابي لم أتأثر كثيرا لهذه النتيجة فقد طغت حيويتي على حالتي النفسية ، فكنت أهوّن الأمر على نفسي))[٣٧] . ولكن بدأت . مأساتها عندما افترقت عن زوجها ، وإنْ كانت نشوى مبهورة بالحياة ، ونشوى بجمالها وشبابها وحريتها ، ونشوى بأمومتها فقد نام طفلها تحت جناحيها ، وكانت تنام وتصحو وهما في أحضانها ، وهي في أحضان الكون .

أحست بعد عام من طلاقها أنَّ ابنها بدأ يكبر بلا (وعي في طفولة شاذة وحركات تنذر بالخوف عليه))[٣٨] . وأشار الجيران عليها بالذهاب الى المشايخ والمنجمين ليشفوا ما به ، وأطاعتهم ولكن بلا جدوى . وفي هذه الاثناء انتقل ابو طفليها الى القاهرة ، وسكن في الحي الذي تسكنه (شبرا) ، فأرسل الطفلاها اليه ، وكانت تزورهما كل يوم .

---

[٣٧] صفحات من حياتي ص ٤٠ .

[٣٨] المصدر نفسه ص ٤٥ .

وظننت أنَّ الحياة صفت لها ، اذ سافر زوجها في إجازته الصيفية الى (رأس البر) مصطحبا طفليه ، ولكن الولد ازداد إمعانا في تهوره وتخلفه العقلي فضاق به أبوه ذرعا ، وسلمه الى قسم الشرطة لينقلوه الى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية (القاهرة) .

وأبرقت إليها ابنتها ثريا بالحادث فسافرت الى (رأس البر) ووجدت ابنها قد أرسل الى القاهرة وادخل المستشفى ، وعادت الى القاهرة وذهبت الى المستشفى ، ووعدها المسؤول فيه ان يرده اليها بعد شهر . وأخذت تزوره كل يوم فتجده نائما تحت السرير ، وفوق البلاط ، فحزَّ ذلك في نفسها وآلمها كثيرا وتسلمته من المستشفى وأقسمت ان تتكفل به وحدها ، ولن تعيده الى أبيه وجاءت بخادم لتتركه معها حين تغيب عن البيت ، لقضاء حاجة مما تقتضيه الحياة ، او لحضور ندوة أدبية .

عاشت وولدها معها على الفراش يقهقه بلا سبب ، وينظر الى اللاشيء وبدأت تخاف الرياح والمطر والظلام ، وكانت تسأل نفسها : ((ماذا أنا صانعة بولدي جلال ، وقد صار غلاما . وسوف يكبر ويكبر ، وتزداد متاعبه وتتهور تصرفاته ، وسيغدو ذات يوم رجلا لا استطيع ان أخيفه أو احمله على الخشية مني .. كان أمامي أمران لا ثالث لهما ، أما ان أعيده الى والده لينتظر مصيره المحتوم حيث يوضع الى الأبد في مستشفى الأمراض العقلية ، وأما أن يحل ببيتي رجل قوي البنية يستطيع أن يحكم هذا الغلام المتعب ويخيفه ولكن مع الفارق ، فسأكون أنا جوار ابني أرعاه وأطعمه ، وأعطيه من حناني ما هو في حاجة إليه . اما الأمر الأول فكنت لا احتمل التفكير فيه ، لقد جربته وكدت أجن طيلة مدة وجوده بالمستشفى ، ولكن الأمر الثاني عسير عليَّ وشاق ، عسير أن افقد حريتي مرة ثانية ، عسير أن أعطيها شخصا لا احمل له مشاعر حب دافق

لقد تزوجت أول مرة بناء على أمر الأسرة ، ولـم أرَ زوجـي إلا بعـد عقـد القران))[٣٩] .

وكان الشاعر عبد الله شمس الدين (١٩٢١ ـ ١٩٧٧م)[٤٠] معجبا بهـا فتزوجته وانتقلت معه الى (المطرية) في بيت به حديقة ليتسنى لولدها أنْ ينطلق فيها ، ولم يدم هذا الزواج لأن الشاعرة اكتشفت ان زوجته لا تزال بذمته وأنه خدعها حين قال لها قبل الزواج بأنه طلقها . ولكن الأمر الذي أنهـى حكايـة الزواج ما قالته جليلة : ((كنا في حجرتنا حين سمعت دويا هائلا ، وصـرخة رهيبة صادرة من حجرة نوم ولدي ، فقفزت في هلع نحوه ، فإذا به قد وقع من فوق سريره وهو نائم ، وانكفأت فوقه أوقظه لأطمئن عليه وأعيده الى فراشـه وفي قلبي جرح كبير لبعدي عنه ، فلم أكن قد اعتدت ان ينام بعيدا عني . كان الشاعر (ع) قد لحق بي مستطلعا الأمر ، وعندما تبين الحقيقة دوت ضـحكته الصاخبة مقهقا وكأن في الأمر ما يثير البهجة والضحك . يالشعوري في تلـك الآونة الحرجة ، قلبي انا ، قلب الأم يدمي ألما ، وقلب زوجي يطفـر غبطـة وسخرية . لقد بات الجدار عاليا شاهقا بيني وبينه ، لقد انكسرت قيودي وانفتح قلبي وظهرت السطور واضحة جلية في صفحات عقلي المغبر ، وبكيت بغيـر دموع))[٤١] .

وكان الطلاق ، وعادت الى (شبرا) حيث ابنتها (ثريا) تعيش مع والدها وحيث الأمان في الحي الذي الفته من قبل وتفرغت لنظم الشعر ، وحضـور

---

[٣٩] صفحات من حياتي ٥٨ .

[٤٠] هو صاحب (نشيد الله اكبر) في اثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م .

[٤١] صفحات من حياتي ٦٣ ـ ٦٤ .

الندوات ، وتفاعلت مع الأحداث الوطنية ، ونظمت قصائد فـــي حـــب الـــوطن والدفاع عنه .

ومرت الأعوام وهي مكرمة معززة ، وكان ولدها (جلال) يثيـــر فـــي قلبها الحزن ، فقد كبر وزاد الخطر منه وعليه ، وصارت أمه تخشاه ، وكانت في بعض الليالي تنادي الجيران لتحس معهم بالأمان . وكانت في ليالٍ أُخر تفتح باب الشقة طوال الليل ، وتجلس على مقعد أمـــام البـــاب خوفـــا مـــن ولـــدها وتصرفاته ، وكانت تنجح ــ أحيانا ــ في إعطائه الدواء المهدئ لينام جوارهـــا كالحمل الوديع .

وازدادت آلامها حين مرض ولدها ، واشرف على الموت ، ومرضـــت وكادت تشرف على الموت . ولم تجد وسيلة لحمايتهـــا إلا أن تتـــزوج محمـــد السوادي[٤٢] الناقد البرلماني لجريدة (البلاغ) وناشر جريدة (الســـوادي) وكـــان خارجا من المعتقل وقد رضي كل الرضى عن جلال ، ولكن زاد هياج (جلال) ومرضه العصبي ، ونصح الأطباء أمه ان تدخله المستشفى خوفا على حياته إذ كان يضرب نفسه ويعض يديه . وأدخلته مستشفى خاصا قريبـــا مـــن بيتهـــا وعادت الى البيت حزينة وحيدة غضبى ، وقالت :

هنالك عبر الطريق الطويل	بضاحية من ضواحي المدينه
هنالك سور سميك سميـــك	طويل المسافة يخفي سجينه
وباب [illegible]ن رمـــاد القبـــور	وقـــد أغلقته قيـــود متينـــة
إذا مَرَّ طيف عليه استعـــاذ	ومدَّ الخطى وأشاح جبينـــه

---

[٤٢] عاشت معه عشرين سنة ، ورثته باربع قصائد هي : المقعـــد الخـــالي ، والطـــاووس واللحظة الاخيرة ، ومن اجلك (ينظر العودة الى المحـــارة ص٣٧ ، ٤١ ، ٤٤، ١١٨، ومختارات ص ٢٣) .

تفتح مصراعه ذات صبح   وكانت دموعي تسيل سخينه
فقلت : تقدم رعاك الإلــه   وأدخلتُ ابني وعُدْتُ حزينة

ثم قالت : ((اجل عدت الى بيتي حزينة وحيدة ولكن غضبى ، قلت في نفسي : لماذا أعيش زوجة ؟ لقد اخترت هذا الزواج ليتكفل برعاية ابني ، والآن ابنـــي ليس معي ، فلا يوجد داعٍ لاستمرار الزواج . قلت هل أتــولى رعايـــة رجـــل غريب وولدي يرعاه غرباء ؟ كلا لاشيء يرغمني على خدمة إنسان غير ولدي ولكن بغتة ملأ الله قلبي شفقة ورحمة على هذا الزوج . تســـاءلت : مـــاذا أنـــا صانعة بعد الانفصال ؟ هل يكون مصيري الى الندوات الأدبية مرة أخـــرى ؟ هل اذهب حيث المجاملات الزائفة والمداهنة والنفاق ؟ هل اذهب الى الشائعات والأقاويل ؟ إنَّ هذا الزوج لم يمنعني فترة ثلاث السنوات من الذهاب الـــى أي مكان ، ولكن منعت نفسي ، إنه لم يمنعني من الكتابة وقد كتبت ، بل لقد سنحت لي الفرصة خلال تلك الفترة من أن أسهم في مهرجان الشعر المنعقد في مدينة (غزة) وسافرت تاركة بيتي تحت إشـــراف الخـــدم ، وكـــان زوجـــي ســـعيداً راضياً))[٤٣] .

أوْدَعَت ابنها في المستشفى وبدأت تتعود على فراقه كما يتعود مريض مزمن على تجرع دوائه المر ، وكانت تزوره كل يوم ، وحين مات ابوه ســـنة ١٩٦٧م ، هرعت الى ولدها في المستشفى وضمته الـــى صـــدرها ، وازدادت رعايتها له وحرصها على تعويضه حنان الأبوين على الرغم من انه لم يكـــن يدرك تلك الأبوة . ونقلته سنة ١٩٧٨م الى مستشفى آخر ، وعنـــدما تغيـــرت ظروف حياته التي اعتادها اختل توازنه ، وبدأت صحته تعتل ، وأعصابه تنهار فاخرجته أمه من المستشفى وعاش في حضن أمه في البيت نصف عام ، بعـــد

---

[٤٣] صفحات من حياتي ص١٠٩ ، وينظر صلاة الى الكلمة ص ٩١ .

عشرين عاما من الحرمان ومات بغتة في الطريق وهو مع أخته ثريا في الحادي والعشرين من آب سنة ١٩٨٤م . تقول أمه : ((أجل ... أجل ، فقد مات ولدي جلال ، مات جلال ، وعزائي أنه قبل أنْ يموت عاش في حضني وفي بيتي سعيداً نصف عام بعد عشرين عاما من الحرمان . ولقد كافأني جلال بأن مات بغتة في الطريق وهو مع أخته حتى لا أراه على هذا الحال . ولقد كافأني بان أعاد الله إليه عقله كاملا قبل خروجه من بيتي فنظر اليَّ طويلا وطويلا وتبسم سعيدا ، وفي عينيه معاني الشكر والامتنان)) ثم تقول : ((لماذا تركني الله أعيش حتى أرى موت ابني ... أخيرا.. أخيرا وأخيرا استقرت خطاي . أربعون عاما وأنا اجري اركض والهث واضرب بقدميّ الأرض . اسقط منهوكة القوى لأقوم من جديد . أنام على حافة الرصيف أغطي جسدي العاري بأوراق الشجر الأصفر المبعثر فوق الطريق . استند الى نفسي .. صراع ما بعده صراع ، كفاح ، ما بعده كفاح . أسدُّ أذنيَّ حتى لا اسمع تلك الكلمة الرهيبة : أُم المجنون .. أم المجنون ، كل هذا لأجله ، لأجله وحده ، كنت أريد أن يعيش أن لا يفارقني أبدا . لم يكن يهمني أنْ يكون له عقل سليم ، فتلك مشيئته تركتها لخالقه منذ زمن بعيد . كان كل همي صحة جسمه كنت أحس أنه لم يزل جنينا في أحشائي ، لم يزل رضيعا يتغذى من لبني ، لم يزل يتعلم مني كيف يخطو خطواته الأولى ، أربعون عاما قضيتها راكضة نهارا ، ساهرة ليلا لم أمل ، لم انس ، لم أكلّ ، كان قلبي مليئا به ، كان هو الحياة والتحدي والأمل والعمل ، والآن لا شيء خواء .. خواء في قلبي ، وفي عيني وأخشى أن يصيب الروح هذا الخواء :

كل شيء في قوانيني اختصر فرَغَ العالم من كل البشر

لم يعد في الكون غيري وأنا أتلظى في حريق مستعر

يا ولدي ، ما الذي أصنع اليوم بحريتي ويومي ، لقد كنت القيد الذي يربطني بالحركة :

لِـمَ حطمت يا بُنيَّ قيـودي لِمَ آثرت أنْ تُزيل هواني
معصمي شلَّ يا بنيّ بلا قيد ونـام الدجى على أجفاني

كل يوم ياولدي ادخل حجرتك ، أتحسس فراشك ، أهديك تحية الصباح والمساء فأنت معي ، وأنا معك ، إنّ قبرك هو بيتي ، وبيتي هو قبرك :

أنا أحيا هنا وهيهات أحيا إنَّ كلي لديك ، كلي وأكثر
ذلك الدود يا بُنيَّ أكـول إنه الآن في عظامي ينخر
أيّ أم تعيش بعد بنيهـا وترى بهجة الحياة وتشعر

اليوم ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤م ، مرَّ على رحيلك الحبيب ثلاثة شهور كاملة ، واليوم ـ أيضا ـ أخط بقلمي آخر كلمة في قصة حياتي ، فقد انتهت حياتي بقصة الراحل الحبيب . أمسك بالقلم ، أريد أن ارسم وجهك يا بني ولكن كما قال احد الأدباء : ((كان الرسم على الورق مستحيلا ؛ لأنه سرعان ما يتغير ، أما الرسم في الذاكرة والعيون والقلب فلا يتغير مهما تغير الزمن))[٤٤] .

(٤)

هذه فاجعة الشاعرة جليلة رضا ، وتلك أُمومتها الصادقة ، وهي التي كانت تقول : ((ما أشدَّ قسوة الأمومة وأنانية الأم))[٤٥] وتقول[٤٦] :

حب الأمومة حب امتلاك لشيء صنعناه نحن لنا

---

(٤٤) صفحات من حياتي ص ١٢٧ وما بعدها .

(٤٥) المصدر نفسه ص ٩٣ .

(٤٦) اللحن الثائر ص ٨٤ ، قصيدة (رب الانانية) .

وتقول[٤٧] :

إنَّ قلبا هوى الأُمومة يوما   هو أقوى من الردى الفتاك

وتقول : إنَّ الأمومة تمثال خالد تحول الى أنثى ذات جمال ، وليس على الله بمستبعد أنْ يحول التمثال الى امرأة وقد انثنت بجناحيها مرفرفة حول الشاعرة :[٤٨]

أنا الأمومة لا حبٌ يجابهني   ولا جمال يحاكي حسني العاري

لقد عبرت عما تحس به من مشاعر الأُمومة تعبيرا صادقا ، وكان الشعر متنفسها للتعبير عن تلك المشاعر التي اصطبغت بالحزن ، يقول احمد رامي : ((دعتني الى دارها في جمع من الشعراء والأدباء ، فأخذنا نتحدث في الأدب ونتناشد الإشعار ، وأتيح لي في هذه الجلسة أن أسمع منها شعرا غير الرثاء وإن كان كل بيت منه يفيض كذلك أسى وحزنا ، وعلمت من بعض الأحاديث التي دارت انها تعيش وحيدة إلا من بنت وولد رماه القدر في عقله ، فأصبح بين نور الهدى وظلام الحيرة ، وهنا علمت سرّ ذلك الأسى الذي يشيع في وجهها ، وينطق في شعرها الحزين))[٤٩] .

كانت الشاعرة عظيمة الحب لولدها (جلال) وقد أهدت اليه ديوانها الاول (اللحن الباكي) بقولها : ((الى مَنْ لا يدرك أني أُمه ، ولكن حياتي وُقِفَت عليه. الى ولدي الوحيد أُهدي الشيء الوحيد الذي وجدت فيه عوضا منه)) . وكانت فيه أول قصيدة عنه وهي (ولدي)[٥٠] :

---

(٤٧) الاجنحة البيضاء ص ١٠٨ ، قصيدة (إهداء) .

(٤٨) اللحن الباكي ص ٤٥ ، قصيدة (التمثال الخالد) .

(٤٩) اللحن الباكي ص (د) ــ المقدمة .

(٥٠) اللحن الباكي ص ٤٦ .

بُنيَّ جعلتنـــي أهـــوى بقائـــي   فعشتُ لغصنك الغضِ النضيرِ

وجرعني الزمـــان كؤوس همّ   وضنَّ عليّ بالعيـــش القريـــرِ

ولكنـــي سقيتـــك مـــاءَ قلبي   وجُدْتُ عليـــك بالحب الوفيـــر

وكانت تخاف على خطاه حصاة أرض ، ومن مرض يلم به ، وتود لو قدمت له عقلها ليكون بشرا سويا ؛

وَددْتُ لو استطعتُ فَقَدْتُ عقلي   اليك به يقيك من الكثيـــرِ

فمن يرعاك بعدي يا وحيـــدي   وما هو مستجد من مصير

وتتجاوز أُمومتها الى الأطفال الذين حرموا النعمة والرخاء ، قائلة للأم ان تنظر بصدق الى الطفل الذي شرده اليهود فالتحف السماء[٥١] :

كلمـــا استيقـــظ طفـــلٌ   بيـــن أجـــواءِ القصـــور

اذكـــري يـــاأم طفـــلا   آخـــر تحـــت السمـــــاء

زائغ الأبصار مصدوم   الأمانـــــي والرجـــــاء

فالأُمومة راسخة في قلب الشاعرة ، ولن ينسيها حب الوطن الذي قالت فيه وهي تعترف أنَّ هوى الأُمومة مضطرم[٥٢] :

أنسيتني حي الأمومة في الورى   وطغى هواك على هواها المضرم

أليس لبن الثدي من نوازع الأمومة ، وها هي في قصيدة (بور سعيد)[٥٣] تقسم به وبالأحشاء التي تحمل الجنين :

أقسمت باللبن المخضب فوق ثدي المرضعِ

أقسمتُ بالأحشاء ترحف باللظى في أضلعي

---

(٥١) اللحن الباكي ص ١٢٤ : قصيدة (اذكري يا أم) .

(٥٢) اللحن الثائر ص ١ ، قصيدة (وطني) .

(٥٣) اللحن الثائر ص ٣ .

وتحنو أُمومتها علىَ أطفال الوطن ، وتحاول أن تدرأ عنهم الأمراض والعلل لينشأوا أقوياء يذودون عن أرضهم[٥٤] :

إنني سوف أُربي طفلهم	أَدرأُ الأمراضَ عنه والعِلَلْ
وأراعي فيه قوميته	وأبثُّ العزمَ فيه والأَملْ

واستوحت قصيدتها (معجزات القرآن)[٥٥] من ابنها ، وصورت فيها ما تعاني حيث الأرق لم يدعها تغمض جفنا ، وولدها يهذي ويُعربد :

هي ليلةٌ مَرَّتْ عليَّ كأنها عامٌ وعام
الكون فيها كان أَخلَد للسكون وللظلام
لكنما نام الجميع ولم أزل أنا والغلام
يقظين لم نذق الكرى من ليلتين ولا السلام
هو في الجنون وفي رُؤاه بغيهب المرض العقام
يرتد من ركنٍ لركن ثم يَهْذي بالكلام
ويصيح أو يبكي ويضحك أو يعود الى القيام
وبعينه ضوءٌ مخيفٌ مستفزٌّ في اضطرام
وأنا كميتٍ في الدجى يرنو لميتٍ في القتام
أَصبوا الى الفَرْشِ الدفيءِ واشتهي طعم المنام
وأُكافح الرعبَ المميتَ وجهد أعبائي الجسام

وصرخت واستنجدت بالله ولوحت بالـدين فوق رأس ابنها ، وإذا بهاتف من بعيد يدعوها الى ان تقرأ شيئا من القرآن الكريم ، وحين ذاك عادت الطمأنينة الى نفسها وَحنَتْ على وليدها :

---

[٥٤] اللحن الباكي ص ١٢٤ ، قصيدة (ذكري يا أم) .

[٥٥] اللحن الثائر ص ٦٥ .

فجررتُ فوق فِراشِــه ولــدي وأرقدتُ الشقيــا

من أين جاءتني القوى بل كيف لم يرفض عَصيا

ومددتُ فوق جبينــه من غيــر وعــي راحتَيا

ومضيتُ أقــرأ آية الكرســيّ ، أتلوهــا مليــا

وعاد الى ابنها الوعي وأخذ ينظر إليها ويلف يديه حول معصمها :

ومضَتْ عليّ هُنيهةٌ كالدهـر لم أتكلـمِ

مأخوذة مازلتُ أصغي للرنين على فمي

أتربص الحركات من ولدي بحسٍ مبهم

فإذا به يرنــو اليّ بنظــرة المستسلـم

ويداه تلتفان في لَهفِ الغريق بمعصمي

وألقت بنفسها فوق سريره في خفة لترى ماذا سيحدث ؟ أيغفو أم يثــور مــرة أخرى :

فإذا به في الحال يُغلقُ عينه بين السكون

وينام كالحَملِ الوديع ، ينام في رِفقٍ ولين

ما أعظم هذه الأمّ التي تحملت كل هذا العناء ، وكاد اليــأس يقتلهــا لــولا أن تداركَتّها رحمة الله ، فهدأ ابنها ونام كالحمل الوديع ، وهي تبكي فــي الــدجى وتطلب العفو ، والمغفرة من الله :

وظللتُ وحدي في الدجى أبكي وأضحك كالأفين

أحسســتُ أنّ الله فــي قلبــي يدللنــي حنــون

فخجلتُ من ضَعفي ومن قلقي ومن سبي المهين

وهتفتُ عفوا أنت أدرَى بالعبــاد ومــن تكــون

عفــوا فأنت خلقتنا يــا ربّ من مــاء وطيــن

هي ليلة في العمر لن تُنسى على مــرّ السنيــن

إن الأمَّ لا تنسى وليدها ، وها هي الشاعرة جليلة تقول على لسان أم عربية[٥٦]:

وكنْ لي في غدٍ طفلـي   وإنْ أصبحتَ سُلطانا

فانّ الأم لا تنسى الذي فـي المهـد قـد كانـا

وإنْ ناداكَ صوتُ الحرب كنْ في الحرب شيطانا

وفي قصيدة (حب وطب)[٥٧] تُبدي حبها للطبيب وترتقب الساعة التي تراه فيها ومعها ولدها المريض :

غدا سأراكَ طبيبي الجميل   سأمضي إليك قُبيـل الأصيـل

غدا في العيادة سـوف أدا   عِبُ حلم انتظاري بصبر ملول

فأمضي إلى غرفة الكشف ذَهْلى أجرّ ورائي غلامي العليل

وفي الغد المنتظر تضم يدها في يدي الطبيب ، ويهدهد الطبيـب كـف فتاهـا وتعتب عليه في رقة ظاهرة ، وتغبط ولدها وهي تصلح مـن لبسـه وتهتـف ((يا بخته)) ، وكانت تخشى أنْ ينتهي علاج الفتى ، وتمضي وحيدة ليس لديها سوى الذكريات :

سيأتي غد ثم يأتي سواه وتُنهـي العـلاج وأمضـي وحيـدة

ولن تعرفَ الغد أني تركت لديـك فـؤادي شهـورا عديـدة

وأني في ظل صمتك هـذا اقتنعـتُ بحبـي وعشتُ سعيـدة

أجلْ سوف أمضي وليس لديّ سوى الذكريات وهذي القصيدة

وانتاب ابنهـا مـرض جسـماني خطيـر ، فانبعـثت مـن قلبهـا قصـيدة (دعاء الأمومة)[٥٨]، وفيها خاطبت الله ــ سبحانه وتعالى ــ :

---

(٥٦) الأجنحة البيضاء ص ١، قصيدة (وصية أم عربية) .

(٥٧) الأجنحة البيضاء ص ٤٩ ، مختارات من شعري ص ٥٦ .

(٥٨) الأجنحة البيضاء ص ١٠٢ .

لِمَ هذي القسوةُ الكبرى على قلبٍ شريدِ
لِمَ تعذيبي وإذلالي بتعذيــبِ وحيــدي
أحسبتَ اليوم إيماني أقوى من حديــدِ؟
وأنا يا ربّ شــكٌّ وذنــوبٌ وخطايــا
ربما يا ربّ قد تبغي هنــائي بفراقــه
ربما من سجنه الأرضي تهفو لانطلاقه
ربما لكنَّ لي عقلا تردّى فــي وثاقــه
لا يرى فيما ترى غير المآسي والبلايا

وتستمر في سؤالها :

لِمْ إذَنْ أعطيتني هذا الهوى المشبوبَ فيا
لِــمَ سلّمــتَ لــه قلبــيَ وقيّــدتَ يديــا
آه لــو أفنيتنــي ولــم تُبــقِ عليــــا
لِمَ لَمْ تتركْ له شيئا على الدنيا سوايــا

إنه ولدها مهما كان ، ومهما أصابه من مرض عقلي وجسمي :

أنتَ أدرَى إنه أسبابُ عيشي وبقائــي
إنه الشيءُ الــذي يربطُ أرضــي بسمائــي
إنه حتى وإنْ سَمَّمَ في الكون دعائــي
غير ـسي لستُ أرضى جنة دونَ فتايا
إنه قيثار روحــي لا تَدَعْــهُ يتحطــمْ
كيف إنْ قطعت أوتار فؤادي يترنــم
كيف أجلوك وفي جنبيَّ أفقٌ متجهــم
كيف أشدو بهواك الحر في سجنِ أسايا

وتثوب الى نفسها فتناجي الله ـ تعالى ـ طالبة العفو والغفران :

أنا إن كنتُ تمردتُ على حكمك يومــا
ربما كان لأني لم أكــنْ عانيــتُ همــا
بعد هذا الألم الجبــار لا أملــك لومــا
إنما أدعوكَ هل تقبل يا ربــي دُعايــا

وتتنابها الآلام ، وتضيق بالحياة ذرعا ، فتقول لولدها[٥٩] :

قتلتني يا ولدي سَمَّمْتَ لي شُعوري

ولكنها تثوب الى نفسها فتقول له :

الحبُ ما الحبُ وفي قلبي هَوًى من نــار
وأنت لي أبي أخي زوجــي وربّ الــدار
أنت امتلائي المنتشي في هــوة الأقــدار
رحماك إنَّ الموت في حسي وفي تفكيري
قتلتني يا ولــدي سَمَّمْــتَ لي شعــوري

وتزداد لهفتها الى ابنتها (ثريا) فتقول لها :[٦٠]

اعذريني إنْ هَفَتْ نفسي ومالتْ بي اليــك
إن قلبي يا فتاتي ليس عندي بــل لديــك
كلما فتشتُ عنه في ضلوعــي وعليــك
فأراه قابعــا أو جاثيــا بالقــرب منــك

وتُهدي صورتها اليها [٦١] :

هذه صورتي إليك ملاكي   يا ابنة العمر إنها لغــداكَ

---

[٥٩] الأجنحة البيضاء ص ١٠٦ ، قصيدة (قتلتني يا ولدي) .

[٦٠] اللحن الباكي ص ١٠٣ ، قصيدة (حنين وثورة) .

[٦١] الأجنحة البيضاء ص ١٠٨ ، قصيدة (إهداء) .

كلما تغدر الحياة وتقسو وتطوف الغيوم عبر سماكِ

وترينَ الذي رأيتُ ومثلي كلّ فرد يرى على دنياكِ

انظري انظري اليها فاني سوف أحيا بصورتي لاراكِ

إنَّ قلبا حوى الأمومة يوما هو أقوى من الردى الفتاكِ

فإذا ما رأيتِ فيها خيالي قد تحانى عليك يلثم فاكِ

فاحضنيه ولا تئني لموتي إنها سُنَّةُ الذي سوّاكِ

إنَّ أمومتها لا تنطفئ بعد موتها وإنما تظل ماثلة في صورتها لترى ابنتها فيها وتحضن خيالها ليلثم فاها مثلما كانت تلثمه وهي في الحياة ، إنها صورة نفسها :

صورةٌ أوضحتْ معالم نفسي فاحضنيها لأستشفَ رُؤاكِ

فسأمضي وليس عندك إلا صورتي وهي مالها إلاكِ

وتوصيها بأنْ ترعى أخاها :

وبها سوف تذكرينَ عهودي وتُراعينَ في الوجودِ اخاكِ

إنما أنتِ مَنْ ستسأل عنه يوم لا يحمل الجوابَ سواكِ

والجزاء الذي سأُهديك بعدي حين أدعو الإلهَ أنْ يرعاكِ

ولكن أخا ثريا مات قبل أمه التي كانت تخشى الموت قبله ، ولذلك أوصت أخته برعايته .

لم تكن ثريا تُقلق أُمها ، فهي في أتم صحة وأسلم عقل ، ولكن الذي كان يقلقها ويثير شجونها ويؤجج ألمها ولدها ، تقول في قصيدة (تمرد)[٦٢].

أقسمتُ أني لن أُحبك يا فتى إلا بقدرِ عاقلٍ وضنينِ

---

[٦٢] الأجنحة البيضاء ص ١١ .

قلبي يثور على حنانِ أمومتي   يأبى عليَّ متاعبي وشجوني

وتثوب الى نفسها فتقول إنها ستفني حياتها في سبيله :

أُفنيه فيك بُنيَّ وهو معذَّبٌ   يبغي لذا ذاتِ الهوى المفتونِ

والشاعرة لا تعبر عن أُمومتها فحسب ، وإنما كانت تعبر عن أُمومـة غيرهـا أيضا ، تقول على لسان امرأة تركـت زوجهـا وأحبـت غيـره ، وتنكـرت لطفليها[٦٣] :

طفلايَ يعتصرانِ قلبي والهوى قد حَطَّمه

ما ذَنْبُ هذا الزوجِ حتى استبيـحَ تألمـه

وأنا التي كم عِشْتُ في أحضانه متنعمـة

ووهبته طفلين قد بَهرا سمـاه وأنجمـه

ويطل (عيد الأم)[٦٤] فتحييه :

سلوا قَلْبَ الأُمومة إذ تجلَّى   يرفرفُ بالأماني مُسْتَظِلاً

أذلك ضـوءُه أم ذا شـذاه   أم العيدُ الذي وافى وَهَلاًّ

وتدعو الأبناء الى أن لا ينكروا الأمهات اللاتي سَهِرْنَ عليهم ، وأذاقوهم حلـو الحنان ، ومَدَدْنَ أكفهن على المهود لتكون كالشراع ظلا . إنّ الأمهات بلا أولاد ليل دامس ، وحين حَمَلْنَ بهم ملكن كنوز الأرض ، وتخاطب قلب الأمِ :

فيا قَلْبَ الأُمومـة يا جبـالا   من الأعباء أنتَ ولَسْتَ تبلى

ويا نبعَ الحنانِ ويا غديـرا   ترقرق بالشذا طُهْرا ونبـلا

خطرتَ على قلوبِ من وفاءِ   وأهلا يوم عيـد الأمِ أهْـلا

---

[٦٣] الأجنحة البيضاء ص ١٤٥ ، قصيدة (المرأة والحب) .

[٦٤] الأجنحة البيضاء ص ١٦٠ ، قصيدة (عيد الأم) .

ويهزها نداء (ماما)[٦٥] :

(ماما) وشق الصوتُ في زَهْوِ جَوِ الديار كلحنِ عصفورِ

(ماما) وهلَّ خيالهـا نحـوي متراقصا كالغصْن في النورِ

فإذا الجريدةُ في يدي تهـوي وأغوص في أعماق تفكيري

وسَمِعْتُ صوتا ضَجَّ في نفسي وكأنـه أصـداءُ شيطـانِ

فاتَ الأوانُ فليس لـي أمـي ومضى الشبابُ وماله شـانِ

فاتَ الأوانُ فيادجـى يأسـي وأثار فيَّ الصوتُ أشجانـي

وتروعها كلمة (جدتي) :

فأجبتُ يا ذاتي وتكوينـي هو عاصِفٌ قد دارَ في ذهني

(ماما) نداء منك يشجيني ولكم يبث النور في عينـي

لكنَّ طفلك سوف يدعوني (ياجدتي) فأموتَ من حزني

وتستجيب للحياة ، ولا تخشى أن تُنادى بكلمة (ماما) :

تَمَتَمْتُ فلأهزأ من الزمنِ أنا يا ابنتي (ماما) فناديني

سأظل أسمعهـا لتهزمني وعن الهوى الغدار تثنيني

سأظل أسمعهـا لتسجنني في سجن أبنائي وتحميني

وتصور بألم سخط ابنتها وحالة ولدها العليل ، وتصف سلوكه وتصرفاته[٦٦] :

ولدي الوحيد علامَ تضحكُ في الفراشِ وتبتسمْ

ولمن تشيـر وما أمامـك ههنا غير الظلـم

نمْ هادئـا أقلقتني متحركـا ، دَعْنـي أنَـم

عذبتَ أمك يا فتى ، عذبتنـي حتى العـدم

---

(٦٥) أنا والليل ص ١١٤ ، قصيدة (فات الأوان) .

(٦٦) أنا والليل ص ١٦٣ ، قصيدة (بين عالمين) .

فهنا على يمنايَ أنت تضج في ضحك أفين
وعلى يساري الآن أُختك تذرف الدمع السخين
تبكي من الدنيا وتضحك أنت ما أحلى الجنون
ما دام فيه الوهم ، والأحلام والليل الحنـــون

وتدعو ابنها الى أن يكف عن حركاته ، وأن يصمت ، فقد بَعَثَ فـــي جنبيهـــا الرعب :

أصمت بَعَثْتَ الرعْبَ في جَنبيَّ رعبا مؤلما

وتخاطب ابنتها التي بعثت اليأس في نفسها :

وبعثتِ أنتِ .ياس ، أنت الموت ويلي منكما

لماذا ؟

كَلَّت يَدي والضرب لا يجديكما ، وكبرتما
حتى أراني طفلة تنســاب في حضنيكمـــا

وتسأل طفليها :

مَنْ منكما المجنون ؟ مَنْ هو عاقل يا ويح نفسي
وأنا ؟ أنا ؟ مِن أي صنف منكمـــا من أي جنسِ
أنا لم أعد أبكي كأختك لم أعـــد أشـــدو بيؤســـي
من عالم النسيـــان ؟ لا إني أُحِـــسُّ بألـــف حِسِّ

وتعود الى ابنها :

خصلاتك السودُ الطوال على جبينك تشرقُ
وأراك رمـــزا للجمال بغيـــر عقلٍ يفـــرقُ
والليل في قلبي كرأسك فوق صدري مُطْبِقُ
قل لي بربك ما ترى في أي شيءٍ تُحَدِّقُ ؟

وشاركت العصفورةَ في مأساة أمومتها حين فقدت فراخها ، قالت علـــى لســـان العصفورة[٦٧] :

لقد غادرتُ أبنائي لأعلــو الأفــْقَ مســـروره

فرغم أُمومتي إني ــ كما تدرين ــ عُصفوره

طارت العصفورةُ تبحث عن طعامٍ لفراخها ، وحين عادت وجدت الشجرة التي بنت عليها عشها قد قطعت ، ورأت فراخها صرعى على الأَرض ، فصرخت :

فأَين الآن أبنائي ؟ وأَين العشُّ يا جارة

ودعتها أُمومتها الى أنْ لا تقسو على ابنتها (ثريا) التي أحبت كما أُحبت هي من قبل[٦٨] :

أرنو اليكِ وأَجتلي أَحداثَ عمري السابقـــه

نبضاتُ قلبك في دمي تجتاحني كالصاعقه

وأحسُّ ــ رفقًا يا ابنتي ــ أنفاسكِ المتلاحقه

لاتدهشي فلقد ضممتُ من الزمـــان مشارِقه

وشعرتُ بالحب العنيف صَبيَّةً ومراهقـــه

شفتايَ مثلك ذاقتا مـــا ذقتـــه يا عاشقـــه

وقالت عنها عند زواجها : ((تزوجت ابنتي ثريا ، وكانت تُؤنســـني بزيارتهـــا يوميا ، لقد أحبت أُستاذها في المدرسة ، ومرت بما مررتُ به أنا في صباي ، ولكنها كانت أنضج مني سنا ، ووجدتْ أمامها أُما كالأخت الكبيرة تســتطيع أن

---

[٦٧] العودة الى المحارة ص ١٧ ، قصيدة (مأساة عصفورة) ومختارات من شعري ص ١١ .

[٦٨] العودة الى المحارة ص ٦٠ ص ، قصيدة (يا عاشقة) .

تبوح لها بمشاعرها الدفينة دون خجل او حرج ، ولم أستطع أن أُخالفها الـرأيَ فقد كان حبها عنيفا ، بل توسطت لها أمام والدها حتى نالت موافقته))[69] .

وتعبر عن أمومتها الصادقة في قصيدة (الى ولدي)[70] فتقول :

ساَظـلُ أُؤجل أشعــاري حتى تتخشّر أقلامـــي
حتى تتصلب فـي عجز كفــيَّ وسُلامى إبهامــي
ما أقسى أنْ أصمتَ دهرا من عزف الالحان العليا
أنْ أشدو طيلة أعوامــي لتفاهــة كونـي للدنيــا
أنْ أترك أبهـــى ما أملكُ مختفيا خلــف الأســوار
أنْ ألقــي للسطـــح بدلـــوي أتحاشى قاع الأبـــار
أنْ أحرم ولدي من شَهْدي وزهوي وأريج صلاتي
أنْ أوصدَ شباك نعيمي وزهوري وأديرَ الظهر لجناني
أنْ أسمع صلصلةَ المفتاح وأخشى فتح الزنزانـــه
وأخافُ الكلْمةَ من أجلك تخرج حافيـــة عريانـــه
أنْ أخشى الواقع يصدمني وخيالك يجتاح شعوري
والجرح النائم تنبشه في الصدر مناقيرُ طيـــوري
ما أقسى أنْ يصمتَ قلبي ويضن عليك بأنغامـــه
لا بخلا لكنْ يا ولدي خوفـــا من لوعـــة آلامـــه
هل أنظم شعرا في حبك هواك النبع لأشعاري
لا أقوى ، سأظل أؤجل حتى تتراخى أوتـــاري

---

[69] صفحات من حياتي ص ١٠٣ .

[70] العودة الى المحارة ص ٧٨

(٥)

هذا بعض ما عَبَّرَتْ به الشاعرة جليلة رضا عن أُمومتها ورعايتها لطفليها ولا سيما جلال الذي كان مدار شعرها الحزين ، وهي التي لم تذق عطـف أُمهـا وحنان أبيها[٧١] :

لا تلمني عِشْتُ كالقطة في أمسي ضريره
رَهْنَ حكم الأخ والزوج وأوضاعي أسيره
لم أذقْ من عطف أُمي وحنان الأب نهلـه
لـم أكـن أدرِك إلا أنني روح مُملَّـه
سئم الناسُ دجاهـا ومآسيهـا المريـره

وكانت تقول عن أُمها[٧٢] :

أنتِ لي عَهْـدٌ تولَّـى	لم أكن أحمل فخـره
فاذا ما صـرتُ أمـا	رحتُ أستوفيه قدره

وتقول :[٧٣]

لِمَ يا أُمي بعثتِ الحزنَ في قلبي الصبيّ
لِمَ يا تركيةَ العنصر لم تحني علـيّ[٧٤]
قد تجاهلتِ شعوري وأنا بنتُ العروبه
كان في قلبك صخر وبجنبيَّ عذوبـه

ولكنها لا تسيء الى أمها ، وانما تطلب لها الرحمة من الله ــ تعالى ــ :

---

[٧١] الأجنحة البيضاء ص ٧٥ ، قصيدة (رحلة عمري) .
[٧٢] اللحن الثائر ص ١١٥ ، قصيدة (أمي) .
[٧٣] أنا والليل ص ١٦٩ ، قصيدة (ميراث أم) .
[٧٤] لأن الشاعرة مغربية الأب ، شركسية الأم ، وأسرة أبيها عريقة في مصريتها .

انظري لِمْ صرتُ حيرى   والدجى يغمر طيفي

طيـــب الله ثراهـــا   إنها أمي ويكفـــي

وقالت عن أُمها : ((في حياتي لا أذكر أني نعمت بقبلة من أُمي ، وفي حياتي لا أذكر ــ أيضا ــ أني وضعت على ثغرها قبلــة . كانــت رغــم بســاطتها وتواضعها تجبرنا على احترامها احترامنا لسيدة غريبة عن البيت كزائــرة او ضيفة))[٧٥] . وقالت : ((من صغري لم أذرِ معنى لجمــال الطفولــة ، أبــي مشغول بالولد الوحيد ، فخور به ، منهمك في العمل على تسليته وأداء مطالبــة ورغباته ، وأمي بحكم غربتها عن موطنها الأصلي تبدو سريعة الانفعال ، يكاد ينضب معين حنانها على الأبناء ، وعلى الأخص أنا بالذات . ولم أذرِ قط مــا السبب ؟ ربما لأنني جئت الحياة رغما عنها ، وربما لأنني لم أهضــم لغتهــا التركية ، وبالتالي فشلت في مخاطبتها بهذه اللغة ، وصرت كما كانــت تقــول لي : فلاحة))[٧٦] .

وهي التي كانت ــ كما تزعم ــ تفضل الشعر على الولد[٧٧] :

وإنَّ حياتي دون شعرٍ رخيصةٌ   وأغلى من الأَنفاس والروح والولد

وكانت تقول في قصيدة (حين أراك)[٧٨] :

أَنا حين أراك أهدّ الهيكل ، أهزأ بالقربــان

أَستأصل من قلبي أغلظَ أقوى أَطول شريان

---

(٧٥) صفحات من حياتي ص ١٠ .

(٧٦) صفحات من حياتي ص ٤٣ ، وتنظر ص ١٧ عن قصة خطف أمها من البيــت فــي (انقرة) وعمرها ثلاثة أعوام وجيء بها الى القاهرة لتعيش في كنف السيدة (حنيفة) قبل زواجها .

(٧٧) أنا والليل ص ١٤٤ ، قصيدة (أقوى من الهوى) .

(٧٨) مختارات من شعري ص ٨ ، قصيدة (حين أراك) .

أنـــزع مـــن قلبـــي شريـــان الأم

أدعو نفســي في مأدبــة العمــي الصُّــم

أَشرب من كأس السلوى والغفلة والنسيان

كودائـــــع تدخـــــــــر لديـــــك

وكانت تقول في قصيدتها (من أجلك)[٧٩] :

ولكي تحيا في البيت السيد والربان

أَخفيتُ عليك شعور الأُم مع الأبناء

ولبستُ قناعَ الصحة وواريتُ الـداء

ومنحتك في العش الهادئ كلَّ أمان

ورضيـــــت بمــــا قســـم الله

كانت تقول هذا وغيره ، ولكنها لم تنكر أُمومتها ، وظلت تحدب علـــى ولـــدها (جلال) وتحنو على ابنتها (ثريا) التي قالت عنها : ((مرت الأيام وفجعنا بموت زوج ابنتي ، وكانت تعز زوجها الإعزاز كله ، فحزنت عليه ، وقد ترك لهـــا ثلاثة أطفال صغار ، ولحسن الحظ كانت هناك شقة خالية في نفس المنزل الذي أمتلكه وأعيش فيه فنقلتها من (شبرا) لتسكنها ، ولكي أُسهم أو تُسهم في رعايتي كلما لزم الأمر))[٨٠] .

ولكنَّ حبها العظيم لولدها (جلال) على الرغم من أَنها تزوجت ثـــلاث مرات ، ولم تشعر بالحب لازواجها او غيرهم كما كانت تشعر بحب وحيـــدها تقول : ((لم استطع أنْ أُحبَّ أحدا من الرجال الذين صادفتهم في حياتي ، لـــم يستطع أَحدهم أنْ يستولي على تفكيري وإِحساسي ، كنت أُحس بـــالنفور كلمـــا

---

[٧٩] مختارات من شعري ص ٢٤ ، (القصيدة في زوجها السوادي) .

[٨٠] صفحات من حياتي ص ١٢١ .

اكتشفتُ فيمن أَحسستُ له بالإعجاب أَنّه غير صادق في بعض تصرفاته او كلماته))[81] .

وبعد :

فهذه ملامح أُمومة الشاعرة جليلة رضا ، وهي أُمومة حرمتها من التمتع بالحياة الهانئة ، لأَن مأساتها في ابنها كانت عظيمة ، وقد جعلتها تلك المأساة لا تشعر إِلا بالأُمومة الصادقة التي هي أسمى ما تشعر به الأنثى في الحياة .

---

[81] صفحات من حياتي ص ٧ .

المصـــادر

١ ــ الأجنحة البيضاء ــ جليلة رضا ــ القاهرة ١٩٥٩م .

٢ ــ اليك يا ولدي ــ الدكتورة سعاد الصباح ــ الطبعــة الثانيــة ــ الكويــت ١٩٨٥م .

٣ ــ أنا والليل ــ جليلة رضا ــ القاهرة ١٩٦١م .

٤ــ رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي ــ الدكتور محمد إبراهيم حُوَّر . أبو ظبي ــ العين ــ ١٤٠١هــ ــ ١٩٨١م .

٥ ــ الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ــ الدكتورة بشرى الخطيب ــ بغداد ١٩٧٧م .

٦ــ الزاوية الخالية ــ لميعة عباس عمارة ــ بغداد ١٩٥٨م .

٧ــ شاعرة الطليعة عائشة تيمور ــ من زيادة (كتاب الهلال ــ العــدد ٦٨) القاهرة ١٣٧٦هــ ــ ١٩٥٦م .

٨ــ شجرة القمر (ديوان نازك الملائكة ج٢ ــ بيروت ١٩٧١م) .

٩ــ شرح ديوان الحماسة ــ احمد بن علي المرزوقي ــ تحقيق احمــد امــين وعبد السلام هارون ــ القاهرة ١٣٧١هــ ١٩٥١م .

١٠ــ صفحات من حياتي ــ جليلة رضا ــ . (كتاب الهلال ــ العدد ٤٢٧) ــ القاهرة ١٤٠٦هــ ــ ١٩٨٦م .

١١ــ صلاة الى الكلمة ــ جليلة رضا ــ القاهرة ١٩٧٥م .

١٢ــ عبد الخالق فريد في رسائل أُدباء عصــره ــ ج١ ــ بغــداد ٢٠٠٢م ، ج٦ ــ بغداد ٢٠٠٥م .

١٣ــ العقد الفريد ــ ابن عبد ربه . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبــراهيم الابياري ــ القاهرة ١٣٧٥ هــ ــ ١٩٥٦ م .

١٤ــ العودة الى المحارة ــ جليلة رضا ــ القاهرة ١٩٨٢م .
١٥ــ اللحن الباكي ــ جليلة رضا ــ القاهرة ١٩٥٤م .
١٦ـــاللحن الثائر ــ جليلة رضا ــ القاهرة ١٩٥٧م .
١٧ــ مجلة الهلال (حزيران ٢٠٠٤) مقالة (الشاعرة جليلة رضا هــل أحبــت الشاعر إبراهيم ناجي ؟) للأستاذ وديع فلسطين ص ١٣٩ ــ ١٤٥ .
١٨ــ مختارات من شعري ــ جليلة رضا ــ القاهرة ٢٠٠١م .
١٩ــ معجم ديوان النساء في صدر الإسلام . الدكتور ليلى محمد ناظم الحيالي بيروت ١٩٩٩م .
٢٠ــ نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر ــ روزغريب ــ بيروت ١٤٠٠هــ ــ ١٩٨٠م .
٢١ــ نفحات الإيمان ــ الحاجة صابرة محمود العزي ــ الطبعة الثانية ــ بغداد ١٤٠٠هــ ــ ١٩٨٠م ، وهي الطبعة التي أصدرتها وزارة الثقافة والأعلام أما الطبعة الأولى ، فقد أصدرتها وزارة الأوقاف ببغداد سنة ١٣٩٩هــ ــ ١٩٧٩م .

التعليم العالي في العراق
ومتطلبات النهوض

الدكتور داخل حسن جريو
عضو المجمع العلمي العراقي

الملخص

يواجه التعليم العالي في العراق في الوقت الحاضر مشاكل كثيرة، بسبب الإضطراب الأمني الذي تعيشه بلادنا منذ شهر نيسان من العام ٢٠٠٣م، بحيث أصبحت الجامعات ومؤسسات التعليم العالي عاجزة عن أداء وظائفها على الوجه المطلوب، الأمر الذي يستلزم التصدي لهذه المشاكل بكل قوة، كي ينهض التعليم ويسترد حيويته لأداء وظيفته العلمية والتربوية، وتأمين حاجات البلاد من الملاكات العلمية. تتناول هذه الدراسة بعض سبل النهوض بالتعليم العالي.

النهوض بالجامعات

لابد من وقفة علمية وموضوعية جادة لتقويم أحوال جامعات العراق ومؤسساته التعليمية، وإعادتها إلى سابق عزها ومجدها ورصانتها العلمية التي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء. ولا عجب بذلك فالنظام التعليمي في العراق عريق جدا يمتد تاريخه الحديث إلى قرن من الزمان عندما افتتحت مدرسة الحقوق في العام ١٩٠٨، وتاريخه العربي الاسلامي يمتد قرونا عندما أسست الجامعة المستنصرية

والجامعة النظامية ببغداد في العصر العباسي. وتاريخه القديم يمتد إلى فجر التاريخ ، فالعراق كما هو معروف مهد الحضارة الانسانية الـذي علم البشرية الكتابة أول مرة في مدينة الوركاء في جنوب العراق، فلا يصح أبدا أن تتدهور جامعاته بهذا الشكل من دون أن يحرك أحد ساكنا لتخليص الجامعات من هذا التردي المريع.

ولكي لا تتفاقم الأمور أكثر وتزداد الشؤون الجامعية سوءا وتعقيدا، بعد أن فقدت الجامعات هيبتها وقدسيتها، وأصبحت مجرد هياكل خاوية وخالية من أي مضمون علمي وتربوي رصـين، وعـاجزة عـن أداء مهامها العلمية التربوية وخدمة المجتمع، ولأجل تأمين تواصل أجيال أمتنا العلمي والحضاري، وتأمين حقها المشروع بإمتلاك ناصية العلـم والمعرفة، لابد والحالة هذه من وقفة صريحة وجريئة للتصدي الحـازم لإيقاف حالة تداعي الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، وذلك بتهيئة كل أسباب الأمن والأمان لمنتسبيها، وتوفير جميع مستلزمات التعليم البشرية والمادية من منطلق أن بناء الانسان المتعلم غاية ووسيلة لتحقيق الرقي والتقدم، إذ لا يمكن لأية أمة أن تنهض وتزدهر حضارتها ما لم يزدهر التعليم العالي إزدهارا حقيقيا.

تتناول هذه الدراسة في البنود اللاحقة أهم متطلبات النهوض بالتعليم العالي في العراق.

إصلاح الإدارة الجامعية

تسعى الادارة الجامعية عادة إلى تحقيق وظيفة الجامعـة المتمثلـة بإعداد الملاكات العلمية التي يحتاجها المجتمع وخلـق البيئـة العلميـة لإجراء البحوث والدراسات وتقديم الاستشارات وخدمة المجتمع. ولكي

تحقق الجامعة وظيفتها العلمية والتربوية على أفضل وجه لابد من اختيار أكفأ العناصر العلمية المشهود لها بالتفوق العلمي وحسن الأداء والسمعة التربوية الممتازة لتبوؤ المواقع الإدارية الجامعية، وبذلك نؤمن إزدهار التعليم العالي إزدهارا حقيقيا الذي هو ركن أساسي من أركان نهضة العراق، ولاختيار القادة الجامعيين شروط عديدة أهمها الكفاءة والتمييز العلمي، بعضهم يتم تعيينهم على وفق شروط ومواصفات محددة لمدد معينة كأن تكون مدة أربع سنوات قابلة للتمديد مرة واحدة ، أو ربما غير قابلة للتمديد، أو أن يكون تعيينهم مددا غير محددة، وبعضهم يتم انتخابهم بطريقة أو بأخرى على وفق شروط ومواصفات معينة بالنسبة للشخص المنتخب، وكذلك للأشخاص الذين يحق لهم الانتخاب، كأن تحدد مدة خدمتهم ومراتبهم العلمية ومواقعهم الإدارية السابقة. على سبيل المثال قد ينتخب مجلس الجامعة أحد أعضائه رئيسا للجامعة، وقد ينتخب مجلس الكلية أحد أعضائه عميدا للكلية، وينتخب مجلس القسم أحد أعضائه رئيسا للقسم وهكذا، وبذلك يتحقق مبدأ القدم العلمي والوظيفي في تسلم المواقع القيادية في الإدارة الجامعية. وقد تتخذ الانتخابات صيغا وشروطا أخرى كأن ينتخب أعضاء مجلس الجامعة ومن هم بدرجة أستاذ في الجامعة رئيس الجامعة، وينتخب مجلس الكلية ومن هم بدرجة أستاذ أو أستاذ مساعد في الكلية عميد الكلية وهكذا.

ولابد من القول أن هناك مؤيدين ومعارضين لكل من طريقتي الاختيار بالتعيين أو بالانتخاب ولكل منهم أسبابه ودوافعه. وأيا كان اسلوب إختيار القادة الجامعيين لابد من أن تتسم الادارة الجامعية بسمات معينة نذكر هنا بعض هذه السمات:

١. الايمان المطلق بحق كل أفراد الشعب بالتعليم على وفـق فـرص متكافئة ومتاحة للجميع على أساس التنافس العلمي والموضوعي.
٢. إمتلاك رؤية علمية وتربوية وأهداف واضحة ومحـددة للجامعـة وتقدير أهمية العلم حق قدره في بناء الامة.
٣. الاعتمـاد على التخطيـط العلمي وتحديد أولويات العمل وتنـشيط دور مجالس الجامعـات ومجالس الكليات ومجـالس الأقـسام فـي الجوانب التخطيطيـة ورسم السياسة العامـة فـي إطـار الـسياسة التعليمية والتربوية للقطـر، على أن يتولى القادة الجامعيون كل من موقعه تنفيذ خطط الجا ـة وبرامجها بالاستفادة القصوى من قدرات جميع المنتسبين إليها.
٤. الاعتماد على مبدأ الحوار الـديمقراطي وتعـرف وجهـات نظـر المنتسبين إلى الجامعة في مختلف شؤون العمل وتقبل النقـد البنـاء الهادف لتطوير الجامعة.
٥. بناء منظومة عمل متكاملة بدءا من القسم العلمي مـرورا بالكليـة وإنتهاء بالجامعة لتأمين انسيابية عمل جيدة وخلق نظـام مؤسـسي تسوده القيم والمبادئ الجامعية السليمة التـي تحـدد سـير العمـل وإتجاهاته وإرتباط الأفراد والجماعات وتحديد مسؤولياتهم بعيدا عن الأهواء والأمزجة الشخصية، وأن يكون الـولاء المطلـق للجامعـة كمؤسسة وليس لشخوص معينة كأفراد بصرف النظر ـن أهمية أي منهم، ولابد من أن تسعى الادارة الجامعيـة إلـى توسـيع قاعـدة المسؤولية كلما أمكن ذلك وعدم حصرها فـي عـدد محـدود مـن الأشخاص مما يتطلب البحث المستمر عن الكفايات العلمية وتطويرها لتكون قيادات بديلة عند الحاجة بلا عناء يذكر.

٦. لابد من أن تسعى الإدارة الجامعية إلى تبسيط الإجراءات وإتباع الاسلوب الديمقراطي بإتخاذ القرارات وفسح المجال أمام جميع العاملين لإظهار قدراتهم ومواهبهم وإبداعاتهم في العمل والإعتماد على مبدأ الثواب والعقاب بصورة عادلة بهدف الإرتقاء بكفاية الأداء لمصلحة تقدم الجامعة ورقيها.

٧. تستمد الإدارة الجامعية الناجحة قوتها من قوة المنتسبين إليها وتماسكها وإنسجامها نتيجة حيويتها وتفاعلها وتآلفها معهم خدمة للمصلحة العامة لذا يجب أن تسعى الادارة إلى توطيد العلاقات الانسانية فيما بينهم والعمل بر ح الفريق الواحد.

٨. استخدام الزمن استخداما حضاريا لمصلحة تقدم الجامعة ذلك إن إضاعة دقيقة من العمل إضاعة لفرصة من التقدم.

٩. الاستخدام المنظم والمبرمج لإمكانات الجامعة على أفضل وجه والعمل بكل الوسائل على تدبير موارد إضافية تعين الجامعة في أداء مهماتها وذلك من خلال الأنشطة والفعاليات الاستشارية لحساب الغير أو عمليات إنتاجية باستغلال حقول الجامعة ومعاملها أو توظيف نتائج بحوث أو دراسات تطبيقية بالتعاقد مع دوائر ومؤسسات أخرى أو ماشابه ذلك.

١٠. مواكبة التطور العلمي في مجال التخصص العام والتخصص الدقيق ورصد حركة تطور الجامعات في البلدان المتقدمة بهدف الاستفادة من تجاربها لمصلحة تقدم الجامعة ورقيها وأداء مهماتها العلمية والتربوية.

١١. لابد من أن تتسم الإدارة الجامعية بالجرأة والشجاعة والصراحة والوضوح والإقدام وعدم التردد بإتخاذ القرارات والقدرة على إختيار

البدائل المناسبة ومعالجة الإنحرافات في سير العمل بموضوعية لتحقيق أهداف الجامعة، وكذلك القدرة على إختيار البدائل المناسبة ومعالجة الانحرافات في سير العمل بموضوعية لتحقيق أهداف الجامعة، وكذلك القدرة على إستثمار جميع الإمكانات المتاحة وخلق الفرص المناسبة لتنفيذ سياسة الجامعة.

١٢. ولأجل أن تتخذ الادراة الجامعية قراراتها بصورة أدق لابد من أن تكون ملمة بشوؤن الجامعة تفصيلا. ولهذا الغرض لابد من أن تتوافر لها قاعدة معلومات رصينة وشبكة اتصالات متطورة وأن تعتمد على آخر مبتكرات الادارة الحديثة ووسائلها.

١٣. وفوق هذا وذاك لابد من أن تسود الجامعة قيم وتقاليد وأعراف جامعية سليمة تستمد جذورها من قيم السماء وفي مقدمتها مبادئ الدين الاسلامي الحنيف والارث الحضاري للأمة العربية المجيدة وأن تؤمن قيادتها إيمانا مطلقا بحق العراق بإختياراته الحرة في العيش الكريم لشعبه وفي وطنه آمنا مطمئنا على مستقبله وسيادته المطلقة في وطنه الواحد الموحد.

متطلبات التعليم العالي الأساسية

شهد التعليم العالي منذ عقد السبعينيات من القرن المنصرم تطورا كبيرا، إذ أصبح التعليم بأنواعه حقا مشاعا لجميع المواطنين، وامتدت رقعته إلى جميع أرجاء القطر. وقد استلزم هذا التوسع إيجاد صيغ وآليات لتقويم العملية التعليمية وضمان رصانتها العلمية لتأمين تخريج ملاكات علمية طبقا لمتطلبات الشهادة الجامعية في كل تخصص بحيث لا تقل عن مثيلاتها في أرقى دول العالم في جميع الظروف والأحوال.

ومن هذه الآليات إستحداث مركز بديوان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في عقد الثمانينيات، بإسم مركز الإشراف والتقويم الجامعي، فضلا عن إستقدام أساتذة زائرين من جامعات عربية وأجنبية للمشاركة في تقويم العملية التعليمية في الجامعات، وكذلك إجراء امتحانات موحدة بين بعض الجامعات المستحدثة وبعض الجامعات القديمة تحت إشراف وزارة التعليم العالي للوقوف على حقيقة مستوياتها العلمية، وكذلك إجراء إمتحانات نهائية مركزية موحدة لجميع الجامعات في جميع التخصصات، بنسبة ١٠% من المواد الدراسية التي يتم إختيارها عشوائيا، ومن دون إعلان مسبق.

وقد أثبتت الوقائع جودة وكفاءة أداء خريجي الجامعات العراقية بتنفيذ مشاريع القطر التنموية الكبرى، وإعادة بناء قاعدته العلمية والتقنية على الرغم من ظروف الحصار الظالم الذي فرض على العراق سنين طويلة بلا وجه حق. إلى الحد الذي أذهل الأصدقاء وأرهب الأعداء ، مما دفعهم إلى إفتعال الحجج والذرائع لتحطيم البنية العلمية والتقنية لقطرنا تحت هذه الذريعة أو تلك، ومحاولات وقف نهوضه الحضاري.

وعلى الرغم مما لحق بهذا التعليم من أضرار فادحة من جراء الحروب والحصار الظالم وبروز بعض حالات شاذة هنا أو هناك، إلا أن منظومة التعليم الجامعي بمجملها بقيت سليمة وتعمل بكفاءة عالية طوال الفترة المنصرمة، بفضل تظافر الجهود الخيرة للمنتسبين إليها وفي مقدمتهم أعضاء الهيئة التدريسية. ولتأكيد هذه الحقيقة يكفي أن نشير هنا إلى استقطاب جامعاتنا لجموع الطلبة العرب للدراسة فيها قبل الغزو الامريكي لبلادنا، واستقطاب سوق العمل العربية والعالمية

لخريجيها، فضلا عن تفوق خريجي جامعتنا بالدراسة في الجامعات العربية والأجنبية في الكثير من المناسبات.

من أجل النهوض والارتقاء بالمستوى العلمي للجامعات إلى أعلى المستويات، لضمان نوعية الخريج طبقا لمتطلبات الشهادة الجامعية في أرقى الجامعات وأكثرها تقدما ورصانة، لابد من بذل الجهود الحثيثة بجميع الوسائل الممكنة لتحقيق متطلبات التعليم الأساسية المتمثلة بالآتي:

١- توفير القاعات الدراسية بالكمية والنوعية المطلوبة للتعليم الجامعي وتزويدها بوسائل التعليم الحديثة .

٢- توفير المختبرات العلمية والمشاغل وتزويدها بالأجهزة العلمية الحديثة والمتطورة.

٣- توفير الفنيين والملاكات الوسطية المطلوبة لتشغيل الأجهزة العلمية وإدامتها وتصليحها بشكل يناسب أعداد الطلبة والتدريسيين.

٤- توفير الملاكات الإدارية ذات الكفاءة للعملية التعليمية الجامعية .

٥- توفير الكتب الدراسية الحديثة وتطوير الخدمات المكتبية للطلبة والتدريسيين.

٦- توفير وسائل الراحة للطلبة من نواد طلابية وأماكن راحة بشكل يخلق حياة جامعية جميلة .

٧- التطوير المستمر لقدرات أعضاء الهيئة التدريسية عن طريق الدورات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات والاستفادة من تجارب الآخرين من خلال الحوار والنقاش وتبادل الآراء واطلاعهم على طرائق التدريس الحديثة وتقنيات التعليم وأساليب التتبع والاستقراء والابتعاد عن أساليب الاملاء والتلقين لبناء شخصية الطالب المتكاملة علما وخلقا.

٨- التطوير المستمر للمناهج الدراسية بحيث تواكب روح العصر وحركة العلوم والتقنية وتلبي حاجات القطر في مراحل تطوره المختلفة.

٩- القياس والتقويم المستمر للعملية التعليمية بهدف تحسين هذه العملية ورفع كفاءة أداء التدريسيين التعليمية ورفع كفاءة أداء الطالب وتطوير الاختبارات والامتحانات وأساليب التقويم الأخرى كمؤشرات على زيادة استيعاب الطالب للمواد العلمية .

١٠- العمل المستمر على ربط النظرية بالتطبيق وتعرف مشكلات العمل من خلال معايشة الطلبة والتدريسيين لهذه المشكلات وذلك من خلال برامج التدريب التي تعد لهذا الغرض.

١١- تقوية العلاقات والروابط بين الجامعات وحقل العمل ومتابعة أداء الخريجين في الدوائر والمؤسسات والوقوف على ملاحظاتها بشأن هذا الاداء للاستفادة منها في إعداد المناهج والبرامج الدراسية لضمان نوعية خريج أفضل.

١٢- الرصد المستمر لحركة العلوم والتقنية ومستجداتها والاعتماد على وسائل التربية الحديثة وتقنياتها المتطورة .

١٣- إيلاء البحث العلمي بشقيه الأساسي والتطبيقي الاهتمام اللازم لذلك.

١٤- خلق بيئة جامعية سليمة [illegible] ـيخ قيم وتقاليد جامعية رصينة تقوم على أساس المودة والاحترام بين أعضاء الهيئة التدريسية والطلبة.

١٥- وضع نظام خاص بالحوافز للموهوبين والمبدعين من الطلبة .

١٦- ربط المكتبات الجامعية بشبكة معلومات وطنية من جهة، وربط هذه الشبكة بشبكات المعلومات العربية والعالمية لتزويد الباحثين ما يحتاجون إليه من معلومات لانجاز بحوثهم .

١٧- إبراز مكانة العلم والعلماء في المجتمع. إن ذلك يتطلب رعاية العلماء والمبدعين وتوفير كل وسائل الراحة والعيش الكريم لهم كي ينصرفوا تماما إلى الأعمال المبدعة والخلاقة ورفد المجتمع بكل ما هو جديد ومتطور .

١٨- تنمية روح العمل لدى الشباب والتسلح بسلاح العلم والمعرفة وإدراك أن عالم اليوم ه عالم العلم وآفاقه الرحبة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذلك أن القوة في عصرنا الراهن ترتبط بمصادر الثروة البشرية أكثر من إرتباطها بمصادر الثروة الطبيعية .

معايير إعتماد مؤسسات التعليم العالي

تهدف مؤسسات التعليم العالي بأنواعها المختلفة إلى إعداد ملاكات بمختلف التخصصات العلمية على وفق حاجة السوق ، فهي بذلك تحتاج إلى الاعتماد من قبل مؤسسات مهنية متخصصة في ضبط الجودة النوعية. وتتمتع هذه المؤسسات المهنية باستقلالية عالية، وتعمل على وفق معايير ضبط الجودة. وهذا يتطلب إستحداث هيئة مستقلة بإسم هيئة الإعتماد الوطنية، تضم الهيئة كبار العلماء والتربويين في التخصصات المختلفة، لفحص جودة مخرجات المؤسسات التعليمية وكفاءة أداء هذه المؤسسات.

ندرج في أدناه أبرز معايير الاعتماد التي ينبغي الأخذ بها:

١. أن يكون للجامعة أهداف تعليمية واضحة .

٢. أن تقوم الجامعة بوضع خطط علمية قصيرة المدى وطويلة المدى، وعلى أن تقوم بتقييم فاعلية هذه الخطط لتحقيق الأهداف المرجوة منها وتصحيح أية انحرافات عند تطبيقها.

٣. أن يتولى إدارة الجامعة جهاز إداري سريع الاستجابة لتلبية احتياجات الكلية.

٤. أن تعتمد الجامعة نظما وبرامج ومناهج دراسية حديثة تستجيب لحاجات مجتمعاتها بكفاءة عالية وتكاليف اقتصادية مناسبة.

٥. أن يتم اختيار أعضاء الهيئة التدريسية من ذوي الخبرة والاختصاص والمؤهلات العلمية العالية.

٦. أن تقوم الجامعة بتوفير البيئة العلمية التي تعزز التطور الفكري والإبداعي لطلابها .

٧. أن توفر الجامعة مصادر المعلومات العلمية والتقنية الحديثة وفحصها بصورة مستمرة للتأكد من حداثتها ومواكبتها للتطورات العلمية في مختلف صنوف المعرفة.

٨. أن تكون المصادر المالية كافية لتحقيق الأهداف التعليمية على وفق خطط الجامعة وبرامجها.

٩. أن تحتوي الجامعة على قاعات دراسية ومختبرات ومشاغل ومكتبة مزودة بجميع المستلزمات الحديثة من وسائل تعليمية وأجهزة ومعدات وكتب ودوريات علمية، فضلا عن وسائل الترفيه والراحة للطلبة وعموم منتسبي الجامعة.

١٠. أن يكون للجامعة جهاز إعلام مناسب للتعريف بأنشطتها وفعالياتها العلمية والتربوية، والتواصل مع قطاعات المجتمع المختلفة.

١١. أن تسعى الجامعة لبناء تقاليد تعليمية ذات مضامين ومعايير أخلاقية عالية جدا.

١٢. أن تعتمد الجامعة معايير ضبط الجودة والنوعية ومعايير الاعتماد المهني، وفحص أداء كلياتها وأقسامها العلمية ومراكزها البحثية بصورة دورية منتظمة.

ويمكن الإسترشاد بالمعايير المعتمدة في الولايات المتحدة الأمريكية المعروفة بمعايير ابت ABET المعتمدة في دول كثيرة، عند وضع معايير إعتماد وطنية، والتي أبرزها الآتي:

المعيار الأول: أهداف البرنامج الدراسي

يجب أن يتضمن البرنامج الدراسي الآتي :

أ – أهداف دراسية معلنة.

ب – أن تكون الأهداف موثقة، يمكن الرجوع إليها وتحديثها كلما دعت الحاجة ذلك .

ج – مناهج دراسية لتحقيق أهداف البرنامج .

المعيار الثاني: مخرجات البرنامج

يجب أن يتضمن البرنامج الدراسي لائحة تصنف بوضوح المعارف والمهارات التي ينبغي أن يتعلمها الطالب بحيث يكون قادرا على الآتي:

أ - إمتلاك المعرفة والمهارة والخبرة بالتعامل مع الأجهزة والمعدات والآلات الحديثة في مجال تخصصه.

ب - القدرة على الاستفادة من العلوم في مجال تخصصه.

ج - القدرة على إجراء التجارب العملية وتحليل بياناتها والاستفادة من نتائجها في حل المعضلات التقنية.

د - القدرة على الابداع في تصاميم المنظومات التقنية.

و - القدرة على العمل الجماعي.

هـ - القدرة على تشخيص المعضلات العلمية والتقنية وتحليلها وحلها.

ز - القدرة على التواصل مع الآخرين بفاعلية.

ح - القدرة على التعلم الذاتي.

ط - القدرة على فهم أخلاق المهنة ومسؤولياتها الاجتماعية.

ي - احترام التنوع الحضاري والثقافي للشعوب.

ك - الالتزام بتحسين المنتجات والعمليات والسعي لتخفيض تكاليفها.

المعيار الثالث: المراجعة والتقويم

يجب مراجعة البرامج الدراسية بصورة مستمرة وذلك بفحص كفاءة الخريجين في حقل العمل، ومدى مواكبتها للتطورات العلمية والعمل على تحديثها .

المعيار الرابع: خصائص البرنامج

تتضمن خصائص البرنامج الآتي :

أ – تحديد متطلبات المنهج الدراسي من العلوم الإنسانية والعلوم الأساسية والتخصص الدقيق .

ب – تحديد عدد الوحدات الدراسية اللازمة للتخرج .

ج – تحديد الساعات النظرية والعملية وساعات التمارين والمناقشة.

المعيار الخامس: هيئة التدريس

أ – يجب فحص مؤهلات أعضاء هيئة التدريس وخبراتهم العلمية والمهنية والصناعية.

ب – العمل على تطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس.

ج – أن تكون أعداد هيئة التدريس كافية لتدريس جميع المواد الدراسية، وقادرة على تطوير البرامج الدراسية وتحديثها .

المعيار السادس: المستلزمات المادية

أ – قاعات دراسية مناسبة ومختبرات علمية مزودة بالأجهزة والمعدات الحديثة.

ب – أجهزة ومعدات ذات مواصفات مناسبة لمثيلاتها في حقل العمل.

ج – حواسيب ومنظومات معلومات حديثة.

د – الارتباط بشبكة المعلومات (الإنترنت).

المعيار السابع : الإدارة والإسناد الخارجي

أ – إدارة الأفراد .

ب – شؤون الطلبة ويتضمن ذلك آليات قبول الطلبة وسبل توجيههم.

ج – الشؤون المالية.

د – متابعة الخريجين.

المعيار الثامن: معايير التخصص

يتطلب أن يحقق البرنامج الدراسي المتطلبات الخاصة بالمهنة التي يعد الطالب لمزاولتها بعد تخرجه.

السيطرة النوعية وضبط الجودة

ازداد إهتمام الجامعات ومؤسسات التعليم العالي بإجراءات السيطرة النوعية لضبط جودة خريجيها لتحسين فرص منافستهم مع خريجي الجامعات الأخرى في سوق العمل، ولاسيما أن هذه السوق تشهد أزمة بطالة خريجي الجامعات في الكثير من البلدان.

يعد التقويم والقياس أحد أهم وسائل فحص كفاءة العملية التعليمية وبيان جودة مخرجاتها، وهو أسلوب تعتمده الجامعات في الكثير من دول العالم المختلفة. ويتخذ التقويم والقياس أساليب ووسائل متعددة بحسب أهمية الموضوع المراد فحصه من جهة، وحسب الإمكانات المتاحة لتنفيذه من جهة أخرى. يمكن ضبط المستوى العلمي للطلبة وقياس كفاءة الاداء بصورة موضوعية عبر وسائل وطرائق متعددة، ندرج فيما يأتي أبرزها وأكثرها ملاءمة لظروف جامعاتنا:

١- تشكيل لجان امتحانية من ذوي الخبرة والاختصاص في كل قسم علمي لوضع الأسئلة الامتحانية في كل مادة دراسية من قبل مجالس الأقسام العلمية وتحت إشراف عمادات الكليات، على أن يراعى بتشكيل هذه اللجان مشاركة تدريسيين من كليات أو جامعات أخرى.

٢- حصر تصحيح الدفاتر الامتحانية داخل الحرم الجامعي بعد توفير الأجواء المناسبة .. وصرف أجور مناسبة، على أن تشكل لجان لذلك من التدريسيين المشهود لهم بالخبرة والكفاءة والنزاهة، وأن لا يصحح التدريسي أكثر من سؤال واحد إلا عند الضرورة القصوى وأن يتم التصحيح طبقاً لأجوبة نموذجية معدة لهذ الغرض.

٣- فحص عينات عشوائية من الأسئلة الامتحانية لبيان مدى عمقها وشموليتها ورصانتها ومدى إستيفائها متطلبات الشهادة الجامعية طبقا للمناهج الدراسية المقررة.

٤- فحص عينات عشوائية من الدفاتر الامتحانية للتأكد من عدالة تصحيحها وصحته وموضوعيته.

٥- يمكن إجراء امتحانات مشتركة في بعض المواد الدراسية المختارة لا على التعيين في عدد من التخصصات العلمية المختارة في جميع الجامعات، على أن يتم الاعتماد على نمط معين من الأسئلة ـي تفحص قدرات الطالب العلمية أكثر من حفظه مفردات ـــج دراسي لجامعة معينة للوقوف على المستوى العلمي في هذه الجامعات بين الحين والآخر، أو كلما دعت الضرورة لذلك.

٦- تحليل النتائج الامتحانية بنهاية كل عام دراسي لتحديد أسباب الاخفاق في بعض الامتحانات بهدف تجاوزها وأسباب النجاح والتفوق بهدف تعميمها ويفضل عقد مؤتمرات تقويمية لهذا الغرض في جميع الكليات .

وبذلك نكون قد ضمنا لجامعاتنا أعلى درجات الرصانة العلمية والحفاظ على استقلاليتها العلمية لتقف على قدم المساواة مع أرقى جامعات العالم والاندفاع أكثر فأكثر في مجالات الابداع العلمي المختلفة وعدم حصرها في قوالب جامدة تحد من زخم هذا الإندفاع المتزايد عاما بعد آخر.

التوصيات

لكي ينهض التعليم العالي في العراق ويزدهر إزدهارا حقيقيا، نوصي بالآتي:

١- إخراج التعليم العالي من دائرة المحاصصة السياسية أو الدينية أو القومية، وذلك بإستحداث مجلس أعلى للتعليم العالي بدلا من وزارة التعليم العالي. ينظم عمل المجلس بقانون خاص به، يحدد صلاحياته ومهامه فيما يتعلق برسم سياسات التعليم العالي، وتحديد سبل تنفيذها لضمان وحدة الأهداف. يرأس المجلس أستاذ جامعي مرموق من ذوي الخبرة والإختصاص، وتحدد درجته الوظيفية بدرجة وزير، ويضم المجلس بعضويته جميع رؤوساء الجامعات العراقية، وعدد من كبار الأساتذة الجامعيين.

٢- إستحداث مجلس للبحث العلمي، ينظم عمله بقانون لرسم السياسات والخطط البحثية في العراق. يرأس المجلس أحد كبار علماء العراق المعروفين في مجال البحوث العلمية المتميزة، ويضم في عضويته عددا مناسبا من علماء العراق في جميع فروع المعرفة العلمية والتقنية.

٣- إستحداث مجلس أعلى للعلوم والتقانة، ينظم عمله بقانون لرسم السياسات العلمية في مجالات نقل التقانات المتقدمة وتوطينها، والعمل على إدخالها إلى العراق للإفادة منها في خطط التنمية الشاملة للبلاد. يرأس المجلس أحد كبار علماء العراق المشهود له بالتميز التقني، وتحدد درجته الوظيفية بدرجة وزير. يضم المجلس بعضويته عددا مناسبا من العلماء والتقنيين المشهود لهم بالتميز العلمي والتقني.

٤- إستحداث مجلس أعلى للتعليم التقني، ينظم عمله بقانون لرسم السياسات التقنية اللازمة لإعداد الملاكات التقنية في التخصصات التي تحتاجها خطط التنمية الشاملة. يرأس المجلس أحد كبار الشخصيات العلمية ذات الإهتمام الواسع والخبرة بشؤون التعليم التقني وتحدد درجته الوظيفية بدرجة وزير، وعضوية عدد مناسب من الشخصيات العلمية المهتمة بشؤون التعليم التقني من داخل الوسط التعليمي أو من خارجه.

٥- إستحداث مجلس إعتماد وطني ينظم عمله بقانون خاص، يتضمن شروط ومعايير إستحداث مؤسسات التعليم العالي المختلفة الحكومية والخاصة في جميع التخصصات العلمية ولمختلف المستويات، والقيام بتدقيق مدى توافر هذه الشروط في الكليات والجامعات. يرأس المجلس أحد كبار الأساتذة الجامعيين المشهود لهم بالكفاءة والنزاهة والموضوعية والتميز العلمي وتحدد درجته الوظيفية بدرجة وزير، وعضوية عدد مناسب من الخبراء في شؤون التعليم العالي.

٦- إيلاء المجمع العلمي رعاية خاصة، بوصفه أعلى مرجعية علمية وفكرية في العراق.

٧- إعادة نظر جادة وشاملة بجميع الأشخاص شاغلي الوظائف الجامعية القيادية بدءاً برؤساء الأقسام العلمية وإنتهاءاً برؤساء الجامعات، للتأكد من أهليتهم العلمية والتربوية والإدارية لإشغال هذه المواقع.

٨- إعادة النظر في جميع الأقسام العلمية والكليات والمراكز البحثية، للتأكد من جدواها العلمية، ومدى توافر شروط إستحداثها، وتوافر متطلباتها البشرية والمادية.

٩- إعادة النظر بجميع برامج الدراسات العليا، ولاسيما برامج دراسات الدكتوراه ، للتأكد من مدى إستيفائها شروط الرصانة العلمية.

١٠- إيقاف جميع برامج الدراسات المسائية في الوقت الحاضر، نظرا لعدم توفر الشروط الموضوعية لإستمرارها.

١١- إطلاق برنامج وطني واسع للبعثات الدراسية لسد النقص الهائل بأعداد هيئات التدريسية في جميع الجامعات وفي جميع التخصصات.

١٢- إصدار قانون لرعاية العلماء والمبدعين والمفكرين.

١٣- العمل على تهيئة كل أسباب العيش الكريم لعلماء العراق ومفكريه ومبدعيه وأساتذة الجامعات.

١٤- التواصل مع علماء العراق المغتربين في أرجاء العالم المختلفة للإفادة من خبراتهم الواسعة في مجالات تخصصاتهم المختلفة.

١٥- إبراز مكانة العلم والعلماء في جميع المناسبات الوطنية، وتخصيص يوم وطني للعلم يحتفى به بالعلماء والمبدعين والمفكرين وتكريمهم بصورة لائقة.

١٦- تسمية بعض الكليات والمراكز العلمية والمختبرات والقاعات الدراسية بأسماء كبار علماء العراق والأساتذة الجامعيين، ولاسيما من خدموا هذه المؤسسات سنين طويلة وتركوا فيها آثارا طيبة، ليكون هذا التكريم قدوة حسنة للأجيال القادمة.

١٧- العمل على تنويع مصادر التعليم العـالي وبرامجـه وأنماطـه وأساليبه.

١٨- إبعاد الجامعات ومؤسسات التعليم العالي عن الصراعات السياسية والدينية والقومية، وجعلها حرما آمنا.

١٩- رصد التخصيصات المالية اللازمة لبنـاء الجامعات بمـا يليـق بمكانة العراق الحضارية.

٢٠- رصد التخصيصات المالية اللازمة لشراء الأجهـزة المختبريـة والمعدات العلمية وجميع اللوازم الدراسية التي تتطلبهـا العمليـة التعليمية، وبما يواكب حركة تطور العلوم والمعارف المختلفة.

٢١- فسـح المجال لإنشاء جامعات خاصـة، تؤسـسها جمعيـات أو مؤسسات علمية أو ثقافيـة، على أن ينظم عملهـا بقانـون، وأن لا تتعارض أهدافهـا ومهامهـا مـع ثوابـت بلادنـا الوطنيـة وموروثها الحضاري.

٢٢- السعي لتوأمة الجامعات العراقية مع جامعات عالمية عريقة.

٢٣- توطيد علاقات جامعات العراق بالجامعات العربية والإسلامية من منظور وحدة الثقافة والأهداف.

٢٤- إستكمال فتح الجامعات في جميع محافظات العراق من منطلـق تكافؤ الفرص لجميع المواطنين.

الخاتمــة

التعليم ولاشيء سواه يمكن أن يفـضي إلــى تقـدم حـضاري أو إقتصادي في أي بلد من البلدان. فبدون نظام تعليمي راقٍ، لا يمكن أن تنهض الأمة وتزدهـر. ومن هــذا المنطلق لابد من بذل جهود حقيقية للنهوض بالتعليــم العالي في بــلادنا، لإعادة ما دمرته آلة الحــرب، ومارافقها وأعقبهــا من أعمال تخريب شامل طــال جميع الجامعــات والمؤسســات التعليميــة في العــراق، فضلا عن التصفيات الجـسدية للعلماء والمبدعين والمفكرين، وهجــرة الآلاف من أساتذة الجامعـات إلى خارج الوطن. تناولت هذه الدراسة أبرز متطلبات النهوض بالتعليم العالي في العراق في أعقاب غزوه وإحتلاله.

المصادر العلمية

١. جريو، داخل حسن

أوراق جامعية

منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٥ م.

٢. جريو، داخل حسن

دراسات في التعليم الجامعي

منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ٢٠٠٥م.

٣. www.abet.org

٤. اغتيال العقول العراقية...الأهداف والخلفيات

شبكة الإنترنت للإعلام العربي،٢٠٠٦.

إسهام الأدب العراقي الحديث في
تطوير الفكر المعاصر

الدكتور محمد حسن علي مجيد الحلي
كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد

الملخص :

للأدب دور كبير في تطوير الشعوب ، وهذا البحث يتعـرض لأهـم القضايا التي أسهم فيها الأدب العراقي الحديث في تطوير الفكـر المعاصـر وقد عالج ذلك التطوير من خلال السياسة والاجتماع والتحرر والثورة علـى الظلم واطلاق المرأة من القيود التي كبلتها عهود القهر والجهل والحرمان .

المقدمــة :

أن الحديث عن إسهام الأدب العراقي في مطلع القرن العشرين فـي تطوير الفكر المعاصر ، يثير الرغبة في الحديث عن علاقة الفنـون والآداب على اختلافها ببعضها ، وبالعقائد الاجتماعية التي يعتنقها الناس والظـروف الموضوعية التي هيأت لهذا الأدب ان يقوم بهذا الدور فـي تطـوير الفكـر المعاصر ، والتمهيد لظهور دعوات اصلاحية تقوّم المجتمع وتبثّ فيـه روح التحفّز للارتقاء والتقدّم .

لقد كانت حقبة الربع الأول من القرن العشرين انعطافا مهما في تأريخ العراق الحديث ، وعصرا متميزا من عصور الأدب والتـاريخ ، فهـي مـن أهـم العصور ، واحفلها بالأحداث ، وهي حقبة التململ والقلـق علـى الصـعيد

السياسي ، وعصر تمرد وثورات عشائرية ومدنية ضد السلطات الأجنبية القائمة ، وعصر دعوات اصلاحيه ، وايقاظ الأفكار على الصعيد الاجتماعي ، وفيها بدت طلائع الاصلاح ، كما أنها عصر تحرك أدبي ونشاط علمي على الصعيد الثقافي الذي مّهد لنهضة العراق الفكرية والأدبية في العصر الحديث ، على الرغم مما أثقلها من ارث القرون الماضية وتراكمات السنين العصيبة ، كما تميزت بهذا النتاج الضخم من الأدب ووفرته فيها ، وبما تميّز به أدباؤها ومفكروها من إسهامات ايجابية على الصعيدين الفكري والأدبي ، ومن مواقف جريئة على الصعيد السياسي ومن صفحات اصلاحية وتقدمية جديدة على الصعيد الاجتماعي ، ومن عطاء متميّز على الصعيد الحضاري والانساني والقومي والوطني ، ولذلك فان تتبع ذلك النتاج الأصيل يوقفنا على حلقة مفقودة فيما اسهم به ذلك الأدب من جهد خلاّق وعطاء مبدع ، وما أسهم به أدباؤها ومفكروها من اضافات نوعية في تطوير الفكر المعاصر والدعوة الى الاصلاح ، لان المفكرين والادباء هم رواد الأمة نحو مستقبل أفضل وتيارها المتقدم نحو الرفعة والكرامة ، لأن الأديب الملتزم بقضايا أمته يُعنى بالضرورة بتطوير فكرها وحضارتها ، ويسهم في خلق جيل جديد يدافع عن ذاتها ، ويؤكد قيمتها ويصور بقلمه آلامها ويُفصح عن تطلعاتها وآمالها بأسلوب لا تدخله الصنعة ولا يهدف الى اقتناص المطامع او التحفز للمغانم . لان الكلمة الحرة اداة إصلاح ، والفكرة الشريفة دفقة ضياء تنير طريق الطموح .. ان هذه الاضافات النوعية التي أسهم بها ادباء مطلع القرن العشرين لم يعطها الباحثون حقها من الرصد والدراسة ، ولم يشيدوا بجهودهم الكبيرة من اجل تطوير الحياة في العراق والاسهام في حضارته وثقافته ، فبقوا جنوداً مجهولين من غير ذكر ، ومنسيين من غير حق .

لقد اتضح اسهام الأدب العراقي الحديث في مطلع القرن العشرين اولاً على (الصعيد السياسي) في تطوير الفكر المعاصر بنضال الأدباء من اجل حريّة الانسان وكرامته في العراق ، وفي البلاد العربية والاسلامية وفي العالم اجمع وفي الدعوة الى الاخاء الانساني والتسامح الديني ، فقد تبلورت المشاعر الانسانية لدى شعراء مطلع القرن العشرين ، وتحولت الى اتجاه انساني عام يؤمن بالانسانية بوصفها قضية مشتركة بين الامم ، ترتفع فوق المصالح الفردية ، وتجتاز قوانين المجتمعات الاقليمية ، ونزعاتها الذاتية واندفاعات أفرادها الضيقة وشهواتهم الشخصية في حب السيطرة والتحكّم في مصائر الشعوب . وقد احتلت هذه النزعة الانسانية مساحة واسعة من أدب العراقيين في هذه المرحلة من حياتهم ، فدعوا الى ان يتجرد الانسان من عوامل الانانية ونوازع الشر ، وأساليب الدمار ، ونبذ الدعوة الى الحروب بهدف تحقيق الاطماع الاقليمية او الذاتية والعنصرية التي تعكر صفو الانسانية وتهدد الوجود البشري ، وتفني الحياة وتحرق الأخضر واليابس .

فالشاعر جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ـ١٩٣٦) دعا الى ان يحيا العالم حياة فاضلة ، ويعيش الناس تحت ظلال المحبة الوارفة وعلى بساط وثير من الامن والالفة والتعاون في قصائد كثيرة من شعره ويحسن الظن بالمستقبل ويتفاءل بأنه سيكون أفضل للانسان . منها قوله :

سيهذّب المستقبلُ الانسانا	حتى يكون أبرّ مما كانا
حتى يبدّل من خصومته رضا	من القساوة رأفة وحنانا
حتى يكون الناس اجمعهم يدا	تجني الثناء وتزرع الاحسانا
حتى يكون البعض مسعد بعضهم	وجميعهم لجميعهم أعوانا[١]

[١] ديوان الزهاوي ١ / ١٥٨ ـ ١٥٩ تحقيق د. محمد يوسف نجم .

ويستلهم الشاعر(محمد رضا الشبيبي ١٨٨١ـ ١٩٦٥) روح الطبيعة الوادعة والفة ازهارها مثلا للوئام في الحياة، ويتمنى للناس جميعا الفة مثل الفة الزهور ووداعة مثل وداعة غصونها المتعاطفة واشجارها المتآلفة ، فيقول :

حسدتُ الزهورَ لان الزهور كأخوان جامعة مُثَّلِ
ويا للمودة بين الغصون اذا ما جرى نفسُ الشمألِ
فهذا يقول لذاك : اعتنقْ وتلك تشير لذي : قبلي

ثم يعجب اشدّ العجب مما يفرّق الناس وهم يملكون عقولا تفكّر وعواطف تتأثر ، ونفوسا تشعر ، ورغبات تتشوق للحياة ، وتتطلع نحو الأفضل ، ويتساءل في حيرة شديدة عما يفرّق الناس فيقول :

فما لبني قومنا الاكرمين قد افترقوا كالمها الجفّلِ
يبيدُ القويُ حياة الضعيف ويودي المسلّحُ بالأعزلِ
فمرتفعون لاوج السما وهاوون للدرك الاسفل[٢]

اما الرصافي (١٨٧٥ ــ ١٩٤٥) فيعجب من تنوّع البشر واختلاف أجناسهم ، مع ان الكون واحد ، والانسانية واحدة فلماذا هذا التنافر :

ولما رأيتُ الكون في الاصل واحدا عجبتُ لان الخلقَ فيه ضروبُ
وان اختلاف الآدميين سيرةً وهم قد تساووا صورةً لعجيب
رأيتُ الورى ، كلاّ يراقب غيره فكلٌّ عليه من سواه رقيب[٣]

ومن محاور (الدعوة الى السلم) واشاعة روح المحبة والوئام بين الشعوب مما اضطلع به الأدب العراقي في هذه الحقبة : دعوة الشعراء العراقيين الى (التسامح الديني) والتوكيد على انسانية الأديان السماوية وكونها

---

[٢] ديوان الشبيبي ١٧٢ ــ ١٧٣ .

[٣] ديوان الرصافي / ص٤ ط٦ مطبعة الاستقامة ــ القاهرة من قصيدة (في مشهد الكائنات) .

مبادئ محبة وتوفيق بين البشر وليست ادوات عداوة وتفريق ، وانها جميعا تعمل على اسعادهم ونبذ الخصومة والفرقة بينهم ، ويتجلى هذا الاتجاه لدى كثير من شعراء العراق المعاصرين .. منها قول الشاعر الرصافي :

علامَ التعادي لاختلاف ديانةٍ ... وان التعادي في الديانةِ عدوانُ

فأي اعتقاد مانع من اخوّة ... بها قال أنجيك كما قال قرآن

فمن قام باسم الدين يدعو مفرقا ... فدعواه في أصلِ الديانةِ بهتان[٤]

اما كاظم الدجيلي (المولود سنة ١٨٨٤م) فيقول في ذلك :

حكاية اديان الانام عجيبة ... تجمع فيها فرقة ووئام

تريد الهدى والخير للناس كلهم ... وكم ثار منها فتنة وخصام[٥]

ويسير في هذا الدرب حشد كبير من شعراء العراق وأدبائه ومفكريه يستطيع المستزيد ان يجد الكثير منها في دواوين الزهاوي والرصافي والكاظمي والشبيبي وعلي الشرقي واحمد الصافي النجفي وغيرهم ، ولا شك في ان استقرار الشعوب وتعاونها وتآلفها وتقاربها من بعضها وشيوع روح المحبة والتعاون بينها ، ثم اشاعة التسامح الديني بين الناس كل ذلك يتيح لها جميعا ان يسهم في تطوير الفكر وتفتّح الاذهان ورفد الحضارة بالقدر الممكن الذي تتيحه قدرتها ، وتسعفها به امكاناتها ، وهي مساهمات مشهوده في الأدب العراقي الحديث في الدعوة الى التعاون وسيادة الطمأنينة وفي بناء الانسان وتوفير الاستقرار له ليستطيع بدوره ان يرفع صرح الحضارة ويرفدها بعطاء جديد ويطور فكرها واستعدادها لبناء مستقبل افضل .

---

[٤] ديوان الرصافي ١٣١ .

[٥] الأدب العصري – رفائيل بطي ١/ ١٩٧ المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣ .

وقد رافق الدعوة الى التسامح الديني ونبذ التعصب : (الدعوة الى العدل) والمساواة بين الناس ، وقد ارتبط ذلك لدى الادباء بالاصلاح السياسي والاجتماعي ، ومما كانت تعانيه البلاد من تأخر مريع اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، واعتقدوا ان جزءا كبيرا من دواعي ذلك التأخر عامله كثرة المظالم وانعدام الانصاف ، وافتقار الحكم الى العدل ، فهناك المرتفعون الى اوج الفضاء ببذخهم وسلطانهم ، وهناك المسحوقون المقهورون ، لذلك بدا العدل كأنه ذلك الحبيب الغائب الذي طال انتظارهم له ، وصاروا يخاطبونه مخاطبة العاشق المترقب والمحب الولهان .

فهذا الشاعر الزهاوي يقول انه لن يطيب له عيش ان لم يحبه ذلك الحبيب الذي انتظره ، واكثر من صدوده وجفائه :

ايها العدلُ أنت أنت الحبيبُ — ان عيشي ما غبتَ ليس يطيبُ
ما لمن قد دعوته لا يُجيب — كل هذا الصدود منه عجيب

أعدتَهُ من الوصال العوادي

أنت يا عدلُ كالضياء واجمل — ما لآسٍ الا عليكَ المعوَّل
بك احلام ليلنا تتأول — ايها العَدل ، انما انت للقلب ، مرادٌ وفوق كل مرادِ[٦]

لذلك راح الزهاوي يعرض على السلطان عبد الحميد ان ينظر الى الرعية واصرارهم بعين العدل والانصاف ويحقق ما في نفوسهم من توق للاصلاح ومنحهم بعض مالهم من حقوق ، اذن لفداه الشعب بالاراوح :

---

[٦] ديوان الزهاوي ١/٢٨ .

ماذا على السلطان لو اجرى الذي   تشتاقه الاحرار من اصلاح
تالله لو منح الرعيّـــة حقهـــا   لفداه كل الشعب بالارواح[٧]

اما رفيقه في الكفاح (الرصافي) فهو يوضح البون الشاسع بين المترفين من المتنفذين والحكام واهل السلطة الى حد التخمة والمعوزين من الناس حتى حد الانسحاق ، ويحثّ على ردم الهوّه العميقة بينهما وهو وضع لا يناسب العدل ولا الشرع ولا قوانين الحياة فـي قصـيدة طويلـة مشـهورة لـه بعنـوان (آل السلطنة) التي مطلعها :

هُمْ يُعدّون بالمئآت ذكورا   واناثا ، لهم قصورا مثاله [٨]

ومحاور دعوة العراقين الى السلم ، هو دعوتهم لنبذ الاحتراب بين الشعوب لان الحروب اذا نشبت لا تبقي ولا تذر وهم اهم عوامـل شـقاء الانسـان وفناء البشرية :

فهذا الشاعر خيري الهنداوي (١٨٨٥ـــ ١٩٥٧) يصـف بشـاعة الحرب ويبيّن اهوالها ومآسيها وهي تطبق على الارض والنـاس والبحـار والصخر والشجر والثمار ، فتقطعهم باسنانها وتلفحهـم بشـواظها وتحـرق الاخضر واليابس حتى يمسي الناس والحجارة وقودا لها ، حين يقـول فـي قصيدة طويلة بعنوان (الحرب والارض) سنة ١٩١٤:

أججتْ هذه البسيطـة نـارا   ينضج اللحمَ حرُّها والجلـودا
شرَرٌ طبّق البحـار هبوطـا   واعتلى غارب الوهادِ صعودا
احرق المال والنفوس وآلـى   لا نباتـا يُبقـي ولا جلمـودا
عمّ وجه الصعيد طرا فامسى   كل شيء على الصعيد وقـودا

---

(٧) المصدر نفسه ١/ ٤ .

(٨) ديوان الرصافي ٤٠٨ ــ طبع القاهرة .

رحمـــة أيها الملوك بأهـــل الار ض ، وكفّوا جيوشكم والجنودا
ضاقت الأرض بالذي حلّ ذرعا فاكضهّرتْ ، وأوشكت ان تميدا
وتلافوا بقيـــــة السيف منكـــم فهي بالسيف اوشكت ان تبيـــدا
جرّدوها عواطفــــا وشعـــورا وادفنوهـــا ضغائنـــا وحقـــودا[9]

ويدهش الشاعر عبد المحسن الكاظمي (١٨٧٠ـ١٩٣٥) من الضراوة في طبع الإنسان حتى تدفعه نوازعه الى العداء مع أخيه الإنسان مـــن غيـــر مبرر ، بل قد يتحول الانسان في نظر الانسان الآخر الى وبـــاء مخيـــف او طاعون فتاك ، عليه ان يتقيه ، واعدوا لهلاك الانسان كل وسائل المـــوت . فيقـــول :

ما عهدنا الانسان كـــان وبـــاءً يتقيه الانســـانُ او طاعونـــا
هزأوا بالحياة ، وارتجلوا الموت وعاد السلامُ حربـــا زبونـــا
ملكوا الارضَ والسماء فاضحى كل فوق من ذلك الجو دونا
حلّقوا كالطيـــور فـــوق طيـــور نستزلُ العقـــاب والشاهينـــا
انشأوا المهلكات ترسو وتطفـــو في الهوا مرةً وفي الماءِ حينا
شيّدوها مثل البروج فصـــارت لهلاك الورى سفينا سفينا[10]

وقد كرر الدعوة الى نبذ الحروب ، والـــدعوة الـــى الســـلم شـــعراء العراق في قصائد كثيرة من أشعارهم تجدها في دواوين عبد المحسن الكاظمي ومعروف الرصافي ، والزهاوي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد حبيب العبيدي وغيرهم كثير .

---

[9] خيري الهنداوي ـــ د . يوسف عز الدين ١٧٣ ـــ ١٧٤ .

[10] ديوان الكاظمي ـــ شاعر العرب ـــ م١ / ص ١٥٥ ـــ ١٥٦ .

ولا شك في ان الدعوة الى السلم ونبذ الحروب اسهام كبير في صيانة الحضارة الانسانية من الدمار ، وإنقاذ صرح المدنيـة مـن الانهيـار ، لأن الحضارة لا تزهو الا في اجواء الطمأنينة والاستقرار ، وفـي إبعـاد شـبح الحرب والموت والدمار ، وفي هذا تطوير للفكر واسهام عظيم فـي صـيانة الحضارة ولكن ، قد يكون غريبا مني بعد هذا أن أقول هنا : ان من مظـاهر اسهام الأدب العراقي في بناء الحضارة الانسانية ايضا في تطوير الفكر معـا هو : ((دعوة الشعراء العراقيين الى الحرب)) . نعم انا ازعم ذلـك ، لكننـي اسارع لتوضيح هذه المفارقة ، فأقول وانا أقصـد (الـدعوة الـى الحـرب الدفاعية) .. فقد دعا رهط من شعراء العراق الى الكفاح وشن الحرب علـى المستعمر الدخيل والتصدي للغزاة ، وطرد الاجنبي الطامع . والـى تحقيـق الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وهذه لاشك في انها رسالة انسـانية نبيلـة تسهم في وضع أُسس العدل السياسي بين الشعوب ، لان غزو الامم وابتزازها والسيطرة عليها بالقوة الغاشمة ونهب ثرواتها وخيراتها ، تعطل من الطاقـة الخلاقة للشعوب وتوقفها عن البناء الحضاري ، وتنهي دورها فـي العمـل والبناء ، وتشلّ قدرتها على الإبداع الذي يُرفد الحضارة بعطاء جديد وفكـر متنور ، لان المكبّل لا يعمل ، والمشـلول لا يتحـرك ، والجـائع لا يفكـر والمقهور لا يُبدع ، فمحاربة الاستعمار . وطرد الدخلاء اذن اسـهام فكـري خطير وبهذا الدور الفكري الخطير نهض الأدب العراقي في هذه المرحلة .. وقد اتضح ذلك بشكل جَليّ في مناجزة السلطة العثمانية الاجنبية المبتزّة فـي مطلع القرن العشرين ، ثم في مقاومة الاحتلال الانكليزي بعد ذلـك ، وفـي التصدي له والوقوف بوجهه ، وفي تصوير ذلك الثبـات البطـولي العنيـد للاحتلال ، وفي مواجهة تلك الجحافل الغازية بكل ما لديها من سلاح حديـد وثقيل ومتطور ، ثم تجلى بعد ذلك أيضا وبشكل عظيم في وقوف الشـعراء

جنبا الى جنب مع أبطال ثورة العشرين ، لذلك اضطر الشعر العراقي في مرحلة الاحتلال الجديد هذه ودخول مستعمر آخر الى البلاد (الى التخلي عن شعارات الدعوة الى السلم) ، التي كان يدعو إليها في مرحلة سابقة ، الذي كان ينطلق عن تفهم حقيقي لمعاني السلم والانسانية والوئام والتعايش ، لان موقفه ذاك الداعي الى السلم ونبذ الحرب لم يكن موقف الذليل الخائف ، ولا دعوة المتهالك المرتجف ، انما هو موقف الانسان النبيل ، ودعوة المدرك المتفهم ، وشعار الواعي المسؤول . فالعراقيون لم يطلبوا السلم اول الامر كيفما اتفق ، وماذا كان شكله ، وبأي ثمن معروض ، انما هو السلام المشرّف القائم على العدل واحترام حقوق الشعوب والامم ، والا فما هم براغبين فيه ان كان سلاما ذليلا او هدفه مهينة او استعمار جديدا . فان لم يحصل ذلك فالحرب اذن ، الحرب التي تحفظ للانسان كرامته وللشعب كيانه وللوطن حريته وللامة حقوقها واستقلالها ، انه النَفسَ العربي الأصيل منذ القدم حين أطلقها الشاعر العباسي بشار بن برد حين قال :

وحاربَ اذا لم تعطَ الاظلامة　　　شبا الحرب خير من قبول المظالم[11]

فالعراقيون يجنحون للسلم ماجنح العدو لها ، فاذا ما ركب رأسه وتكبّر وتمرّد فهي الحرب اذن ، ولتشرع السيوف وتجر الدماء وتفلُ التضحيات ان لم يكن منها بدّ ، او لم يكن لها بديل ، لان (شَبا الحرب خير من قبول المظالم) :

ان من اول السمات الفنية لشعر (الحرب الدفاعية) هذه ، هي الاساليب التي صيغت بها ، وفخامة اللغة وجزالة الالفاظ ، وارتفاع النبرة وعلو جرس القافية ، وذلك يشير الى ان الشعراء كانوا يصدرون عن عواطف متأججة ، ووطنية صادقة وحماسة طاغية ، على انها امتازت من

---

(11) ديوان بشار بن برد ٤ / ١٧٣ القاهرة ١٩٦٦ .

جانب اخر بقلة الصور الفنية وقلة الخيال ووضوح المعاني ، لان الشعراء كانوا محتاجين الى تحشيد الجموع ورصّ الصفوف واثارة الحماس ، اكثر من حاجتهم الى جمال الصورة ورقة اللفظ وحسن المجاز وطرافة الخيال حتى كان الشعراء في بعض الاحيان يضطرون الى ان يستبدلوا القصيدة المنظومة بالخطبة الثائرة[١٢] لقلة الوقت وتزاحم الاحداث وتسارع المواقف والحاجة الى المزيد من القول والارتجال .

فالشاعر (خيري الهنداوي) الذي مر بنا داعية للسلم ونبذ الحروب وبيان بشاعتها ، وتصوير آثارها المدمرة ، نجده هنا حين تنمّر المستعمر وطغى الدخيل وقرر البقاء في البلاد بقوة السلاح ، واستبدل المحتلون منطق العقل والحكمة بالعنجهية والبندقية ، صار الهنداوي يدعو الى (الحرب الدفاعية) ان لم يكن منها بدّ ، وان يُقرع الحديد بالحديد ، وتُضرب الوجوه بالرصاص ، وتُشعَل النيران ، ولتكن حربا ضروسا تشيب لها الولدان :

واذا لم يكن من الموت بدّ فلنثرْها حربا تُشيب الوليدا

ولنمت في الدفاع عن حرم الحقّ فقد بات وهو يشكو الجحودا[١٣] .

ووصف الشاعر حسين كمال الدين (المولود سنة ١٨٩٦م)[١٤] الحرب الدفاعية بانها : (حياة الشعوب) ـ :

إنما الحرب للشعوب حياة امةُ الحرب عمرها غير فاني[١٥]

ودعا (الرصافي)أيضا الى الحرب الدفاعية حين اجتاح المحتلون طرابلس

---

[١٢] انظر ما جاء في مقدمة ديوان (البركان) للدكتور محمد مهدي البصير .

[١٣] خيري الهنداوي ١٧٤ .

[١٤] انظر ترجمته في (شعراء الفرس) ٣ / ٢٥٠

[١٥] جريدة العراق (البغدادية) عدد ١٥٠ ٢٨ مايس ١٩٢٢ .

الغرب سنة ١٩١١ ، وأوقعوا بها من المجازر ما تقشعرّ لها الابدان[١٦] فهالته وحشية المهاجمين ودعا الى الحرب كل أهل الشرق والوقوف بوجه الغـرب المستعمر الذي يتسربل مدنية كاذبة . حين قال :

الا انهضْ وشمّر ايها الشرق للغرب وقبّل غرار السيف واسلُ هوى الكتْبِ

ولا تفتررْ ان قيل عصر تمـــدّنٍ فان الذي قالوه من اكذب الكـذب[١٧]

لكن القصيدة الخالدة من الشعر العراقي التـي دعـت الـى حـرب الايطاليين والدعوة لمقاومتهم واخراجهم من طرابلس الغرب ، التي اشتهرت من بين مجموع قصائد الشعر العراقي في العراق في تلك الحقبة[١٨] ، هـي القصيدة النونية البليغة للشاعر عبد المطلب الحلي (١٨٦٢ـــ١٩٢٠) التـي استنهض بها العرب في كل مكان لنصرة طرابلس ، حـين اهتـزّ العـرب والمسلمون في كل أقطارهم لحدث احتلالها من الطليان ، فدعا الى (الحـرب الدفاعية) والى مقاومة المحتلين ، في قصيدة طويلة ، قال في قسم منها :

إيّها الغربُ منك ماذا لقينـا كلّ يوم تُثير حربـاً طحونـا

تُظهر السلم للانامِ وتُخفـي تحت طيّ الضلوع داءً دفينـا

كم دماءٍ معصومة قد سفكتم وهنكتم هناك عرضا مصونـا

قل لايطاليـا التي جهلتنـا بثبات الإقدام هـل عرفونـا

ارأيتم ضرب المباتـر انّـا بشبـا العزم دونـه واتقونـا

كيف رعناهُمُ الغداة بضربٍ جعل الشكّ في المنايـا يقينـا

---

[١٦] انظر عن مأساة طرابلس واجتياح الطليان لها : البلاد العربية والدولة العثمانية ــ ساطع الحصري ، ١٧٣ ــ ١٩٢ ــ بيروت ١٩٦٥ط ٣ .

[١٧] ديوان الرصافي ٣ / ٢٦٠ ط وزارة الاعلام ــ بغداد .

[١٨] انظر عن الشعر العراقي الذي قيل في حرب طرابلس : مجلة كلية الاداب / ج بغداد مقال ــ ابراهيم الوائلي ــ (الشعر العراقي في ضرب طرابلس) ع/٧ نيسان ١٩٦٤ .

زاحفونا بجيشهم فرحفنا وقلبنا على الشمال اليمينا

ـــــــــــ

يا رسولي للمسلمين تحمّلْ صرخةً تملأُ الوجود رنينا

وتعمّد بطحاءَ مكة واهتف ببني فاطم ركينا ركينا

وعلى الحي من نزار وقحطا ن ، فعجْ ، وامزج الهتاف حنينا

فالحراكَ الحراكَ يا فئةَ الله الى الحرب لا السكون السكونا[19]

اما مواقف الشعراء العراقيين من ثورة العشرين فانها تعدّ امثلة متميزة في الدعوة الى (الحرب الدفاعية) ، فقد اخلصوا القول وصدقوا النية واعلوا الصوت والجّوا في التصدي وتعرضوا بعد ذلك لاصناف من الاذى والتعسف والسجن والنفيَ ، ولكنهم لم يهنوا ولم يضعفوا .

فالشاعر محمد مهدي البصير (١٨٩٦ ــ ١٩٧٤) يرسم صورا كثيرة لمعارك ثورة العشرين ، ويدعو الى حرب المحتلين ومناجزتهم ، ويصور المواقع التي دار رحاها بين الثوار وقوات الاحتلال من مناطق كثيرة من العراق . منها وصفه لما جرى في مواقع الفرات الاعلى ، وديالى ، واصابه الثوار من نجاح ، حين يقول :

فاض العراقُ جحافلا وجرى ديالى بالمقانبْ

واحتلت المدن العديـ دة ، فهي حكم المضاربْ

اهلا بخافقة البنو دِ ، تظل زاحفة المواكب

اهلا بلامعة السيو ف ، كأنها الشهب الثواقب

ظنوا العراق فريسةً وقد التقت فيه المخالب

فتسلحّوا لرجاله بمكائد الخصم الموارب

---

[19] شعراء الحلة ــ علي الخاقاني ٣ / ٢٣٠ ــ ٢٣٣ ، وديوان عبد المطلب الحلي (مخطوط) من عملنا ، موجود لدينا مهيّا للطبع .

وسعوا لشقّ صفوفــه مكرا ، فكان المَكُــر خائبْ
حتى اذا ما جاش كالتيّارِ ر ، ملتطـــم القــــوارب
كانوا كناكصة الذئـــآ بِ ، يشلّها الاسد المغاضبْ[٢٠]

ويشترك في الدعوة الى (الحرب الدفاعية) في ثورة العشرين ــ فضلا عــن البصير رعيل كبير من شعراء العراق ، كان من أشهرهم : خيري الهنداوي ومحمد باقر الحلي ، ومحمد باقر الشــبيبي ، ومحمــد مهــدي الجــواهري و محمد حسن ابو المحاسن الكربلائي وعبد الكريم العلاف وناجي القشطيني وعلي البازي ، وعطا الخطيب ومحمد علي اليعقوبي ومحمد حبيب العبيــدي وكثيرون غيرهم ، على انّ نفرا قليلا من الشــعراء العــراقيين اضــطرتهم ظروفهم الى عدم المشاركة ، او الى الصمت[٢١]

لذلك تبقى دعوة الشعراء العراقيين في ثورة العشرين وفي غيرها من حركات التحرر ومقاومة المحتلين والاستمرار في الكفاح ضد المستعمرين حتى يملّوا من الاقامة غير المجدية في ارض ترفضهم وتنكر وجودهم ، وتستنزف منهم نفقات باهضة في الانفس والاموال اسهاما حقيقيا في رفــد الحضــارة بقــيم انسانية مستقرة مبنية على العدل والانصاف واحترام حقوق الشعوب ، واقرار استقلالها وتوكيد سيادتها في بلدانها لتؤدي دورهــا فــي ســاحة الحضــارة ويكون الأدب العراقي في هذه المرحلة قد أدى دوره الحضاري العظيم وفــي تطوير الفكر المعاصر .

---

[٢٠] ديوان (البركان) ــ محمد مهدي البصير ــ مطبعة المعارف ــ بغداد .

[٢١] انظر عنهم وعن ظروفهم : (شعراء الدرجة الثانية يقودون ثورة العشرين) مقال د. محمد حسن علي مجيد ــ جريدة القادسية ، عدد ٣٠ حزيران ١٩٩٥ . وثورة العشرين في الشعر العراقي ــ ابراهيم الوائلي ٢٣ ــ ٢٧ .

(٢)

أما اسهام الأدب العراقي في هذه المرحلة على (الصعيد الاجتماعي) . فانه يتمثّل في مجالات كثيرة ايضا . منها محاربته للآفات الاجتماعية التي تنخر في جسد المجتمع ، وفي الوقوف في صف الفقراء والبائسين والمعوزين والمظلومين وتبيان معاناتهم والدعوة الى انتشالهم من وهلة البؤس والشقاء ، وانتزاعهم من الألم والجوع ، ثم في وصف حالة الفلاح العراقي وبؤسه ، والدعوة الى الأخذ بيده وانصافه وتخليصه من محنته ، ثم في الدعوة الى انصاف المرأة وتعليمها ومنحها حقوقها الاساسية بوصفها نصف المجتمع ...

هذه هي اهم محاور اسهام الأدب العراقي على الصعيد الاجتماعي حينما ساد فيه خاصة ، وفي عموم الأدب العربي في مطلع القرن العشرين ، والى سنين كثيرة منه ، روح الشعر الاصلاحي المطالب بانصاف الفقراء والمظلومين والجياع والمساكين ، لكن نفثات الشعراء العراقيين وحملتهم في الدعوة الى انصاف الطبقات الفقيرة ووصف احوالها في هذه المرحلة ، كانت اشدّ حرارة واعلى صوتا واكثر الحاحا من زملائهم شعراء الاقطار العربية الاخرى ، فالرصافي والزهاوي والكاظمي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي وكاظم الدجيلي ومحمد حبيب العبيدي ومحمد الهاشمي ومهدي الجواهري ومهدي البصير وعلي الشرقي والصافي النجفي ومحمد صالح بحر العلوم ، كان شعرهم الاجتماعي يتسم بطابع الكفاح والدعوة الى الاصلاح ، الذي هو ابرز سمات الشعر العراقي في هذه المرحلة ، واذا ما اردنا ان نتتبع الشعر العراقي الذي قيل في الذب عن الفقراء والمظلومين والبائسين والدعوة الى انصافهم والتخفيف عن آلامهم اذن سنجد أنفسنا امام ركام هائل من قصائد الشعر الاجتماعي ، لان ذلك مرتبط

بطبيعة المرحلة التي كان يمرّ بها العراق نتيجة للوعي الفكري من جهة . وللتردي الاقتصادي والاجتماعي من جهة اخرى . بحيث تحول الشاعر العراقي ــ بشكل عام ــ من فنان مبدع يصوغ اللحن وينتقي اللون ، ويتخيّر التعبير، ويجهد في التصوير الى مصلح اجتماعي يهمه ابراز المعنى وتوضيح الفكرة وتنبيه الناس الى الواقع الكالح ومحاولة تغييره ، لان الفقراء كانوا في هذه المرحلة يعيشون حياة صعبة وحالة مزرية ، يقتلهم الهمّ وينهشهم الجوع ويعضّهم الحرمان والجشع والاستغلال ، فقد كانوا يسكنون في المدن في بيوت ضيقة مزدحمة بساكنيها ، تتكتل فيها الأُسر في غرف رديئة الحال واذا ما انهمر المطر في الشتاء امتلأت البيوت بالاوحال والاطيان ، وقد لا يجدون ما يردّ عنهم زمهرير الشتاء الا خرقا بالية مرقعة لا يغيرونها حتى تبلى ، وغالبا ما يموت المريض منهم قبل ان يراه الطبيب واكثر طفالهم يموتون من سوء التغذية ، او من الجهل في تربيتهم واكثر الآباء مصابون بمختلف الأمراض الفتاكة المعدية وقد لا أذيع سّرا اذا قلت ان ديوان (الرصافي) يحوي الكثير مما يمثل هذا الاتجاه في الأدب العراقي الحديث وفي رصد الآفات الاجتماعية ووصف حالات الفقراء والمعوزين والارامل والمطلقات والمحرومين ، فقد كان الرصافي ((اول شاعر عراقي عُني بالمشكلات الاجتماعية في عصره))[٢٢] ، وقد روى الرصافي عن نفسه قوله ((ان مشاهد البؤس كانت من الدواعي القوية عندي في نظم الشعر))[٢٣] . ولعل ذلك عائد الى انه واحد من ابناء تلك الطبقة المكدودة التي أرهقتها الأيام وعانى في حياته الامرّين من شظف العيش وشديد الحرمان من صغره حتى

---

[٢٢] الشعر العراقي الحديث ــ مرحلة وتطور ــ د. جلال الخياط ــ ط١ ٦٣ .

[٢٣] معروف الرصافي ــ بدوي طبانة ط٢ ص١٧١.

ايامه الأخيرة ووفاته . لذلك لا يكاد يرى منظر محزنا الا رصده ووصفه ولكن باسلوبه المعروف المعتمد على النقل المباشر والمعاني الحسية المباشرة المنتزعة من واقع المجتمع بدقة ومنها قصائده الشهيرة في هذا الباب : (ام اليتيم ، واليتيم في العيد ، والفقر ، والسقام ، والمطلقة ، والارملة المرضعة ، والسجن في بغداد ، واليتيم المخدوع وام الطفل في مشهد الحريق) وغيرها كثير مما حواها ديوانه في طبعاته ((التي يبلغ فيها الذروة في وصف الاحاسيس البشرية المشاعر الانسانية ... وفي تصوير مشاهد البؤس والشقاء كيما يستطيع أن يؤثر في الناس لعلهم يبصرون ما تحت أعينهم من آلام شجية واوضاع مضنية)) .[٢٤]

على اننا لابد من أن نذكر هنا ان اتجاهات الشعراء العراقيين في تبيان المآسي الاجتماعية كانوا قد اهتموا من الناحية الفنية بابراز الفكرة والعناية بالهدف وتأكيد المعنى من دون الاهتمام الكثير باضفاف الخيال ورهافة الموسيقى وحبكة الاحداث ، ولكنها من الناحية الاخرى قد اشتملت على الصدق الفني والانفعال الحقيقي الذي صور اعماق الشعراء وصدق أحاسيسهم ورغبتهم في تصوير الآلام وبسطها امام الناس لمداواتها وتلافيها ..

(٣)

ومن مجالات اسهام الشعر العراقي في تطوير الفكر المعاصر على الصعيد الاجتماعي : رصد (مشكلة الفلاح) والدعوة الى انصافه ، لان الفلاح العراقي كان نهبا بين موظفي الدولة في العهد العثماني ، واطماع شيوخ الاقطاع ووكلائهم من صغار الملاكين ، فقد كان فريسة دسمة لاؤلئك

---

[٢٤] معروف الرصافي ــ د. رؤوف الواعظ ص١١٢ دار الكتاب العربي بمصر .

وهؤلاء ، بل ان بعض الولاة ... عصر ذاك ــ كانوا يحرضــون الاشــرار على تعكير صفو الأمن ليستولوا على ما في ايدي الناس في المدن والقــرى من اموال وممتلكات ، لذا خشي الناس سطوتهم ، فانكمشوا في مدنهم وقراهم تاركين الزراعة والتجارة ، فظهر نقص الغلال واضحاً ، واشتد الجــوع[٢٥] وزادت احوال الفلاحين سوءاً في مطلع القرن العشرين حين تحول الفلاح من اجير لدى الدولة ابان العهد العثماني ، لان الاراضي كانت اكثرهــا اميريــة مملوكة للدولة ، الى مجرد آلة تعمل في الارض لدى شيوخ القبائل وزعمــاء الاقطاع الذين استغلوا حركة اصلاح الاراضي وتوزيعها علــى المغارســين لغرض توطين القبائل واستقرارها ايام الــوالي مدحــة باشــا فــي العــراق (١٨٦٩ــ١٨٧٢) فحاولوا ان يستولوا على الاراضي وتسجيلها باسمائهم بعد ان كانت باسم العشيرة كلها ، فتحول الفلاح من مالك للارض مع العشيرة الى اجير عند فرد يتقاضى اجره كمية من المحصول ، وصار يُباع مــع الارض حين تباع[٢٦] فاغرق الفلاح بالديون وصار يئن تحت وطأة الفقر والحرمــان والجوع في معيشه مزرية ، وطعام لا يسدّ الرمق ولا يجد القوت الذي يخفق به من نهش الجوع في احشائه واحشاء اطفاله ، وهو في الغالب ليس غيــر خبز الشعير يتبلّغ به اما الأدام خشيء بعيد المنال ، أو هو بعض الخضــرة والبصل واللبن ، كما كان لا يشرب الماء الصافي الا لماما ، انما يشربه من السواقي والترع والانهار والبرك الراكدة الموبوءة ، الحافلة بالديدان ، ويسكن في بيوت مبنية من الطين ، وسقوفها من الجريد وجذوع النخل ، ويعيش مع

---

[٢٥] غرائب الاثر ــ ياسين العمري ــ ٦٧ــ ٦٨ الموصل ١٩٤٠ .

[٢٦] انظر : الشعر العراقي الحديث ــ د. يوسف عز الدين ٢٥٥ .

حيواناته في حجرة واحدة لا نوافذ فيها ولا ابواب محكمة تقية لفح الزمهرير أو لسع انياب الشتاء .[٢٧]

ولحال الفلاح المزرية هذه ثأر كثير من شعراء العراق في مطلع القرن العشرين ، ووصفوا معيشته البائسة وطالبوا بانصافه ، والتخفيف عن كاهله ، على ان الملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا ، هي : ان شعراء النجف هم اكثر شعراء العراق – في هذه الحقبة – ان لم اقل وحدهم الذين فعلوا ذلك فالشعراء جواد الشبيبي وعلي الشرقي واحمد الصافي النجفي ومير علي ابو طبيخ ومحمود الحبوبي ومحمد جواد الجزائري ومحمد رضا المظفر وغيرهم من شعراء النجف هم الذين تصدوا لمشكلة الفلاح ودعوا الى انصافه في حين خلت دواوين باقي شعراء العراق تقريباً من ذكر الفلاح او معالجة قضاياه ، فلم يُذكر الفلاح مثلاً في ديوان الزهاوي الضخم بغير قصيدة واحدة بعنوان (نكبة الفلاح) وهي اصلا ليست في وصف الفلاح انما هي في وصف الفيضان الجارف الذي طغى في بعض السنين ، بينما خلا ديوان الشاعر الاجتماعي الكبير (الرصافي الواقع في خمسة اجزاء كبيرة (ط وزارة الاعلام – بغداد) من اي ذكر للفلاح وبؤسه خلوّا تاما .. وهذه ملاحظة تستدعي الانتباه وتلفت النظر ، مع ان النجف مدينة ليست ذات بساتين وزروع ، لكن ذلك عائد الى توهج الحس الوطني فيها في تلك المرحلة المحتدمة من تاريخ العراق والى الشعلة الثورية التي تأججت فيها فضلا عن توهج الأدب فيها ، ثم الى كثرة اتصال شعرائها بالفلاح ولقربها من البيئات الزراعية والريفية المحيطة بها من مدن الفرات الاوسط مثل :

---

[٢٧] انظر عن حال الفلاح هذه : نهاية الاقطاع في العراق – محمد توفيق ، ونظرات في اصلاح الريف – عبد الرزاق الهلالي ٢٠–٦٣ ط٣ .

الكوفة وكربلاء والشامية والمشخاب والديوانية ، ولشدة اتصال اهلها ــ لمختلف الاغراض الدينية والتجارية ــ بمناطق الريف وللزخم الثوري الذي طفحت به المدينة في هذه المرحلة من حياتها ، الذي لابد من ان يكون للفلاح نصيب وافٍ منه ، كما ان الكثير من شعراء النجف كانوا من اصول زراعية هاجر اهلهم منها الى النجف كالعمارة والناصرية والبصرة كما ان لموقف الفلاح المشرّف من ثورة العشرين وجهاده البطولي الرائع فيها والتضحيات الجسيمة التي قدمها في الثورة الشيء الكثير الذي استحوذ على اعجاب شعراء النجف وتقديرهم لبطولاته ، فوقفوا منه مكبرين ومعجبين وواصفين احواله وبطولاته ومقارنين بين تضحياته العظيمة من اجل الوطن وما كوفيء به بعد ذلك من اهمال وامتهان ونكران ، وهذا لعمري موقف انساني نبيل من لدن اولئك الشعراء ورافد حضاري حين طالبوا برفع الحيف عن عنصر مهم من عناصر الامة ، لان الفلاح عامل مهم من عوامل بناء الحياة وفي رفد الحضارة الانسانية بعوامل البقاء والازدهار ، وان دواوين شعراء النجف المذكورين تكتظ بشعر شرح حال الفلاح ويدعو الى انصافه ولعل من اكثرهم ذكرا للفلاح ودفاعا عنه وتبيانا لمظلوميته الشاعر النجفي المعاصر (محمد صالح بحر العلوم) (١٩٠٩ــ١٩٨٥) الذي أطلق عليه بعضهم اسم (شاعر الفلاح) لكثرة ما نظم فيه . فقد زخر ديوانه (العواطف) الذي اهداه في المقدمة (الى الفلاح) بوصف الفلاح ومشكلاته بشعر تميّز بحدة النبرة ودقة الصور ، وصدق المشاعر .[٢٨]

ألا ان الشاعر العراقي الذي صوّر احوال الفلاح أحسن تصوير وصاغ له اخلد المعاني في الشعر العراقي الحديث هو الشاعر (احمد الصافي النجفي)

---

[٢٨] انظر ــ ديوان (العواطف) ــ محمد صالح بحر العلوم ــ النجف ١٩٣٧ .

في قصيدته الخالدة (الفلاح) التي صدّر بها ديوانه الاول (الامواج) ومـع ان القصيدة مشهورة الا اني اود ان اثبت هنا بعض ابياتها لتكون اقرب الى بصر القارئ وسمعه وليتأمل فيها ذلك الفيض المتدفق مـن المعـاني والعواطـف والصور ما لا خيلة ، حين قال وهو يخاطب الفلاح :

رفقا بنفسك ايهـا الفـلاحُ ... تسعـى وسعيك ليس فيه فـلاحُ

لك في الصباح على عنائك غدوة ... وعلى الطوى لك في المساء رواح

هذي الجراح براحتيك عميقـة ... ونظيرها لك في الفـواد جـراح

في الليل بيتك مثل دَهرك مظلـم ... ما فيـه لا شمـعٌ ولا مصبـاح

فيخرّ سقفك ان هَمتْ عين السما ... ويطير كوخـك ان تهبّ ريـاح

بغضون وجهك للمشقّة أسطـرٌ ... وعلى جبنيـك للشقـا الـواح

عرقُ الحياة يسيل منـك لآلئـا ... فيُزان فيهـا للفنـي وشـاحُ[٢٩]

ومن الشعر النجفي الممتع الذي صوّر هيكل الفلاح المتداعي الـذي غدا جسداً بلا روح ، والذي ابدع في اظهار مأساته والتفاوت الطبقي بين حال الفلاح ومعيشته المزرية ، وحياة مستغليه المترفة ، وفـي تصـوير اكـواخ الفلاحين المتداعية الجاثية عند اقدام قصر الاقطاعي الشامخ الذي شيِّد بعرق الفلاح وجهده ومنجله وقصور مستغليه الفارهة المطلة على دجلة هي قصيدة (منجل الفلاح) للشاعر علي الشرقي الذي كان لشاعريته المتقدة ، وانحـداره الطبقي الفلاحي ، اثر كبير في تلك الاجادة ، التي يقول في قسم منها :

ما لهذا الفلاّح في الارض روح ... أهو مـن معشر بـلا أرواح

هو في جنـة ينال عذابـا ... وهو تحت الاشجار اجرد ضاحي

ربّ قصر من فوق دجلة كالطـا ... ووس للزهـو ناشراً بجنـاح

---

[٢٩] ديوان (الامواج) ـ احمد الصافي النجفي ص٨ـ١٣ ط٤ بيروت ١٩٦١ .

اتراهُ مدتــه دجلـــة أنفســا | حين فاحــت روائــح القـــدّاح
لو كشفنا اطباقه عن اســاس | لوجدناه منجـــل الفـــلاح
لو كشفنا عن قلب ذاك المعنّــى | لوجدناه مثخنـــا بالجـــراح
يا ربوعاً حيوانهـــا يتغنّـــى | بسرور ، واهلهـــا في نياح[٣٠]

هذه امثلة من الشعر العراقي الذي صورّ الفلاح ، وبالتالي فان هــذا التوجه اسهام مهم من الشعراء في محاولة ردم الهوّه بين المنتقمــين بكــدح الفلاح واتعابه ، وبين الفلاح المرهق الذي يتصبب عرقا لتملأ بــه كــؤوس المتخمين ويشربوها معربدين ، الذي لا يمكن معه ان تستوي الحياة اوتتقــدم حضارة حين ينعم اناسٌ على شقاء اناس في بلد واحد او يرتوي السادة دائما من عرق الكادحين ومن دمائهم ...

كما اتضح اسهام الشعر العراقي الحديث في تطوير الفكر المعاصــر على (الصعيد الاجتماعي) ايضاً في : (دعوته الى تحرير المرأة) في مطلــع القرن العشرين ، وانتشالها من وهدة الذل والبؤس والامتهان ، التــي كانــت تعاني من التأخر والجهل وغمط الحقوق وشدة الأهوال ، حين تحولــت الــى مجرد آلة لخدمة الرجل وحفظ النوع ، بل تحولت الى متاع رخيص يمتلكــه الرجل متى يشاء بأبخس الأثمان ، ويرميه متى يشاء ، والى مملوك يُصرّ في البيوت ويحفظ عن العيون لا رأي لها في اي حقّ من حقوقها ، فلا تعارض ولا تستفسر عما يُزاد لها في اي شأن من شؤونها ، ومنها مسائل زواجها او حياتها في بيت اهلها او زوجها[٣١] .

---

[٣٠] ديوان علي الشرقي ١٦٣ــ١٦٤ ، بغداد ١٩٧٩ .

[٣١] انظر : مشكلات المرأة في البلاد العربية ــ د. ابراهيم عبد الله محي ٩ــ١٠ .

لذلك حزّ في نفس الشاعر العراقي هذا المآل ، فدعا الى تحريرها وتعليمها وأنصافها والأخذ بيدها واحترام حقوقها الأساسية ، والتخفيف من حجرها ، لان أدرك انه لا يمكن لاي مجتمع ان يتقدم ونصفه محجور في البيوت مشلول الفكر . مسلوب الكرامة معطل الحركة فاقد الارادة ، فصار يصف المرأة المظلومة والام المقهورة ، والزوجة المهجورة من غير كفيل اوحامٍ اوَ معيل . وان كثيرا من أمثلة الظلم الاجتماعي على المرأة اضطلع بتوضيحة الأدب العراقي في هذه المرحلة اضطلاعا واعيا ــ وخاض من اجل ذلك معارك ضارية مع المحافظين والحجابيين .

(٤)

وبتلاحق الأحداث ، وصدور الصحف في مطلع القرن العشرين وتعدد المنابر واشتباك الاقلام ، صارت الدعوة الى تحرير المرأة تيارا واضحا في مجمل حركة الشعر العراقي الحديث ، ولا سيما بعد ان دوّى في مطلع القرن (قاسم أمين) في مصر داعيا الى تعليم المرأة وتخفيف الحجاب عنها وتنظيم الزواج ومنحها حقوقها الاجتماعية في كتابية المشهورين (تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة) . وقد تردد صوته في أرجاء العالم العربي ومنها العراق : لذلك بقي الأدب العراقي مصرّا في كفاحه لهذه الأحوال الشاذة حتى انتصر في نهاية المطاف وكُتب لنصف كامل من المجتمع ان يسترد الكثير من حقوقه المصادرة ، ويحقق إنسانيته المشروعة ، وبذلك صار المجتمع يحلق بجناحين بعد ان كان يدرج بجناح واحد ، ويتنفس برئتين بعد ان كانت إحداهما معطلة ، وان الشعر الذي قيل في هذا الباب كثير جدا نجده لدى شعراء العراق الكبار في هذه المرحلة من مؤيدي التيار الاصلاحي حين دارت بينهم وبين المحافظين مناقشات حادة حول تعليم المرأة وسفورها

واحترام حقوقها ، وقد كان على رأس شعراء التيار الاصلاحي الشاعر جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي .

فقد أرسل الزهاوي ــ مثلا ــ سنة ١٩١٠ الــى جريــدة (المؤيــد) المصرية مقالة بعنوان (المرأة والدفاع عنها) اثارت ضجة في بغداد هاجم فيها الافكار السائدة حول المرأة ، وطالب بتعليمها وتحريرها ، فثار الناس عليــه حتى اضطر الى الاحتجاب عن العيــون وملازمــة داره خــوف غضــب الناقمين[٣٢] . ولكن الرجل ثبت في آرائه ولم يتخلَّ عن أيمانه بحــق المــرأة ودعوته لسفورها وتحريرها من حجابها الذي نظر له على انه قيد ثقيل على المرأة وشكل ثقيل من أشكال الحياة المتآخرة .

فقد قال في بعض دعوته الى تحرير المرأة : ان الحجالب هو شلّ للشعب :

انما في الحجاب شلّ لشعبٍ وخفاء ، وفي السفور ظهور[٣٣]

وقال ايضا :

أسفري فالسفور للناس صبحٌ زاهرٌ ، والحجاب ليلٌ بهيــمُ[٣٤]

ومثله فعل زميله الرصافي في مثل هذه الدعوات التحريرية نجــدها في ديوانه .

اما إسهام الأدب العراقي الحديث على (الصعيد الثقافي) في تطــوير الفكر المعاصر ، فانه كثيرا ايضا ، وهو يتركز بشكل خاص في دعوته الــى الأخذ بالعلم ووسائل المعرفة ونبذ الجهل والاخذ باسباب الحضــارة الجديــدة وهذا الاتجاه كثير لدى عدد كبير من شعراء العراق في هذه المرحلة . مــن

---

[٣٢] انظر نص مقال الزهاوي في (المؤيد) ومحنة الزهاوي خلالها في :

الزهاوي ــ دراسات ونصوص ــ عبد الحميد الرشودي ١١٢ــ١١٧ .

[٣٣] ديوان جميل صدقي الزهاوي ٣١٩/١ ط دار العودة .

[٣٤] اللباب ــ جميل صدقي الزهاوي ص٢٣٦ .

اشهرهم الزهاوي والرصافي ومحمد رضا الشبيبي وعلي الشرقي وكاظم الدجيلي وعبد المحسن الكاظمي وخيري الهنداوي وغيرهم ، نجدها في دواوينهم المطبوعة ، وهو اسهام مشهود من هذا الادب العراقي الحرفي هذه الحقبة .

وبعد فاسهام الأدب العراقي الحديث في تطوير الفكر المعاصر كان ذا جوانب كثيرة متعددة ، وباتجاهات مختلفة ، ونرى ان هذا البحث وبسبب طبيعته التي تميل الى الاختصار لم يوضح كل جوانب ذلك الاسهام ، او مايطمح ان يشير اليه ، وما كان منه يحتاج الى تفصيل اكثر في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ، ولكن مع ذلك فان اسهام ذلك الادب مشهود بالحقائق والشواهد ، مما يفخر به التراث العربي الأدبي الحديث الذي كان وريث ذلك التراث العربي الأصيل الذي اضاف للحضارة الانسانية اضافات نوعية معلومة ، لايمكن ان تخفي على كل ذي معرفة وانصاف ...

مصادر البحث :

١ــ الأدب العصري ــ رفائيل بطي ج١ المط السلفية بمصر ١٩٢٣ .

٢ــ الامواج ــ ديوان لاحمد الصافي النجفي ط٤ ــ بيروت ١٩٦١ .

٣ــ البركان ــ ديوان لمحمد مهدي البصير ــ مط المعارف ــ بغداد .

٤ــ البلاد العربية والدولة العثمانية ــ ساطع الحصري ــ ط٣ بيروت ١٩٦٥ .

٥ــ ثورة العشرين في الشعر العراقي ــ ابراهيم الوائلي ــ مطبعة الايمان ببغداد ١٩٦٨ .

٦ــ جريدة العراق (البغدادية) عدد ١٥٠ ٢٨ نيسان ١٩٢٢ .

٧ــ جريدة القادسية (البغدادية) عدد ٣٠ حزيران ١٩٩٥ .

٨ــ خيري الهنداوي ــ د. يوسف عز الدين ــ مط الشعب بغداد ١٩٧٤ .

٩ــ ديوان بشار بن برد ــ القاهرة ١٩٦٦ .

١٠ــ ديوان الرصافي ــ ط٦ مط الاستقامة . القاهرة ١٩٥٩ .

١١ــ ديوان الرصافي ــ طبعة وزارة الاعلام ــ بغداد ١٩٧٥ .

١٢ــ ديوان جميل صدقي الزهاوي ــ ط دار العودة .

١٣ــ ديوان الزهاوي ــ تحقيق محمد يوسف نجم ــ القاهرة ١٩٥٥ .

١٤ــ ديوان الشبيبي (محمد رضا) مط لجنة التأليف ــ القاهرة ١٩٤٠ .

١٥ــ ديوان عبد المطلب الحلي ــ مخطوط ــ من مجموعنا موجود لدينا .

١٦ــ ديوان علي الشرقي ــ ط وزارة الثقافة ــ بغداد ١٩٧٩ .

١٧ــ ديوان العواطف ــ محمد صالح بحر العلوم ــ مط الراعي ــ النجف ١٩٣٧ .

١٨ــ ديوان الكاظمي ــ شاعر العرب ــ الناشر حكمة الجادرجي ــ ط١ .

١٩ــ الزهــاوي ــ دراســات ونصــوص ــ عبــد الحميــد الرشــودي ــ بيروت ١٩٦٦ .

٢٠ــ شعراء الثورة العراقية ــ خضر العباسي ــ بغداد ١٩٥٧ .

٢١ــ شعراء الحلة ــ علي الخاقاني ج٣ المط الحيدرية ــ النجف ١٩٥٢ .

٢٢ــ شعراء الفري ــ علي الخاقاني ج٣ المط الحيدرية ــ النجف ١٩٥٤ .

٢٣ــ الشعر العراقي ــ اهدائه وخصائصه الفنية ــ د. يوسف عز الــدين ــ القاهرة / ١٩٦٥ .

٢٤ــ الشعر العراقي الحديث ــ د. يوسف عز الدين ــ القاهرة ١٩٦٥ .

٢٥ــ الشعر العراقي الحديث ــ مرحلة وتطور ــ د. جلال الخياط ط١ .

٢٦ــ غرائب الأثر ــ ياسين العمري ــ الموصل ١٩٤٠ .

٢٧ــ اللباب ــ (شعر ــ لجميــل صــدقي الزهــاوي) . مــط الفــرات ــ بغداد ١٩٢٨ .

٢٨ــ مجلة كلية الاداب ــ جامعة بغداد ــ ع٧ نيسان ١٩٦٤ .

٢٩ــ مشكلات المرأة في البلاد العربية ــ د. ابــراهيم عبــد الله محــي ــ بغداد ١٩٥٨ .

٣٠ــ معروف الرصافي ــ د. بدوي طبانة ــ القاهرة ١٩٥٧ ط٢ .

٣١ــ معـــــروف الرصــــافي ــ د. رؤوف الواعــــظ ــ دار الكـــتاب العربي ــ بمصر .

٣٢ــ نظرات في اصلاح الريف ــ عبد الرزاق الهلالي ــ ط٣ / ١٩٥٤ .

٣٣ــ نهاية الاقطاع في العراق ــ د. محمد توفيق حسين ــ بيروت ١٩٥٨ .

القَبيلةُ وسِلْمُ المُجتمعِ في الشِّعرِ الجاهليّ

الدكتور علاء جاسم جابر
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

الملخص :

شَكَّلَت القَبيلةُ في المجتمع الجاهليّ ؛ الركنَ الأساسيَّ فيه ، فما يحدثُ فيها يُلقي بِظلالهِ – بشكلٍ مباشر وغير مباشر – في المجتمع كلِّه ، بِعدِّها الكيانَ الأبرزَ الذي ينتمي إليه أفرادُ المجتمع آنئذٍ ، كما تؤثِّرُ تقاليدُ المجتمع وأعرافهُ في نظام وحداته القبلية .

وقد رَصَدَ البحثُ ، من خلال الشعر الجاهليّ بأغراضه المختلفة ؛ أحداثَ القبيلة الدّاخلية جرّاءَ العلائق المتنوعة والتعاملات الفردية والجماعية ، وما كان من أحداث وقعتْ بين القبائل على المستويين الاجتماعيّ والشخصيّ .

وقد سُجِّلَ أثَرُ ذلك كلِّه في تَحقُّقِ السَّلام العام وتَوطيده وتَرسيخه .

المقدمة :

من المعلوم أنَّ المجتمعَ الجاهليَّ؛ مُجتمعٌ قَبَليّ، والقبيلة تشكل الأساسَ الأبرزَ لكيانِ المجتمع وإن كانت تتكون هي أيضا من وحدات أصغر، لكنَّ الولاءَ العامَّ يبقى للقبيلة التي تُمثِّلُ النَّسَبَ المشتركَ لأفرادها.. وهذا لا يَمنعُ إرتباطَ القبائل فيما بينها بعناصرَ مُتشابكةٍ من الصِّهرِ والحِلف والجِوار والولاء وتجمُّعاتٍ مختلفة أخرى ، فضلا عن النَّسَبِ الأعلى الذي يجمع عربَ الشَّمالِ (رَبيعةَ ومُضَرَ) بنِزارَ بن مَعدِّ بنِ عدنانَ، وعَربَ الجَنوبِ (كَهْلانَ وحِمْيَرَ) بيَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحطانَ، ومِن ثَمَّ التقاءُ عَدنانَ وقَحطانَ صُعودا إلى نُوح عليه السلام [1] .

إذن القبيلةُ كانت الوحدةَ الرئيسةَ في علائق المجتمع الجاهلي، وهي مركز الثقل فيه ولها الأثر الأكبر فيما يحدث في داخلها وفي طبيعة صِلاتها بغيرها .

فقول الباري جلَّ وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [2]، يبدأ بمخاطبة الإنسانية المتولدة من آدم وحوّاء عليهما السلام، مرورا بحكمته سبحانه في أن يتكاثر الناس فيكونوا شعوبا وقبائلا لكي يقيموا علائق اجتماعية ويتعاونوا فيما بينهم لاعمار الارض وذلك من خلال التآزر والتعاضد؛ وانتهاءً بإقرار الميزانِ الحقِّ الذي يَعدِلُ بين الناس أجمعين

---

[1] ينظر: السيرة النبوية ، ١/١-٣ .

[2] سورة الحجرات ، الآية: ١٣ .

على تفاضلهم بمدى عبادتهم وطاعتهم وقربهم من الله تعالى ربِّ العالمين .

فالقبيلةُ أساسُ كِيانِ الشُّعوب، والشَّعبُ أساسُ كِيانِ الأُمَمِ التي تُكوِّنُ الإنسانية .

وإذا عُدنا ــ ثانيةً ــ إلى أصل الإنسانية، وهو الفرد، إذ تتولَّد الأسرة الصغرى من تزاوج فردَين ــ ذكر وأُنثى ــ فتُثمر أولادا ــ إخوةً وأخوات ــ وتتوسع الأسرة بزواج أولادها فتنتجُ الأسرة الأكبر، ومنها الأرهاط والبطون والأقوام والأحياء والعشائر ، هذا من جهة النسب والرحم . أما من جهة الصِّهر والوَلاء والجِوار والحِلف والتجمعات الطارئة والمستقرة ، فَتَتَّسِعُ دائرةُ الوحدة الإنسانية ــ إذا صَحَّ التعبير ــ أو المُكوِّن الاجتماعي، لكن مع المحافظة على العلائق النَّسَبيَّة الأصيلة، وإنْ كان التَّوسُّعُ الاجتماعي يؤدِّي إلى انصهار الوحدات المتباينة وذوبانها بدرجات مختلفة تَبَعا للظروف الشخصية والجماعية وتطاول الزمن والمصالح المشتركة والرغبة في ذلك ، ولاسيما عوامل الحب والصداقة والأُلفة التي تُقارب وتوحِّد شملَ هذا التجمع حتى يغدو وحدةً واحدة متجانسة في إطار القبيلة أو القبائل .

لن يكون ثَمَّةَ بَحثٌ في تكوّن هذه التجمعات إلاَّ ما يَعرِضُ منها عَرَضا ، ولكن سيكون في مآلها ، وهي القبيلة ؛ الكيان الراسخ الذي يُمثِّل المجتمع الجاهلي ، وتفرعاتها وتشعباتها؛ إذ كان الجاهلي ــ مع ولائه العام لقبيلته ــ مُعتزّا بأُصوله من التقسيمات الأصغر وصولا إلى شخصيته الفردية واستقلاليتها . يمكن الإشارة ــ هنا ــ إلى "الرَّحِم" ، بصفتها الوشيجةَ القوية الواصلة بين الفردية والقبيلة أو بين الشخصية

المستقلة وكيانُ القبيلة العام.. فمن وشائج الرحم الأُخوّةُ ، فحينما سُجِنَ عَدِيُّ بنُ زَيد العِبادِيّ، لم يَجدْ أقربَ من أخيه، فكتبَ إليه؛ باثًّا شُجونَهُ :

أبلِــــغْ أُبيًّــــا ؛ علــــى نأْيِــــهِ وَهَلْ يَنفَعُ المرءَ ، ما قَـدْ عَلِـمْ
بِــأَنَّ أخــاكَ؛ شَقيـقَ الفُــــؤا دِ، كُنتَ بِهِ واثِقــا؛ ما سَلِمْ [٣]

فهذه الصِّلةُ تُحرِّكُ كلَّ نوازعِ الخيرِ فــي الإنــسان ؛ للعطــاء والتضحية، ولا سيما في مِثلِ موقفِ عَدِيٍّ المُتأزِّم، الذي يُناغي أُبيّــا ؛ شقيقَ فؤاده، وكأنَّهما قلبٌ واحد، وجسدٌ واحد، وهَمٌّ واحد .. وســلامة مُتبادَلة مشتركة . وتَتَّسِعُ الأُخوَّةُ ــ بِصلة الرَّحم ــ للحــيِّ والعــشيرة، يقول عَوفُ بنُ الأَحوَص:

ألاَ أبلِــغْ بَنــي لُبَنَــى رَسُــولا بِعَبــدٍ، والأُمــورُ لهــا دَواعِ
أولئــكَ إخْــوَتي، وخِيــارُ رَهطِــي بِهِمْ نَهَضي؛ خَشيتُ ، أو امتِناعي
وقَــومٌ هُمْ أحلُّــــــوني، وحَلُّوا مِــنَ العَليَا، بِمــُرتَقبٍ يَفَــاعِ [٤]

يُبلِغُهم ؛ اعتزازَه بِأُخوَّتهم، ويَشكرُ إحسانَهم واحتضانَهم لــه.. وهكذا تفعل هذه الصِّلةُ فِعلها الإيجابي في تَــسالم النــاس وتمــازجهم وتصافيهم.

يفخرُ زهيرُ بنُ مسعود الضَّبِّيّ، بقومه :

إنَّ بَنــي ضَــبَّةَ قَــومي، فَلَــنْ أَشــرِيَهُمْ ، مــا حَنَّــتِ النِّيــبُ
قَولُهُــمُ بِــــرٌّ، وجـــاراتُهُمْ حِجــرٌ ، فَــلاَ هُجْرٌ ولاَ حُوبُ [٥]

---

[٣] ديوانه : ١٦٤ . [٤] أشعار العامريين الجاهليين : ٥١ .

[٥] قصائد نادرة من كتاب " منتهى الطلب من أشعار العرب " ٢/١٥٦ .

إذ يُعلِّلُ ارتباطَهُ الأبَدي بقومه، وتَمَسُّكَهُ بهم ؛ بزكاةِ لسانهم، وعفّةِ نفْسهِمْ، ونقاءِ تَصَرُّفِهِمْ . وهذه مُقوّماتٌ ؛ تَعضُدُ صِلَةَ الرَّحِمِ، باتّجاه السلام .

أمّا عشيرةُ عَمرِو بن شَأْسٍ، فلها مَتاعٌ وأثاثٌ كثير، وهم يَشغلون رِحالهم لكثرتهم، فلهم أهميتهم وفِعلهم في المجتمع :

وَلَنــا، إذَا ارْتَحلَتْ عَشِيرَتُنَا رَحْـلٌ ، ونحنُ لِرَحلِنَا ؛ أهْلُ [٦]

ولا قيمةَ لِكَثْرةٍ ؛ إلاّ بأثرٍ إيجابيٍّ؛ يعود بالنفع العميم لخير المجتمع بأسره ، وهذا مَكمنُ فخرِ الشاعر. ويَحمَدُ قيسُ بنُ زهير، المحافظةَ على كَرَمِ الأصل، لدى الربيع بن زياد العَبْسيّ وإخوته؛ الكَمَلَة:

لَعَمرُكَ ما أضاعَ بنُو زِيادٍ ذِمارَ أبيهِمُ، فيمَنْ يُضيعُ

شَرى وُدّي ، وشُكْري من بعيدٍ لآخِرِ غالبٍ ــ أبَدا ــ رَبيعُ [٧]

إنَّ الرَّحِمَ تُمثِّلُ أُسَّ العلاقة الحميمة الأصيلة، بين الأفراد والجماعات، لذا يَستحقُّ مَن يلتزمُ بها ويُعطيها حقَّها، الإشادةَ والإكرامَ.. في المقابل فإنَّ من يُضَيِّعُها ، أو يَستخِفُّ بها ويتجاوزُ على حُقوقِها، يجدُ من يتصدّى له بما يستحق؛ يقول الحادرةُ؛هاجيا زَبّانَ بنَ سَيّار :

لَعَمرُكَ لا أهجُو مَنُولَةَ كُلَّهَا ولكنّمَا أهجُو اللِّئامَ ، بَني عَمرِو [٨]

مَشاتيمَ لابْنِ العَمِّ، في غيرِ كُنهِهِ مَباشيمَ عَنْ لَحمِ العَوارِضِ، والتَّمرِ [٩]

---

[٦] شعره :٣٥ .

[٧] غالب: جَدُّهم المشترك، وتُعَدُّ من العائلات الكبيرة في عبس، إلى جانب بني بجاد وجروة وجذيمة وغيرهم. الشعر في حرب داحس والغبراء ٣٨٧ .

[٨] منولة: أمّ مازن وشمخ؛ اللذين ينتسب إليهما الفَزاريون . بنو عمرو : رهط من بني فزارة؛ ينتسب إليه زبّان [illegible] كُنهه: قدْرُه . البشم. [illegible] تجاوز الاعتدال

منولةُ؛ امرأةُ فزارة، التي تجمعُ الشاعرَ والمَهجُوَّ؛ لكنه يخُصُّ رَهطَ زَبَّان بهذه المواجهة الحامية، والسبب هو ذَميمُ أعمالهم ، ولاسيما بحقِّ قرابتهم . فقد وصفهم باللُّؤم، لشتمهم أبناءَ عمومتهم، من غير أن يكون – هناك – أمرٌ من أولئكم بَلَغَ أن يصدر – فيه – ما صدر من هؤلاء. وفوق ذلك – أو بسببه – هم أنانيُّون – مع بُخلهم – فهم مصابون بالتُّخمة بسأكلهم رديء الطعام . ولا يُظَنُّ أنَّ مِثْلَ هذه المعارضة – وإن عَنُفَتْ – تُشكِّلُ نَخرا بجَسَد القبيلة أو مَساسا بوحدة كيانها أو تماسكها ، بل هو بمثابة تنقية لها؛ بتشخيص ذلك الفعل المشين ورفضه، وعزل مَن يحملونه ونبذهم، كي تتعافى القبيلةُ وتصفو علائق أبنائها بالحب والطِّيب والسلام . ولذلك يُقرِّرُ مالكُ بن أبي كعب الأوسي:

ولاخَيرَ في مَولىً ، يَظَلُّ كأنَّهُ إذا ضِيمَ مَولاهُ، أكَبَّ على غُنْمِ
حَسُودٍ لذِي القُربَى؛ كأنَّ ضُلُوعَهُ مِنَ الغِشِّ للأدنينَ، ضُمَّتْ على كَلْمِ[١٠]

إذن هذا قد أردتْهُ مصلحتُهُ الذاتية ، حتى صار يَعُدُّ نفسَه ظافرا إذا ما أُصيبَ ذو قرابته – دونه – وقد أحرق جَسدَهُ الحَسَدُ ، مُضمرا السُّوءَ لهم ، كأنَّهم جرحوا فؤاده أو مَزَّقوا أحشاءه. وهذا على عكس ما يُفترض في موقف المرء من ذوي رحمه ، ولكنه قد شَذَّ عن مَواطن الرحمة والصلاح. بعد ما خلا قلبُه من الخير . ولكن لا يُترَكُ أمثالُ أُولئك المنحرفين يعبثون بقِيَم القبيلة التي هي قيم المجتمع، بل يُشَخَّصُون ويُحاصرون ويُضَيَّقُ عليهم ، لِتُسَدَّدَ إليهم سهامُ الحقِّ من

في الأكل. العارضة: أن تُذبح الشاة أو الناقة عن علة تعرض لها؛ من ظَلْعٍ أو كَسْرٍ ، ليست بسليمة ديوانه: ٣٩ .

(١٠) الأشباه والنظائر ، الخالديان : ١/١٧–١٨

رحم الأهل ومبادئهم. يقول أوسُ بن حجر في ذلك ؛ بمنطق الإنصاف والتوجيه ، والنصيحة والتحذير :

يا راكبا إمَّا عرَضْتَ ؛ فَبلِّغَنْ يَزيدَ بنَ عَبدِ الله؛ ما أنا قائلُ
بآيةِ أنّي لَمْ أخُنكَ، وأنَّهُ سوى الحَقِّ -مَهمَا يَنطِقُ الناسُ- باطلُ
فقَومكَ لا تَجهَلْ علَيهِمْ، ولا تَكُنْ لَهُمْ هَرِشا؛ تَغتابُهُمْ، وتُقاتِلُ [11]
وما يَنْهَضُ البازيّ؛ بغَيرِ جَناحِه ولا يَحمِلُ الماشِينَ؛ إلاّ الحَوامِلُ
إذا أنتَ لَمْ تُعرِضْ عَنِ الجَهلِ والخَنَا أصَبْتَ حَليماً ، أو أصابَكَ جاهِلُ [12]

فهذه رسالةٌ حكيمةٌ تَبغي الصوابَ والرَّشادَ من أجل لَمِّ الشمل ووحدة الصف؛ بإبعاد الخيانة والتعدي والجفاء بين أبناء العمومة. وقد جاء في وصايا الإمام علي عليه السلام : ﴿ **أكرِمْ عَشِيرَتَكَ؛ فَإنَّهُمْ جَنَاحُكَ الذي بهِ تَطِيرُ، وأصْلُكَ الذي إليهِ تَصِيرُ** ﴾ [13] . وإلاّ تكون قد ظلمتَ بريئا ؛ تأنّى عليك وصبر، أو وقعتَ فريسةً لطائشٍ نَزِق ــ مثلكَ ــ لا يَرعَوي . وهذا إرشادٌ من أبي جُندَبٍ إلى أرهاطٍ من هُذَيل ؛ مُشفقا عليهم من التفرق والتآكل :

أبلِغْ مَعقِلا عَنِّي رَسُولا مُغَلغَلَةً، وَوَاثِلَةَ بنَ عَمْرو [14]
إلى أيِّ نُساقُ ، وقَدْ بَلَغْنا ظِماءً ، عَن مَسِيحَةَ ، ماءَ بِئْرِ [15]
فإلاّ تُقصِروا ؛ بالسَّوقِ عَنّا على ما كانَ مِن قُربَى وصِهْرِ

---

(11) الهرِش : المائق الجافي .

(12) ديوانه: 99 .

(13) نهج البلاغة : 3/57 .

(14) مغلغلة : تُغَلغَلُ إليهم حتى تأتيَهُم وتَخلُصَ إليهم .

(15) ظماء : عطاش . مسيحة وبئر : بلدتان . يقول:خرجنا عن مسيحة فبلغنا ماء بئر .

تلاقَوا مثـــــــــلَ مَـا لقِيَتْ ثَقيفٌ   وَوَاثِلَةُ بنُ دُهْمَـــانَ بنِ نَصْــرِ [١٦]

يُريد إيقاف العدوان الداخلي ــ إذا صحَّ التعبير ــ لئلا يتفــاقمَ الوضع ، مُراعاةً لحقِّ القرابة من قبل النـسب ومــن قِبَــل الأحمــاء والأختان . فإلى أينَ يُريدون بهم ؟ وحتى متى يُصرون على تَعنُّــتهم ؟ فقد دفعوهم عن ديارهم ومياههم ؛ وهذا ظلم ، إذا لم يرجعــوا عنــه ، سَيَحُلُ بهم ظُلمٌ مِثلُهُ بِحُكم سُنَّةِ الله تعالى، وعدله. فإنَّ من يَظلمْ مُحــسنا تُعاجَلْ عُقوبتُه في الدنيا ، والرَّحِمُ أولى بالإحسان . وهنــاك حــوادثُ سبقَتْ فيها دروسُ وعِبر ، فهلاَّ تَّعظ بها هؤلاء ؟ .وفيما يُشبه ذلــك ، يحكي أبو شهاب المازنيُّ ــ بألمٍ ــ جُحُودا من بني كاهل ، بعد إحسان:

فَــذلكَ إذْ نــالَ ابْــنَ صِــرمَةَ مَنُّنَــا   بنُعمى، فَلَوَ انَّ ابْنَ صِــرْمَةَ شــاكرُ
رَدَدْنَـــا عَلَيــــه بِكْــــرَهُ وَتِـــلادَهُ   وَعِرْسَكَ مِنهُمْ،وَهيَ شَمطاءُ حاسِرُ[١٧]
فَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا الحَقَّ ؛ لَــمْ يَــزَلْ   لَهُمْ مَعقِــلٌ منَّــا عَزيــزٌ ، وناصِــرُ
بَني عَمِّنَا لَوْ شِئتُمُ ؛ لَمْ تُكَــــدِّرُوا   بِشاهِدِنا ، والكُفرُ ــ للمَرْءِ ــ واتِرُ[١٨]

فقد حَدَثَ نِزاعٌ بين ابن صِرمةَ الكاهليِّ وبين المازنيين ، ولكنَّ الأخيرينَ رَدُّوا ما أخذوا من أبناء عمومتهم ، امتثالا لحقِّ الرحم ، أمَّــا أولئك فقد أنكروا ذلك الحقَّ وتَخلَوا عن حِرز هُذَيل التي تجمعهم ، ومع ذلك ما يَزال يُناشدهُم القُربى ويأمُلُ منهم الصفاءَ والخير .

---

[١٦] شرح أشعار الهذليين : ٣٦٩/١ .

[١٧] بكره: أولُ ولَده. تلاده: ماله العتيق. عرسه: امرأته . حاسر: ليس عليها قناع .

[١٨] بشاهدنا: بهذا الذي وصَفَ وعَدَّ. الكفر للمرء واتر: إذا جَحَدَ النِّعمةَ؛ فقد وَتَرها، لأنَّ صاحبَ النِّعمةِ يطلبُ الشُّكرَ.
شرح أشعار الهذليين ، ٦٩٧/٢ – ٦٩٨ .

وقد بكى عَبدُ مَنافِ بنِ ربعِ الجُربَيّ ، الرَّحِمَ في رثــاء دُبَيَّــةَ السُّلَميّ بسبب أُمّهُ الهُذَلِيَّة :

فَعَينــي ألا فَــابكِي دُبَيَّــةَ ؛ إنَّــهُ وَصُولٌ لأرحامٍ ، ومعطــاءُ ســائلِ
فَوَاللهِ ؛ لَـــــوْ أدرَكتَهُ لَمَنَّـــعْتُهُ وإنْ كانَ لَمْ يَترُكْ مَقالا لِقائـلِ (١٩)

إذ لم يَمنعْهُ الفُتورُ الذي رانَ على علاقته بالقتيل مِــن التَّــأثُرِ الشَّديد لفقده ، والاعتراف بصفاته الكريمة ولا سيما صلةُ الرحم وتلبيةُ حقوق السائلين ، وقد بذل وسعَهُ للحفاظ على حياته، ولكن سبق السيفُ العذل. أما شحنةُ السِّلم هذه فلما تزلَ وقّادةً داخل القبيلة ــ وكل قبيلة ــ تُحرِّكَ أبناءها باتجاه التواصل الوُدّي والتلاقي الأخوي، وإنْ لــم تكــنْ مُعلَنةً دائما. وفي قبيلة بكر، تُتكَرُ أخطاءٌ ، يقولُ طرفةُ بنُ العبد ، مُؤنِّبا عَبدَ عَمرو بنِ بشرِ بن مَرثَد في نَميمة نمَّها عليه : (من الطويل)

ألا أبْلِغَــا عَبــدَ الـضَّلالِ؛ رِســالَةً وقَد يُبلِغُ الأنباءَ ــ عَنكَ ــ رَسُــولُ
دَبَبْتَ بِسرِّي ، بَعــدَمَا قَــدْ عَلِمتَــهُ وأنتَ بأسرارِ الكِرامِ ؛ نَــسُولُ (٢٠)
وكيفَ تَضِلُّ القَصدَ، والحَقُّ واضِــحٌ ولِلحَقِّ بَــينَ الـصَّالِحِينَ ؛ سَــبيلُ
وفَرَّقَ عَنْ بَيتَيكَ؛ سَعدَ بنَ مَــــالكٍ وعَوفا، وعَمرا؛ ما تَشِي ، وتَقولُ(٢١)

كان طرفةُ قد ذكرَ عبدَ عمرو ــ في شعره ــ بِشيء كرهــه، فحمله ذلك على أن وشى به إلى عمرو بن هند ــ الملك ــ وأنشدَهُ هَجوَ طَرَفَةَ فيه ، فلامَهُ طرفةُ على ذلك ، ونسبَهُ إلى الضلال لــذلك ، فقــد مشى سريعا بِسرِّه ــ بعدما علمه ــ إلى الملك . ويَزيدُ فــي توبيخــه مخاطبا إياه : كيف تَتيهُ عن الصواب، والحَقُّ بَيِّنٌ واضح لمــن أراده ،

---

(١٩) م . ن . ٢/ ٦٨٦ .

(٢٠) النسول : السريع المشي .

(٢١) تقول ؛ من النّمائم / ديوانه :٨٢.

وللحقِّ سبيلٌ مسلوكةٌ بين الصالحين ، فهلاَّ سلَكتَها ، ولمْ تَعـدلْ عـن قصدها؟ وفي ذلك تلميحٌ إلى أنه لم يكن من الصالحين. لقد دَقَّ ــ بفعله المَشين ــ إسفينَ الشِّقاق ؛ بين سعد بن مالك وعوف بن مالك ؛ من بني قيس بن ثعلبة ، ومنهم عبدُ عمرو وطرفة . وهما بيتاه لأنَّهم أهلُه مـن

وأعلَمُ علما ؛ لَـيسَ بـالظَّنِّ ، إنَّــهُ ... إذا ذَلَّ مَولى المَرءِ ؛ فَهْـوَ ذَليـلُ
وإنَّ لِسانَ المَرْءِ ــ ما لَمْ تَكُـنْ لَـهُ ... حَصاةٌ ــ علـى عَوراتِـهِ ؛ لَـدليلُ
وإنَّ امْرَأً، لَمْ يَعْفُ- يَوما- فُكاهَــةً ... لِمَنْ لَمْ يُرِدْ سُوءا بِها ، لَجَهولُ [٢٢]

جِهتَي أبيه وأُمِّه اللذان يَنتسبان إلى بكر .ويَتوسَّعُ مَنطِقُهُ ــ بالحِكمة ــ مُوَضِّحا ــ لابنِ عَمِّه ــ عَواقبَ الأمُور.

إذ يَعزُّ الرجلُ بابن عَمِّه، ويَقـوى ، أمَّـا إذا ذَلَّ ابـن عمِّـه، فَيَضعفُ هو ويَذِلّ . ولِسانُ المرءِ ــ إذا لم يكن له عقلٌ يُرشِدُه ، ويَرُدُّه عن القبيح ــ يكون دليلا على عوراته هو ، ومَن لم يَعفُ عـن شـيء مُوزِحَ به ، ولم يُقصَد به إلى ما يَسُوؤه ؛ فهو جَهولٌ ضعيفُ التمييـز. فَهَلا اتَّعظَ ابنُ العَمِّ؛ صونا لوحدة القبيلة وسلامتها . ؟ ويُؤكِّدُ طَرفة ــ أخيرا ــ مَوقفهُ الإيجَابي في مُحاماته عن الأقارب ومُـدراتهم بـالحلم والحُسنى، وعَفوِه عن زَلَلِهِمْ مع قُدرتِه على الاقتصاص مـنهم، إلاّ أنَّ قلبَهُ طاهرٌ من الأحقاد، شفيقٌ بهم :

وأستَنقذُ المَولى ، مِنَ الأمرِ بَعـدَمَا ... يَزِلُّ ، كما زَلَّ البَعيرُ عَـنِ الـدَّحْضِ
ويَغمُرُهُ حِلمِي ، ولَوْ شِئتُ نَــالَهُ ... عَواقِبُ تَبري اللَّحمَ ؛ مِن كَلِمٍ مَضِّ [٢٣]

وهكذا كانتْ شَهامةُ العربيّ تسبقُ غضبَهُ في سياسـة القبيلـة وحركته الداخلية ، فهو مُستعدٌ للتَّغاضي، أو حتى التنازل عن حقوقـه

---

[٢٢] فكاهةً ؛ عن فُكاهةٍ : مُزاح . ديوانه ، ص ٨٢-٨٥ .

[٢٤] م . ن ، ص ١٦٨ .

ومصالحه في مقابل المصلحة الأكبر والأهــــم . يقول : ــ في هــذا السياق ــ شاعرٌ كبير آخر من بكر ؛ هو الأعشى :

وإنـــــــي لتَرَّاكُ الضَّغينةِ ، قد أرى   قَذاهَا منَ المَولى، فَلاَ أستَثيرُهَا [٢٤]

مفتخرا بأنَّهُ يَطرحُ جانبا ما قد يَراه عيانًا مــن آثــار التَّكــارُهِ المَقيت ؛ بين الأهل بسبب الخلافات التي قد تعترض مسيرةَ القبيلة ، فلا يَهيجُها بل يَسترُها ويَرغبُ عنها ؛ تكرُّما وكرامةً لقُدسيَّةِ الرَّحم الجامعة ولكنه يأسى؛ إذ جَعلَ بَنو عَبدانَ بنِ سَعد بن قــيس بــن ثعلبــة، أحــد الـــــشعراء ، يَهجـــــو بنــــي سَــــعدِ بـــــن ضُـــــبَيع ــ قوم الأعشى ــ وكِلاَ الحَيَّينِ يَنتميان الى قَيس بن ثعلبــة . يُعــاتبهم ببيان مَوقفِ رَهطِه السَّليمِ من أولئك :

لَمْ نَطَأْكُمْ يَومـــــا بِظُلمٍ ، ولَمْ نَهْـ   تِكْ حِجابـــــا ، ولَمْ نُحِلَّ حَراما

وهذا من محاسنِ السُّلوك القويم .. أَفَلا ينبغي أن يكونَ قاعــدةً للعلائق الاجتماعية الرَّصينة؟ لكنهم نكَصُوا ؛ لذا يُسائلُهم بمَرارة :

لِـــــمْ أمرتُمْ عَبدا ؛ ليَهجُوَ قَوما   ظالِميهمْ ؛ منْ غيرِ جُرمٍ ، كِرامًا

إذن هذا الشاعر قد هَجا أكارمَ الناس ؛ بلا ذنب اقترفوه ، فكان تحريضهم ؛ ظُلما وعُدوانا صارخا بلا مُسَوِّغ . أَفَيَجُوزُ لكم أنْ تُعاملونا بهذا الخُلُق ؟:

ذاكَ فــــــــــي جِبْلِكُمْ لَنا ، وعلَيكُمْ   نِعمةٌ ، لَو شَكَرْتُمُ الإنعامَـــا [٢٥]

وإنْ كان أولئكم قد بَدؤوهم بالهجاءــ مع سابق فضلهم عليهم ــ إلاَّ أنهم لم يُقابلوهم بالمِثل، بل يُحاولُ شاعرُهم استدراجهم بهذا المنطق

---

[٢٤] ديوانه : ٣٧٣ .

[٢٥] حَبَله اللهُ جبْلا : خلقه ، ، حبله على الشيء : فطره وطبعه .

ديوانه :٢٤٧ - ٢٤٩

الهادئ الرّصين ، لإشعار المتجاوزين بِخطئهم ليُعيدَهم إلى جادَّة الصواب ، وبذلك يُجَنِّبُ العشيرةَ ما يَسُوؤها ، ويُعيدُ أفرادَها ـ جميعا ـ إلى تآزُرِهم وتَوادِّهم وتَراحُمِهم ، لِتَستعيدَ القبيلةُ ـ بَعدُ ـ وحدتَها وهَيبتَها . وللأعشى مَوقفٌ آخرُ ، إذ يَمدح الحِلمَ في رجلٍ فاضلٍ ؛ من سادات العرب ، هو إياسُ بنُ قَبيصةَ الطائيّ [الذي كان من أعلى رؤساء القبائل ، فدُعيَ بملك عين التمر] :

فَعاشَ بِذلك ما ضَرَّهُ … صُباةُ الحُلُومِ ، وأقوالُهَا [٢٦]

يَنُولُ العَشيرةَ ؛ ما عِندَهُ … ويَغفِرُ ؛ ما قالَ جُهّالُهَا [٢٧]

هو ملك عين تمر وهو اعلى رؤساء القبائل ؛ بِحلمه وتكرُّمه وكرمه وصفحه وعفوه ، وبذلك صار مُوَحِّدا لِعشيرتِه ؛ بِحُنُوِّه عليهم ، وصبره على سَفَهائهم ؛ فكان أهلا لِتَحمُّل أعباءِ مسؤوليَّتهم ولَمِّ صفوفهم ويعاتبُ أُفنونُ التَّغلبيّ قومَه بني حبيب ؛ طالبا جزاءَ الإحسانِ ؛ إحسانا:

أبلِغْ حَبيبا ، وخَلِّلْ في سَرَاتِهِمُ … أَنَّ الفُؤادَ انطوى مِنهُمْ على حَزَنِ [٢٨]

أَنّى جَزَوا عامِرا ؛ سُوأى بِفعلِهِمُ … أَمْ كيفَ يَجزُونَني السُّوأى مِنَ الحسَنِ [٢٩]

أَمْ كيفَ يَنفعُ ما تُعطي العَلُوقُ بِهِ … رِئمانُ أنفٍ ، إذا ما ضُنَّ بِاللَّبَنِ [٣٠]

---

[٢٦] صَبا : مالَ الى الصبوة ، وجهلة الفتوة .

[٢٧] ناله ، ونال له ؛ وناله بالعطية ؛ كلها سواء . الجهال ؛ من الجهل : السَّفه والطيش . ديوانه:١٦٩

[٢٨] خلل : خُصَّهم بالبلاغ .

[٢٩] عامر ؛ بنو عامر بن صعصعة . عدَل من الحُسنى الى الحَسن ؛ من أجل القافية .

[٣٠] الرئمان : مصدر رئمت العلوق حوارها ؛ إذا عطفت الناقة على ولدها . شاعر فارس . أفنون التغلبي :٢٠٤ . وينظر : المفضليات :٢٦٣

أولا ـ هو ـ يَعجَبُ من قومه أنْ عاملوا بني عامر ؛ بالسُّوء في مُقابل جميل فِعلهم كما جازَوه . قال المرزوقي : المراد أنَّه راجَعَ قومَهُ ؛ قائلا : مالكم تُضيعون حَقَ عامرٍ وحقِّي ، وتُجازُون الحَسَنَ بالقبيح ؟ وفِعلكُم هذا كفِعل العَلوق مع حُوارها ؛ تَعطفُ عليه ولا تَدُرُّ بلبنها [٣١] . فالخطأ غيرُ مقبول ، إن كان في حَقِّ أبناء القبيلة ، أم كان في حَقِّ الآخرين ، والمهم ألاَّ يُترَكَ الغَيُّ سادرا ؛ إذ ﴿ **إنَّ كُلَّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وخَيرُ الخَطَّائينَ ؛ التَّوَّابُون** ﴾[٣٢] كما جاء عن رسولنا الأكرم .

وكان قد بَدَرَ من بني مُرَّةَ بنِ عَوف بن سعد بن ذُبيان ، ما يستفزُّ الملكَ عمرَو بن الحارث الأصغر الغساني، فَسَعى النابغة الذبياني ؛ ناصحا إيَّاهم بمُلايَنته وعدم التطاول ، تَجنُّبا لِشَرِّه، لكنهم لم يَسمعوا له :

نَصَحتُ بَني عَوفٍ ، فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا ... وَصاتي ، ولَمْ تَنجحْ لَدَيهِمْ وَسائلي

ولاَ أعرِفَنِّي ، بَعدَما قَد نَهيتُكُمْ ... أُجادلُ ـ يَوما ـ في شَويْ وجامِلِ [٣٣]

وبِيضٍ غَريراتٍ ، تَفيضُ دُمُوعُها ... بِمُستَكْرَهٍ ، يُذْرِينَهُ بالأنامِلِ [٣٤]

---

[٣١] قال أبو العباس : والمعنى ؛ وما ينفعني ، إذا وعدتَني بلسانكَ ، ثمَّ لم تَصدقْهُ بفعلك . يقال ذلك للذي يَبَرُّ ، ولا يكون معه نفعٌ ، كهذه الناقة التي تَشَمُّ بأنفها ، ثمَّ تُمنع دِرَّتَها . والعَلُوق: التي تعلَّقَ قلبُها بولدها ، وذلك أنَّه نُحرَ عنها ، ثمَّ حُشِي جلدُهُ تبنا أو حشيشاً ، وجُعل بين يَديها حتى تشمُّهُ وتدرُ عليه ، فهي تَسكُنُ إليه مرةً ، ثمَّ تَنفرُ عنه ثانيةً ؛ إذ تأباهُ بقلبها . حتى صارَ هذا البيتُ مَثَلا لكلِّ مَن يَعدُ بلسانه كلَّ جميل ؛ كأنَّه قيل : كيف يَنفعُني قولُكَ الجميلُ ؛ إذا كنتَ لا تَفي به ؟ ينظر : مجالس العلماء ، الزَّجَّاجيّ :٤٣ .

[٣٢] سنن الترمذي : ٤/٧٠ ، رقم الحديث ٢٦١٦ .

[٣٣] في شوي : لأجل شويّ : تصغير شاء: اسم جمع شاة. جامل: اسم جمع حمل.

[٣٤] ديوانه : ١٩٧ – ١٩٩ .

فما قيمةُ أنعامٍ يُرادُ من الشاعر أن يُفاوضَ لاسترجاعها ، بعدما وَقَعَ المحذورُ، وأَوقعَ بِهِمُ الملكُ ، وفاضتْ دُموعُ الثَّكالى .. أَلَـمْ يكـن الأَجدى مُعالجة آثارِ الحرب وتَجَنُّبُهَا ؟ ويُعاتبُ الحـارثُ بـنُ عمـرٍو الفَزاريّ ؛ حصنَ بنَ حُذَيفةَ ؛ والدَ زوجته أسماء :

تُدِرُّ وتَستَعوي ــ لَنَـا ــ كُـلَّ كاشـحٍ	ومِن قَبلِهَا ، كُنَّا نُسَمِّيكَ ؛ عاصِـمَا
بِحَمْـدِ إلهِـي أَنَّنِـي لَـمْ أكُـنْ لَهُـمْ	غُرابَ شِمالٍ ــ يَنتِفُ الرِّيشَ ــ حاتِمَا
كأنَّ علَيـــــهِ ، تاجَ آلِ مُحَـرِّقٍ	بِأنْ ضَرَّ مَولاَهُ ، وأَصبَحَ سالِما [٣٥]

فبدلَ أنْ يكونَ له سَنَدا وعَضُدا ــ لِلرَّحم والـصِّهر ــ صـار يَطلُبُ ذَمَّهُ من كُلِّ راغب عنه وكاره . ولكنه ــ مع ذلك ــ لـم يفعـل بإزائه ما فعل ، فقد حافظ على سلامة خُلُقه، وسلامة العلائق، وسلامة العشيرة ، وإن كان ذاك الخارقُ لكلِّ ذلك ؛ مُتبخترا بسلامة ذاته ، وإن جلبَ الضُّرَّ لقريبه، لذا يَسخرُ الشاعرُ منه، ويهزأُ بهذه الأنانية الجافية . إذ لا سلامةَ ــ حقيقيةً ــ إذا لم تَشمَل الجميع. كان قِرواشُ بـنُ هُنَـيٍّ العَبْسيّ ، قد قتلَ حُذَيفةَ بنَ بَدرٍ الفَزاريّ ، فقتلَتْهُ فزاره ، فقام النابغـةُ مُلَوِّحا بالرَّحِمِ ؛ لِقطع دابر حربٍ قد تَقع :

ضَرَبا بَغيضَ بنَ رَيثٍ ؛ إنَّهَـا رَحِـمٌ	حُبِتُمْ بِهَا ، فَأَنَا خَتَكُمْ بِجَعجَـاعِ [٣٦]
جَـــــزّا بِجَزٍّ ، وقَتـــــلا مِثلَ قَتْلِكُمُ	مَهلا حُمَيضَ، فَلاَ يَسعى بِهَا السَّاعِي[٣٧]

---

[٣٥] الوحشيات وهو الحماسة الصغرى :٦٢ . [٣٦] بغيض : منادى محذوف منه حرف النداء، وأبناؤه: عَبس وذُبيان وأنمار . أناختكم ؛ الـضمير عائـد الـى "رحم". جعجاع: الأرض الجدبة . [٣٧] جَزًّا بجَزٍّ : جَزّوا نواصيكم كمـا جززتم نواصيهم ، وكانوا يفعلون ذلك بالأسرى ؛ أي : أسرا بأسر. حمـيض: منادى حذف منه حرف النداء ، وهو ترخيم حُمَيضَة بن عمرو؛ أبو بطن مـن فزارة . ديوانه :١٧٦ – ١٧٧ .

يلتمسُ ــ أولا ــ من عَبس ، أن يُعرضوا عــن الغَــمِّ علــى قرواش ، ويَتناسَوا قتلَه ، لأنهم السَّببُ المؤدِّي إلى هذه النتيجة المُرَّة ، مُشركًا إيّاهم بالإثم بقطع أواصر الأرحام ؛ إذ لم يمنعوه أو يأخذوا على يده ، فأدخلهم قَطْعُهَا بمُناخ سَوء ؛ مُمثِّلا حالهم في عــداوة أقربــائهم ، بِحال مَن انتقلَ من مَوضعٍ خصبٍ ، إلى أرضٍ جَدْبٍ ، أي مــن حــال السَّلام الأصيلة السّوية إلى حال الحرب المُكدِّرة المُــدمِّرة . فليعــودوا ــ إذن ــ الى سُكنى الأرض الطيِّبة ، وحالِ السَّواء . ثمَّ يلتفــتُ الــى الفزاريين؛ فيطلبُ إليهم أن يَكفُّوا عن حرب أرحامهم، فلا قتلَ بعدُ ، ولا أسرَ؛ ففي ذلك خيانةٌ بعدما أصابوهم ، فليتأمَّلوا ولا يَتعجَّلوا ــ بَعــدُ ــ حتى لا تَتجدَّدَ التِّراتُ بين القبيلين، فتَسعى السُّعاةُ في الدِّيات ، مُذكِّرا ــ في ذلك ــ بعَواقبِ القتال الوخيمة على الطَّرفَين ، فَلْيَتَرفَّعُوا ؛ بمنطــق العقل ولْيَتَصافَ الفريقان ، ولْيَعيشُوا إخوةً ــ كما كــانوا ــ مُتحــابِّين بأمانٍ وسلام .

كان بين الرَّبيع بنِ زياد وقَيس بنِ زُهيرٍ ؛ شَيءٌ من التنــافس على زعامةِ عَبْس ، وحَدَثَ أَنْ جاورَ حُذَيفةُ بنُ بَدرٍ الفَزاريُّ ؛ قيــسا ، فأغاظَ ذلك الرَّبيعَ ، لكنّه يُؤكِّدُ لحُذَيفةَ :

بِــأنّي لَــمْ أزلْ لَكُــمْ صَــديقا	أُدافــعُ عــن فَــزارةَ ، كُــلَّ أمْــرِ
أُســـالِمُ سِـــلمَكُمْ ، وأرُدُّ عـــنكُمْ	فَــوارسَ أهــلِ نَجْــرانَ وحِجْــرِ
وكان أبي ــ ابنُ عَمّـــــكُمُ ــ زيادٌ	صَفيَّ أبيكُمُ ؛ بَــدْرِ بنِ عَمْرو [٣٨]

لا شَكَّ في أنَّهُ يُريدُ المحافظةَ على الصداقة وعلاقة الــوُدِّ مــع حذيفة ؛ إذ كان من ساداتِ فَزارةَ التي هي حَيٌّ من ذُبيان التي تنتمي مع

---

(٣٨) شعره ، ص٢٩٥ .

عبس الى غَطَفان ؛ القبيلة الأُمّ . لذلك كان مدافعا عنهم ، وهو معهم في سلمهم ويُشاطرُهم رَدَّ عُدوانِ المُعتدين عليهم ، مُذَكِّرا صاحبَهُ بأنَّ أبــاه كان خليلا لأبيه، وهما ابنا عَمٍّ يَنحدران من أَب واحد . وما سَرْدُ ذلــك إلاَّ حرصا منه على رَأْب الصَّدع الذي قد يقع ، ولدفع أيِّ خَلــل فــي العلاقة، وتَوثيقِ التَّقاربِ والألفة التي كانت بينهم . ويَبعثُ عُروةُ بــنُ الوَرد ، برسائلِ عِتابٍ وُدِيَّةٍ هادئةٍ حكيمة، إلى أحياء من عَــبس التــي ينتسب إليها:

أيَا راكِبــا ؛ إمَّــا عَرَضْــتَ فَــبلِّغَنْ ... بَني ناشِبٍ عَنِّي ، ومَن يَتَنَــشَّبُ [٣٩]

أَكُلُّكُــمُ مُختــارُ دارٍ يَحلُّهَـــا ... وتارِكُ هدمٍ ، لَيس عَنهَـا مُــذَنَّبُ ؟

وأَبلِغْ بَني عَــوذِ بــنِ زَيــدٍ رِسـالةً ... بآيةِ ما إنْ يَقصبُونَيَ ؛ يَكْــذِبُوا [٤٠]

فإنْ شِئتُمُ ، عَنِّي نَهَيتُمْ سَفِيــهكُمْ ... وقالَ لهُ ذُو حِلمِكُمْ : أينَ تَذهَبُ ؟ [٤١]

هناك أمران ــ إذن ــ الأوّلُ هو أنَّ هجرةً جماعية حدثت فــي ديار بني ناشب ؛ فيلومَهُم مستنكرا ذلك: فهل يجوز أن يختارَ كُلُّ واحدٍ منهم دارا له جديدة ، ويتركَ دارَ أهله ، ومَرابعَ صِباه ؟ والأمرُ الآخَرُ أنَّ شَتيمةً باطلةً صدرتْ عن بني عَوذ ؛ فَيُنبِّهُ عُقلاءَهم على ما يُفترضُ ويَليق بهم من نَهْي سُفهائهمْ عن ذلك ، إذ لا مُسَوِّغَ لها .ويجمعُ الأمرين وحدةُ القوم والعشيرة ، فالثبات على أرض الآبــاء والأجــداد ضــمانٌ لتوحُّدِهم وتَماسكهم ، كما أن مَنعَ التَّجاوزِ والتَّعدِّي ــ ولو بلفظ ــ يَكون مَدعاةً لعدم الشِّقاقِ والتَّفرُّق . وقد جاء عتابهُ هذا لِيُعيدَ الحقَّ إلى نِصابهِ والمياهَ إلى مَجاريها ، فَيَسلَمَ الجميع .

---

(٣٩) ينتشب : يَدَّعي النَّسبَ الى بني ناشب . (٤٠) قصب : شَتَم .

(٤١) الحلم : العقل والتروي . ديوانه : ٢٥ .

وفي عذل الحُطَيأَةِ ؛ بني بِجادَ ؛ وهم حيٌّ من عَبْس ؛ تحـذيرٌ من الاختلاف والفُرقة ،مع التّشديد على التزام الرَّحم ، ومُقابلة الإساءة بالإحسان، بل التضحية بإيثار أبناء عمومتهم في أحبِّ الأشياء وأعزِّها عليهم ؛ إشفاقا من سُخطهم ، وحفاظا على مَـودَّتهم ، غـافرين لهـم زَلاَّتهم؛ وإن لم يفعل أولئك ذلك معهم :

بَنـي عَمِّنَـا ؛ إنَّ الرِّكَـابَ بِأهلِهَـا	إذا ساءَهَا المَوْلى تَرُوحُ وتَبْتَكِرْ [42]
بَني عمِّنَا ؛ ما أسـرَعَ اللّـومَ مـنكُمُ	إلَينَا ، ولا نَبغي عَليكُمْ ، ولا نَجُرْ [43]
ونَشربُ رَنْقَ الماءِ ، مِن دُونِ سُـخْطِكُمْ	ولا يَستَوي الصَّافي مِنَ المـاءِ، والكَـدِرْ [44]
أرى قَومَنا ؛ لا يَغفِــــرُونَ ذُنُوبَنَا	ونَحنُ ــ إذا ما أذنَبُوا ــ لَهُمْ غُفُـرْ [45]

يبدأ بتكرار عبارة "بني عمنا" مـرتين ضـامّا إليهمـا لفظـةَ "المولى"، خاتما وَصفَهُم بـ"قومنا" لتأكيد وحدة الأصل والدم والـرحم . باثًّا مُقابَلاتٍ واقعيةً فيما هم عليه من تسامح وتعاطُف وحـرص علـى وحدة الشَّمل ، في حين كان الطرفُ الآخر على النقيض من ذلك ، لكنه يرجو أوبتَهم إليهم والاقتداءَ بفعلهم ؛ لتصفُوَ الأجواءُ ، وتتعافى القبيلة .

ومن الحوادثِ النادرة ؛ أنَّ حَيَّةَ بنتَ مالـكِ بـنِ مُـرَّة ، زوج فَقعسِ بن طَريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزَيمة ، فمات عنها ، فَخلَفَ عليها رَواحةُ بنُ رَبيعة العبسي ، فولدتْ جُذَيمةَ – على فراشه – لثلاثة أشهر ، فطالبَ جُذَيمةُ بميراثه من أبيه فقعس ؛ فقال له عَمُّهُ ؛ أَعيا بنُ طريف : ما أعرفكَ ولا لَكَ عندي

---

[42] يقول : إذا ركبها ابنُ العمِّ بمكروه ؛ رحلتْ عنه .

[43] نَجُرْ ؛ أصلها : نَجُرٌ ؛ من الجريرة ، فخفِّفَ للقافية .

[44] الرَّنْق والرَّنَق : الكَدِر . [45] ديوانه :١٠٦ – ١١٠ .

ميراث . فقال له : ويحكَ ، أَعطني ولو بكرا ؛ أستحقّ به النَّسَبَ ، فمنعه ، وثَبتَ جذيمة في بني عبس . يقول ابنهُ طَرَفةُ الجُذَيميّ :

يا راكبا إمّا عَرَضتَ ؛ فَبلِّغَنْ	بني فَقْعَسٍ ، قَولَ امرئٍ ناخِلِ الصَّدْرِ[٤٦]
فَوَاللهِ ؛ ما فارَقْتُكُمْ عَن كَشاحَةٍ	ولا طيبِ نَفسٍ عَنكُمُ ، آخرَ الدَّهْرِ[٤٧]
ولكنّني كُنتُ امرَأً من قَبيلةٍ	بَغَتْ ، وأَتَتْني بِالمَظالِمِ ، والفَخْرِ[٤٨]

يُرسلُ بعتابه إلى قبيلته التي لا يَنفكُّ عن الحنين إليها ، إذ تجري دماؤها في عروقه ، ولا يمكن أن تتسلل الضغينةُ أو الحقدُ إلى قلبه ؛ تجاهها ، إذ كان فراقُهُ أو ــ على وَجْهِ الدّقة ــ فراقُ أبيه إياها قَسرا واضطرارا ؛ بسبب جَور واستنكافٍ من الاعتراف بأحقيَّة نَسَبِهِ إليهم . ومع ذلك تبقى أواصرُ النسب راسخةً ، تَنزِعُ إلى تَقاربِ وشائج الرَّحم على الرَّغم من كل شيء . ومن قبيلة أسد ــ تلك ــ يَطلُعُ عَبيدُ بنُ الأَبرص؛ مُراسلا أحياءً منها ؛ مُؤكِّدا وحدةَ رَحِمِهِمْ لِيَتَّحِدُوا :

أَبلِغْ جُذاما ولَخْما ؛ إنْ عَرَضتَ لَهُمْ	والقَومُ يَنفَعُهُمْ عِلمٌ ، إذا عَلِمُوا
بِأَنَّكُمْ ــ في كِتابِ اللهِ ــ إِخوانُنا	إِذا تُقُسِّمَتِ الأَرحامُ ، والنَّسَمُ[٤٩]

مُشيرا إلى المصدر الحقِّ ، في توكيد أُخوَّتِهم أجمعين .

ويُخاطب خِداشُ بنُ زُهير عَشيرتين من العامريِّين ؛ مُثْنِيا عليهما أولا ، وطالبا إليهما تسهيلَ أمر إسكان رهطه وعدم مزاحمته وإن تداخلت مراعيه مع مراعيهما ؛ ففي الأرض سَعَةٌ ؛ تكفي الجميع ، فَلْيَتَعاونوا لِتحلَّ رُوحُ المساعدة فيما بينهم :

---

(٤٦) ناخل الصدر : صافي القلب ، غير منافق .

(٤٧) الكشاحة : العداوة .

(٤٨) قبيلة عبس أشعارها وأخبارها في الجاهلية ، ص١٥٧ .

(٤٩) النسم : نفس الروح ، والناس . ديوانه : ١٢٠ .

فيــا راكبــاً إمّــا عرَضْــتَ فــبلِّغَنْ	عقيلا ــ إذا لاقيتَها ــ وأبا بكْر [٥٠]
بــأنّكُمُ مــن خيــرِ قــومٍ ، لقــومكُمْ	على أنّ قولا في المَجالسِ؛ كالهُجْر [٥١]
دَعُوا جانــــــبا ، إنّا سننْزلُ جانبــا	لَكُمْ واسعا ؛ بَينَ اليَمامَةَ والقَهْر [٥٢]

إذ إنّ اجتماع القبيلة وقوّتَها ؛ خيرٌ مــن تبــددها وضــياعها ؛ فغضُّوا أنظاركم عن نزولنا ، في مراعيكم ؛ ولْتَدُمِ المحبَّةُ بين الأهلِ ، ويدوم السلام . ويَفخرُ مُعاويةُ بنُ مالكٍ العامريُّ ؛ بحكمتــه ومهارتــه الفائقة في إصلاح ما فَسدَ بين بُطــــــــونِ كعبِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بن صَعصَعة :

رأيــتُ الــصَّدعَ مــن كعــبٍ فــأودى	وكانَ الصَّدعُ لا يَعــدُ ارتِئابَــا [٥٣]
فأمْــسى كَعْبُهَــا ؛ كعْبــا ، وكانَــتْ	منَ الشَّنآن ؛ قَدْ دُعيَتْ كعابَــا [٥٤]
حمَلْــتُ حمَالــةَ القُرَشــيِّ ، عَــنهمْ	ولا ظُلْما ، أردتُ ، ولا اختلابَا [٥٥]
أعــوّدُ مثلهَــا الحُكمــاءَ ، بعــدي	إذا ما الحَقُّ ــ في الأشياع ــ نابَا [٥٦]
سَــبقْتُ بهــا قُدامَــةَ ، أو سُــمَيرا	ولَوْ دُعيا إلى مثْــلٍ ؛ أجابَــا [٥٧]
وأكْفِيهَــا مَعاشِــرَ ، قــد أرتْهُــمْ	منَ الجَرباءِ فَــوقَهُمْ ، طِبابَــا [٥٨]

---

(٥٠) عَرَضَ : أتى العُروض : مكة والمدينة ، وما حولهما .
(٥١) أن قولا في المجالس كالهجر : أن مدح الإنسان بحضوره كأنّه ذمٌّ له .
(٥٢) القهر: أسافل الحجاز، مما يلي نجدا من قبل الطائف . شعره : ٧٨ – ٧٩
(٥٣) أودى : هلك . الصدع : الفتق والفساد . (٥٤) الشنآن : البغض والحقد .
(٥٥) الحمالة : ما يعطى من مال في الدية . الاختلاب : الخديعة .
(٥٦) الحق عند العرب : ما يلزمهم من الحمالات وقري الأضــياف . الأشــياع : المتفرقون . ناب : جاء وأهمّ . وقد اشتهر هذا البيت ، وبه سمي الــشاعر ؛ (مُعوِّد الحُكماء) .
(٥٧) قُدامة وسُمير : ابنا سلمةَ الخير بن قُشير بن كعب بن ربيعةَ ، وكانا شريفين .
(٥٨) الجرباء : السماء . الطباب : الخرز الذي في أسفل القِربة ؛ شبّه به النجوم .

سَـــــأحملُهَا ، وتَعقلُهَـــــا غَنِـــــيٌّ وأُورثُ مَجدَهَا - أبدا - كِلابَا [٥٩]

فَـــإنْ أحمَـــدْ بِهَـــا نَفــسِي ، فَــإنّي أَتَيتُ بِهَـــا - غَدَاتَئِـــذٍ - صَـــوابا

بِحَمــــــــدِ الله ، ثُمَّ عَطَــــــاءِ قَومٍ يَفُكُّـــــونَ الغَنَائمَ ، والرِّقَابَا [٦٠]

يتحدَّثُ عمَّا أصلحَ من أمر كعب لِيَذهبَ عنها ما اعتراها مــن تضعضع ، وكان قومُهُ قد رانَ عليهم اليأسُ من ذلك ، لأنَّهم لم يُقدِّروا لذاك الفساد صلاحا . فقد افترقتْ كعبٌ وتقاطعت بعد أُلفــةٍ وتوحُّــد ، فصارت كأنَّها قبائلُ لم يكن يجمعُهَا أَب واحد . ومن مواقفه الجليلة أنه تحمَّلَ ديَةَ القُرَشيِّ ؛ من غير ظُلم لِوَلِيّ القتيل ، ولا خديعةٍ لكعب . فإذا ما وقع ما يَلزم من واجبات كالحِمالات وغيرها ، فينبغي أن يــصطَفَّ المختلفون من أجله ، وهذا درسٌ في توحيد العشيرة ، يقوم به ؛ ليعتاده الحُكَّامُ ، فينسجوا على منواله . ويَذكرُ سَيِّدَين كريمين ــ من هذا الحي ــ فيمدحها لاشتهارهما بالقيام بأعمال البرِّ والصلاح ــ هــذه ــ لكنَّــهُ مسرورٌ لِسبقه إيَّاهُما ، فهو يَكفي قبيلتَهُ ــ بهذه الفعال ــ شُرورَ ما قــد تُلاقيه من المخاصمات ، فيتحملُ ما على غنيّ ــ مَثلا ــ من دِيَةٍ لِتكونَ شرفا له في كلاب وغيرها من القبائل . لذا فقد حُقَّ له الفخرُ ؛ لصواب رأيه وحُسن تدبيره . والحمدُ والشكرُ ــ أولا وآخرا ــ لله تعالى ، ثــم لما استمدَّهُ من فِطرةِ قومه النَّقيَّة ، وسَجاياهُم النَّبيلة . وعلى هذا الخُلُق المُوحِّد للقبيلة والقبائل العربية ، إذ تَشتركُ فيه ، ويَعودُ أَثَرُهُ فيها جميعا يَقفُ خداشُ بنُ زُهير ، بوجه أفناء من العامريين ؛ مُنكرا هَضمَ مَولاه :

---

[٥٩] العَقل : أداء الدية . غني وكلاب : قبيلتان .

[٦٠] يفكُّون : أسرَ أشعار العامريين الجاهليين :٣-٥٤ .

عَــدَوتُم علـــى مَــولايَ ؛ تَهتَــضِمُونَهُ بناحيةٍ منْ جانبِ الحَــيِّ ، تَرتَعــي
مَوالِي بَني عَمرٍو ، وأهــــــلَ أمانَةٍ وقُربى ، فلَمْ يَنْفَعْهُمُ قِيدَ إصْبَعِ [٦١]

فمَولاه يكون تلقائيا ؛ مولى رهطه ، صُعودا إلى عموم القبيلة، وهذا التزامٌ أخلاقي ، وعُرف جاهلي ، لا يَحيدُ عنه إلاَّ مَــن انحــرفَ خُلقُه ، أو زلَّت به قدمه عن جادّةِ الصَّواب . لذلك نرى الشاعرَ يُدافعُ ــ بقُوَّةٍ ــ عن حَقِّ مَولاه في رعي أنعامه بِحُريَّةٍ وأمان ، وعلى الآخرين أن يلتزموا بما التزم به من عهد، مُراعينَ قَرابتَهُ ، صــائنين حُرمتَــهُ حافظين سمعتَهُ ، وإلاَّ فهو ، ومن ورائه رهطُهُ وقومُهُ وقبيلتُــهُ كلهــا؛ يقفون جميعا ضدَّ المُعتدي ؛ أيًّا كان . وهذا السلوك القــويم ؛ يحفــظُ العلائقَ الطيِّبة فيما بين القبائل ، فلا تقومُ نائرةٌ بسبب اعتداءٍ من هذا أو خيانة من ذاك ، بل يبقى الاطمئنانُ والأمانُ ؛ شعورا واقعا للعربيِّ أينما حلَّ وكان ، ويبقى المجتمعُ بأسره مستقرّا ، لا يَخرِقُ استقرارَهُ تَوَجُّسُ نَزَغٍ أو نَزَقٍ قد يَطرأُ من هذا أو ذاك . وهذا لَبيدٌ العــامريُّ ؛ يفخــرُ بوقوفه مع المظلوم ؛ مُدافعا عن مولاه :

ومَولىً ؛ قَدْ دَفَعــــــتُ الضَّيمَ عَنهُ وقَدْ أمسَى بِمَنْــزِلَةِ المَضيمِ [٦٢]

فالعدالةُ والحقُّ ؛ هما الأَولى بالاعتبار والانتصار ، أما الظُّلــمُ والظالمون ، فلا مناصَّ من نَفْيِه ودحرهم . وبذلك ينعمُ المجتمع بالأمن والأمان ، ويسودُ السَّلام .

ولكن قد يخرجُ من هؤلاء العامريين ، مَن يَخرجُ على العُرف المُتَّبع والتقاليد المتوارثة ، كما يَذكرُ أدهمُ بنُ حازمٍ الضَّبِّيُّ ، في خطابه لقبيلٍ من بني عامر ؛ مُوبِّخا :

---

[٦١] بنو عمرو : رهط الشاعر . شعره : ٨٥ .

[٦٢] المضيم : المركوب بالظلم .شرح ديوانه : ١٠٤

بَنِي عامرٍ ؛ صَـرَمْتُمُ الحَبـلَ بَينَنَـا وبَيْـنكُمُ ، بَعـدَ المَـوَدَّةِ والقُـربِ
غَدَرتُمْ ولَمْ نَغدُرْ ، وقُمتُمْ ولَـمْ نَقُـمْ إلى حَربِنَا ؛ لَمَّا قَعَدنَا عَـنِ الحَـربِ
وكُنَّا وأَنـتُمْ ؛ مِثـلَ كَـفٍّ وسـاعدٍ فَصِرنَا وأَنتُمْ ، مِثلَ شرقٍ إلى غَـربِ
فَما نَسلُبُ القَتلى ، كمـا قَـدْ فَعَلـتُمُ ولا نَمنَعُ الأَسْرى، مِنَ الأكلِ والشُّربِ
وسَلْبُ ثِيابِ المَيْـتِ ؛ عـارٌ ومَذَلَّـةٌ ومَنعُ الأَسيرِ الزَّادَ ؛ مِنْ أَقبحِ السَّـبِّ
بِذلكَ أَوصانَا أَبـــــوُنَا ، ولَمْ نَكُنْ لِنَترُكَ ما وصَّاهُ،في الخِصبِ والجَدبِ[٦٣]

نراه يُعنِّفُهُم ــ بمرارة ــ على قبيح ما اقترفوه ، من قَلبِ صالحِ العلاقة بين القبيلتين إلى سُوء وشرور ، إذ كانت المودَّةُ والحبُّ والألفةُ مَوصولةً بينهما ؛ بتقارب قلوبهما ، لكنَّ غدرا أفلـتَ الأمـورَ حتـى وصلتْ إلى الحرب ، مع أن الشاعر يُبرِئ قبيلته من الغدر والحـرب ، لأنها لم تَنسَ ما كانوا عليه من التعاون والتعاضد ؛ كمـا بـين الكـفِّ والساعد ، فأمسَوا مُتباعدينَ مُتنافرينَ كالشرق والغرب ، إذ عُكِسَ ذاك الاتِّفاقُ التَّامّ إلى تَضادٍّ سافر . لكن أولئك لم يَقفوا عند هذا الحدِّ ، بـل تجاوزوا كل الحدود ، فسلبوا القتلى ومنعوا الأسـرى مـن الـشراب والطعام ، وذلك في عُرف الجاهليين عارٌ قبيحٌ لا يُقبل بحال ، بـل لا يُسكَتُ عليه ، وقد التزم به الشاعر وقبيلته امتثالا لوصاة أبيهم التـي لا يَحيدون عنها في أي ظرف . وكذا العرب جميعا ، إلاَّ أنـه يَبـدو أنَّ الشاعر ــ بسبب انفعاله ــ قد ضَخَّم الحَدَثَ وعَمَّ به قبيلةً لا يمكـن أن تفعل ما وُصِمتْ به ، فبنو عامر لا يختلفون عن بني ضَبَّة أصالةَ نَسَب ولا يَقِلُّونَ عنهم اعتزازا بحَسَب ، وهم يمتثلون هذه القـيم الكريمـة ، والمبادئ السامية ؛ كغيرهم من قبائل العرب . ويَرسُـمُ سُـلمى بـن ربيعة بن زياد الضبي ؛ صُورةً لما كانتْ عليه مَسيرةُ حياته ومواقفـه

---

[٦٣] أشعار قبيلة ضبة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين : ١١٢ .

وتصرفاته في عشيرته ؛ بما كان يَؤول إلى ترصين وحدتها وسلامتها وتوحُّدها مع الآخرين :

ونَقَدْ رأبْتُ ثأْيَ العشيرةِ بَيْنَها	وكَفيتُ جانبَها اللُّتَيَّا والّتي [٦٤]
وصفحْتُ عن ذي جهلِها ورفدتُها	نُصحي ، ولَمْ تُصِبِ العشيرةَ زلَّتي [٦٥]
وكَفيتُ مَولايَ الأحمَّ ؛ جَريرتي	وحبَسْتُ سائمتي ، على ذي الخلَّة [٦٦]

فإذا ما طرأ فَسادٌ أو انفرجتْ ثُغرةٌ ، سارعَ إلى سَدِّها ، كافيـا عشيرتَهُ ما يَدهَمُها من الأُمور العظيمة والحقيرة على السَّواء، وإذا نَبـا جهلٌ من أحدهم : عفا عنه وغفَر ، ولا يتـأخَّر عـن نُـصح أبنائهـا وإرشادهم إلى الخير ، في الوقت الذي يكون هو مُنضبطا مُتماسكا ؛ لا يصدر عنه زَلَلٌ أو خطأ ؛ تَتحمّلُ العشيرةُ أعباءَهمـا ، حتـى أقـرب الأقرباء والأصدقاء إليه ؛ لا يُكلِّفهم شيئا من تَبعاته ، أمَّا أموالُـه مـن النَّعم فيقصُرَها لحاجات الفقراء والمعوزين . فأيُّ أثَرٍ إيجابي يتركه في عشيرته ؟ وإذا كثر أمثاله؛ فكيف يكون حال العشيرة ، والقبيلة والقبائل عموما ؟. أليس هو السلمُ الاجتماعيُّ الشامل ؟. ويقولُ شيخٌ من بنـي ضَبَّة ، لبني تَميم بن مُرٍّ بن أُدٍّ :

أبَني تَميم إنَّني أنَا عَمُّكُمْ	لا تُحرَمُنَّ نَصيحَةَ الأعمامِ
إنِّي أرى سَبَبَ الفَناءِ ،وإنَّما	سَبَبُ الفَناءِ؛ قَطيعَةُ الأرحامِ

---

[٦٤] رأبت: أصلحت. الثأي: الفساد. اللُّتَيا: تصغير التي، جعلهما اسمين للكبيرة والصغيرة من الدواهي، ولهذا استغنى عن صلة الموصول . وهذا مَثَل للشدّة الكبيرة والصغيرة . ينظر: الأمثال ، الأصمعي :٥ – ٨٦ .

[٦٥] رفدته : أعطيته ، عدّاه لمفعولين ، وفي المعاجم يُعدّى لمفعول واحد .

[٦٦] الأحم : الأقرب . السائمة : الأموال التي ترعى . الخلة : الحاجة والفقر . أشعار قبيلة ضبّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين : ١٥٥ .

فتداركوا ، بِصَـــحابتي وأمّـــتي أنتمُ   أرضـاعتمْ ؛ بروائح الأحلام [٦٧]

فهذه نصيحةُ رجلٍ فاضل لهؤلاء ، وإنْ لم يكونوا من قبيلته إلاَّ أنه يُريد إعمامَ الخير في المجتمع ، مؤكدا أهميةَ الرَّحم بل قُدسيتها ، فهو يخاطبُ فيهم ألبابَهم وحُسنَ تفكيرهم ، وتفكُّرَهم بما يُصلحهم ، فلا أفضلَ من صلة الرَّحم . وكما قال نبينُا الأعظم (ﷺ): **﴿ صِلَةُ الرَّحِمِ مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرْ ﴾** [٦٨] . وصدق رسولُنا الأكرم (ﷺ). ورحم اللهُ الناصحين الذين لا يبغون إلاّ خيرَ الآخرَين من دون انتظار جزاء معنوي ولا ثمن ماديّ ، فهؤلاء أنبلُ مصاديقَ للإيثار ، وخدمةِ الإنسانية جمعاء . فلا جرمَ أنّ كانوا ــ بفعالهم ــ دُعاةً حقيقيين للسلام العام . وكان أوسُ بنُ حَجَر ؛ شاعرُ تميم، مُعجبا برئيس قبيلة أسد ، وهو فَضالةُ بنُ كَلَدة ؛ رئيس قبيلة أسد ، وقد رثاه ؛ مؤبِّنا بما كان له من أثر فعّال في المسيرة الهادئة لحياة العشيرة :

وقَـــوارصٍ بَينَ العَشيرةِ ؛ تُتَّقَى   داويْتَها ، وسَمَلْتَـــها بِسِمالِ [٦٩]

فكان من الزعماء الأفذاذ الحكماء المحبوبين ، إذ كانت تأتمرُ بأمره العشيرةُ كلُّها ؛ فيما يُشيرُ به ، ويُتابع من أمورها ؛ صغيرةً وكبيرة، حتى الكلمة المؤذية إنْ صدرتْ عن أحدهم ، كان يُسارع بلملمةِ ما قد يحدث جرَّاءَها ؛ فيُصلحُ ما قد يَنشبُ من خلاف بين أفراد القبيلة ، ويتداركُ الأمرَ قبل تَفاقُمه لِتَستَتِبَّ الحالُ، ويَسيرَ الركبُ بلا عَقَباتٍ أو مُنغِّصات . ويُتبعها بقصيدةٍ أُخرى؛ مُفصِّلا مآثرَهُ وأفضالَهُ

---

[٦٧] أشعار قبيلة ضبّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين :٢٦٨ .

[٦٨] ينظر: سنن الترمذي ، ٢٣٧/٣ ، رقم الحديث ٢٠٤٥ .

[٦٩] القوارص: جمع قارصة ، وهي الكلمة التي تؤذي فتسبب الخلاف. سَمَل بين العشيرة: أصلح؛ أراد: أنه السيد المطاع. ديوانه:١٠٧ .

في العشيرة ، ومساعيه الخيّرة التي لا يُدانيه في جدارته بها ولا يُباريه في اقتداره عليها الآخرون ، فقد كان رَجُلَ الطُّمأنينة والاستقرار بِحَقٍّ :

فَرَّجْــتَ غَمَّهُــمُ وكُنْــتَ غَيْــثَهُمُ حتّى استَقَرّتْ نَواهُمْ ، بَعدَ تَـزوال [٧٠]
أيــا ذنَيْجَــةَ مَــنْ يَكفِــي العَــشيرَةَ ، إذْ أمْسَوا -مِنَ الأمْرِ-في لَبْسٍ، وبلْبالِ [٧١]
أمْ ؛ مِنْ لأَهْلِ لَوِيْ ، فــي مُسَـــكَّعَة في أمرِهِمْ ، خالَطُوا حَقّــا بِإبْطــالِ [٧٢]

فقد كان يُفرِّجُ غَمَّ المغمومين ، ويكشفُ كربَ المكروبين ، ويُقرُّ الجميعَ في مساكنهم حيثُ السّكينةُ والأمان . ويخاطبه بكنيته الحبيبة ؛ فهو رجلُ المهمات الصعبة ؛ يتحمل المَشاقَّ لراحة الآخرين وإسعادهم، لذا فقد كان وجوده يَحُلُّ العُقَدَ والمشاكلَ ، فما كانت ـ هناك ـ ملابساتٌ ولا إشكالات . وحتى عندما كانوا يقعون في محنة أو إذا نابَتْهُم مُصيبةٌ أو نكبة ؛ كان أهلا لحلِّ المُعضلات، وتخفيف الشديدات ، لذا تفتقدُهُ الآن قبيلتهُ كلُّها بعد رحيله ، فقد كان الطبيبَ الحاذقَ الذي يُوجِدُ دَواءَ كلِّ عِلَّة ، ويُلَبّي حاجةَ كلِّ إنسان . إذن كان فضالةُ أَمنَهُم وخَيرَهُم ، وجامعَ قُلوبِهم، ومُوَحِّدَ صفُوفِهم ، ومُيَسِّرَ حياتِهم ، لِيَشيعَ فيهم ؛ السلام ، ويَشِعَ على الآخرين .

ويُطالِعُنا في بني سُلَيم ؛ مشهدٌ آخرُ يُصوِّرُهُ (بَطَلُهُ) العبّاسُ بنُ مِرداسٍ ، إذ يَبُثُّ أشجانَهُ، وقد أَسِيَ على قَطيعةِ الرَّحِمِ ، والشَّحناءِ ؛ بين الأقربين :

---

[٧٠] تزوال : تشرد . [٧١] اللبس : الاختلاط . البلبال : الفوضى والارتباك .

[٧٢] اللوي: ما جَفَّ وذبل من الزرع. المسكعة : المضللة المودرة من المصائب التي لا يهتدى فيها لوجه الأمر، حين يختلط عليهم الحق والباطل . ديوانه: ١٠٤ .

أرانـــي كلمــا قاربْــتُ قَـــومي	نــأوْا عنّـــي ، وقطْعُهــمْ شــديدُ
سَددْتُ عتابَهُـــــمْ ، تصفَحْتُ عنْهُمْ	وقُلْتُ: لَعلَّ حلْمَــهُمْ يعُـــودُ
فَـــإنّي لَـــوْ يُـــؤنّبُني خُفـــافٌ	وعَـوفٌ ، والقُلـوبُ لهـا وقُـودُ
وإنّـــي لا أزالُ ؛ أُريـــدُ خيرا	وعِندَ اللهِ ــ منْ نعَمٍ ــ مَزيـدُ [٧٣]

طَرَفا الموضوع ــ هنا ــ الشّاعرُ وقومُه ، فقد ذكَـرَ نفسَهُ بالضمير الظاهر والمُستتر أَحَدَ عشَرَ مَرَّةً ، وذكَــرَ قومَـــهُ تـصريحا وإضمارا بما لا يَقِلُّ عن ستِّ مَرّاتٍ ، ثمّ خَصّصَ ــ مِـنهم ــ خُفافــا وعَوفا. أمّا الموضوع فهو ؛ الثائرة التي حلّتْ بينهم . كأنّهم نفَروا منه وقَطعوا حِبالَ الوُدِّ والصفاء معه ، بلا أسباب موضوعية مقبولة، حتــى ملَّ مَنطقهم ــ هذا ــ ومع ذلك عفا عما اقترفوه بحَقِّه ؛ مُتأمِّلا تَفكُّرَهُمْ ومُراجعةَ عقولهم؛ لتجاوز هذه الأزمة . ثم يذكر خُفَــافَ بــنَ نُدْبَــةَ ، وشخصا آخر، راضيا منهما مُعقابته على إساءةٍ ــ ربمــا ــ صــدرتْ عنه ــ بقَصد أم بغيرِ قَصد ــ من أجل أنْ تَبْــرُدَ الــصُّدورُ ، وتَبــرأَ القلوبُ وتهدأَ النفوسُ ؛ إذ هو ــ من جانبه ــ لا يبتغي إلاّ الخيرَ لهــم جميعا ، ومن الله البركةَ والهداية والتوفيق .

بهذا المسار الحكيم ؛ لا يَبقى ما يُعكِّــرُ العلائــقَ الاجتماعيــة الطبيعية ؛ فتُمحى أيّةُ شائبةٍ علِقتْ عَرَضا ويَسلمَ الجميعُ من هذه العَلاقة السَّخيمة ، فيَعْتلقوا ويَتحابُّوا ؛ ليَعودَ التّفاهُم ــ بيْنَهُم ــ ناسجا خُيُــوطَ الإنْسجامِ والوئامِ ، ولِيَسْتَنْشِقوا ــ من جَديد ــ أنسامَ السَّلام الزكية .

قال أبو عُبَيدَةَ : وقفَ أُمَيَّةُ بنُ الأسْكَرِ اللَّيثيّ ، على ابنِ عَمٍّ له في الجاهلية ؛ فقالَ له :

---

[٧٣] ديْوانه : ٤٢ .

نَشَدتُكَ بالبيتِ الَّذي طافَ حَولَهُ ۔۔۔ رجالٌ بَنَوهُ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالبِ
فإنَّكَ قَدْ جَرَّبْتَني ؛ هلْ عَلِمْتَني ۔۔۔ أعينُكَ في الجُلَّى،وأكْفيكَ جانبي؟ [٧٤]

فقال أَجَل . قال : فما بالُ مِئبَرٍ ؛ لا يَزالُ رَسيساً مِنْكَ ؟ فقال : لَن أَعُودَ . قال أبو عُبيدة : المِئبر: النَزَغ ، من قولهم : أَبَرَتْهُ العقربُ ، إذا ضَرَبَتْهُ بإِبْرَتها. وجمعُه : مآبِر : نمائم [٧٥] . وهكذا ؛ أبعدَ ــ هذا الرجلُ ــ النَّميمةَ ، ورَفعَ الشبهةَ ، وأَطفأَ الفتنةَ في مهدها ؛ بِحُسنِ سُلوكه ، ولُطفِ أُسلوبِه ، وسُرعةِ مُبادرته ، لِقطعِ الطَّريق على الإحَنِ والضَّغائن ، أَنْ تَشوبَ سَلامةَ حياتهم ، أو أن تَحرِفَها عن طبيعتها الرَّشيدة . وفي رثاءِ النَّمرِ بنِ تَولَبِ العُكْلِيِّ ، لأخيهِ الحارثِ ، ذكر أنَّه كان ضمانةَ عَدَمِ نُزُول داءٍ ، أو فسادٍ في عشيرَتِهم ، أَمَّا اليوم فقد حَمَلَتْهُ أَكُفٌ أبنائها إلى مَثواهُ الأَخير :

تَضَمَّنْتَ أدواءَ العَشيرةِ ؛ بينَها ۔۔۔ وأنتَ على أعوادِ نَعْشٍ مُقَلَّبِ [٧٦]

فقد كان يَحملُ ما يَقعُ من دِياتٍ ؛ لِيُصلحَ بينهم . وما المانعُ أنْ يُؤتَسَى به ويَستمرَّ الإصلاحُ، ويَبقى صلاحُهُمْ ؟ بل يُحافظون على سلمهم ؛ بمنع ما يَخِلُّ به أَصلا . كان أبو قيس صِرمةُ بن أبي أَنَس ((قَوَّالا للحَقِّ ، مُعَظِّما للّهِ ﷻ)) [٧٧] . لذا كان فيه شُعورٌ بالمسؤولية عظيم ، إذْ يُوصي أهلَهُ والآخَرين ، وهو يَجُودُ بِرُوحه ، مُطلِقا آخرَ دَعَواتِ الخير والإيثار ، لِيَضمَنَ استمرارَ سلمِ المجتمع ؛ مِن بَعدهِ :

---

(٧٤) الحماسة الشجرية ، ١/٢٦٢ .

(٧٥) الرَسيس : خبرٌ لم يَصِحَّ ، وابتداء الحُمَّى . نَزَغه : طَعَن فيه واغتابه ، ورجلٌ مِنْزَغ : يَنْزَغُ الناسَ .

(٧٦) تضمنتَ : أصلحتَ . شعره : ٤٢.

(٧٧) السيرة النبوية ، ١/ ٥١٠ .

يقولُ أبُو قَـيْسٍ ، وأصْـبَحَ غادِيـا ألا ما استَطَعْتُمْ مِن وَصاتِيَ ؛ فـافعَلوا
فَأُوصــيكمُ بِـــاللهِ والبِـــرِّ والتُقـــى وأعراضَكُمْ ، والبِـرُّ بِـالله ؛ أوَّلُ
وإنْ نَزَلَتْ إحْــدَى الدَّواهِي بِقَومِكُمْ فأنْفُسَكُمْ دُونَ العَشيرَةِ ؛ فَاجْعَـلُوا [٧٨]

فقد كان على نورٍ من الحَنيفيَّة الغرَّاء، وهو في أكثر لحظـات حياته إخلاصا لله تعالى ــ أوَّلاــ ثُمَّ لأهله وذوي رحمه ، وللقِيَم والمُثُل الدينية / الإنسانية العليا التي آمن بها ، قد أفرغها في قالـب شِـعريٍّ وَجيز ، مُبَسَّط واضح الدَّلالة ، عميق المعنى والأثر . إذ يَطلُبُ منهم أن يُنفِّذوا ما يمكنهم تنفيذُهُ من وصيَّتِه، أو كلَّما أمكـنهم ذلـك ؛ بحـسب ظروفهم الذاتية والموضوعية . وعلى رأس تلك الأولويَّات طاعـةُ الله سبحانه ؛ لأنها الأصلُ لكل خير وصلاح ، وما بعـدها كلُّهـا مَبـادئُ للرِّفعة والسُّمُوّ بالنَّفس الإنسانيّة إلى الذُّرى. ثم يُؤَكِّدُ إيثارَ كيانِ القبيلة ، ومصلحتها ؛ على ما دُونها من كيانات ومصالح ؛ لأنَّها تُمثِّلهم جميعا، ووحدتها عِزٌّ لكلِّ أفرادها ، وتماسكها تماسك لمن يَنضوي تحت لوائها وفي ذلك كلِّه يَتحقَّقُ سِلمُ عموم المجتمع . وهكذا نـرى تَعـدُّدَ أوجـه التَّصرُّفات ، والمواقف الإنسانية الهادفة إلى سبيل الرَّشاد .. لكن فـي المحصلة النهائية ؛ نجد أنَّ الغاية كانت ــ دائمـا ــ خيـرَ الإنـسان واطمئنانه في حياته وعلاقاته ، ومن ثَمَّ شعورَهُ بالأمـان والاسـتقرار والتَّنعُّم براحة البال ، وأنْ يَعيش كريما مُتسالما مع الآخرين ، سعيدا .

وإنْ عَنَّتْ بعضُ الأمور التي قد تُزري بأمـانهم وسـلمهم ، أو رُبَّما خِيفَ من نَتائجَ وعَواقبَ غير مأمونة .. حينها يَنبري ذَوُو ألبابهم وحكماؤهم من الأعيان والكُبَراء ، على مـستوى الأسـرة ، أم علـى

---

[٧٨] الشعراء الحُنَفاء ، ص ١٩١ –١٩٢ .

المستويات الأعلى ؛ لرفع أي مصدر قد يُذكي نـارَ الفُرقـة أو يَنكـأُ بلُحمتهم ، أو يُرهِصُ ببَلبلة ؛ تُوقعُ عـداوة واضـطرابا بـين الأهـل والأرحام . فيَجهَدُ المصلحون يُؤازهم الخيِّرون لِرأْب الصَّدع وتـسوية الأمر ، كلٌّ من مَوقعه ، وبِحَسَب قُدرته وسلطانه ، ودرجـة تـأثيره ، ومستوى مسؤوليته الاجتماعية .. وذاك طبيعيٌّ في أي مجتمـع ، إذ لا يَسلمُ من خطأ أو زَلَل من شخص أو أشخاص ، أو جَور واعتداء منـه هنا وهناك .. لكن المهم أنَّ ذلك لا يُقَرُّ ، ولا يُترك حتى يُعدَّلَ ؛ علـى أساس حقوق الأفراد التي سَنّتْها أعرافُ القبائـل وتقاليـد المجتمـع .. صيانةً لأمان الناس وأمنهم ، ومُراعاةً للعلائـق الحـسنةِ ، والوشـائج الطيبة ؛ لِيَحيَا الجميعُ في اطمئنانٍ ، بِحِمى سلامٍ مُبين .

والمنافرةُ بابٌ مهم في حياة المجتمع الجاهلي ؛ وهي المفـاخرةُ بين شخصين ، أو فئتين ؛ بأهليَّة وأحقيَّة كلٍّ منهمـا ؛ بـأمرٍ مُعـيَّنٍ ؛ والاحتكام فيه إلى حَكَمٍ ؛ لِيُنَفِّرَ بينهما ، أو يُغلِّبَ أحدَهما ، ليفوز علـى الآخر في القضية المعنية ، ومن أشهر المنافرات التـي وقعـت قُبيـل الإسلام ، كانت مُنافرةُ عَلْقَمةَ بنِ عُلاثَةَ وعامرِ بن الطُفَيـل ؛ اللَّـذَين تنافسا على زعامة عشيرتهما ، وقد وقف حينها بعضُ الـشعراء فـي صَفِّ علقمة، وبعضهم الآخر في صَفِّ عامر ومن ذلك الجدل المُحتَدِم كان النابغةُ الذُّبيانيّ قد رَدَّ على هجـاء زُرعـةَ العـامريّ ؛ لـبعض الأَسَدِيِّين، فردَّ عليه عامرُبن الطفيل ؛ مُفتخرا:

فإنّ ــ لَنَا ــ حُكُومَـةَ كُـلِّ يَـومٍ ... يُبَـيِّنُ فـي مَفاصِـلِهِ الـصَّوابُ [٧٩]
وإنّي سَـوفَ أحْكُـمُ غَيـرَ عـادٍ ... ولا قَـذِعٍ ؛ إذا الْـتُمِسَ الجَـوابُ [٨٠]
حُكُومَةَ حـازِمٍ ، لاَ عَيـبَ فيهَـا ... إذا مَـا القَـومُ كَظَّهُـمُ الخطـابُ [٨١]
فإنَّ مَطيَّةَ الحِلْـمِ ؛ التَّأنّـي ... على مَهَـلٍ ، ولِلجَهْلِ الشَّبـابُ [٨٢]

وهذا كلامٌ مُعتدلٌ رشيد ــ في خِضَمِّ تلك السَّورة ــ إذ يقول أنَّ لهم من السيادة والحكمة ما يجعلهم يَحكمون فيما يقعُ من خصومات ويقطعون بها بقرارات مناسبة . لذا فهو على استعداد للحكم ــ في هذه القضية أيضا ــ من دون أن يجور بحُكمه ولا أن تصدرَ عنه كلمةٌ نابية. فحُكمه من القُوَّة والسَّداد والحسم، ما يعلو على ما يتراشق به الآخرون ؛ من كلمات صادرة عن غيظ وتحاسد، لأنه حليم لا يتهور ولا يحكم عن انفعال ؛ بل عن تَرَوٍّ وتَفَكُّر من دون أن يَندفع اندفاعَ الشباب وحُمقَهم .ويَرُدُّ النابغةُ على عامرٍ ؛ داعيا إيَّاه إلى الكِياسة والنُّهى:

فـإنْ يَـكُ عـامرٌ قَـدْ قـالَ جَهْـلا ... فإنَّ مَظِنَّـةَ الجَهْـلِ ؛ الـشَّبَابُ [٨٣]
فَكُـنْ كَأبيـكَ ، أو كَـأبي بَـراءٍ ... تُوافِقْكَ الحُكومَـةُ ، والـصَّوابُ [٨٤]
ولا تَذْهَبْ بِقَـولِكَ ؛ طامياتٌ ... مِنَ الخُيَلاءِ ؛ لَيـسَ لَهُنَّ بابُ [٨٥]

---

[٧٩] مفاصله : ما يُفصل من الخصومات .

[٨٠] عاد : اسم فاعل من عدا عليه : اعتدى . القذع : الذي يرمي بالفُحش ، وسوء القول ، القَذَع : الكلام القبيح .

[٨١] كظهم : غَلَبَهم ، ومَلأَهم غيظا . الخطاب : المخاطبة .

[٨٢] المطية : كلّ ما رُكِبَ ظهرُه . وهذا الشطر صار مثلا . ديوانه :٢٠ – ٢١ .

[٨٣] مظنة : محل الظن .

[٨٤] أبو براء ؛ عامر بن مالك ، الملقب بمُلاعب الأسنَّة .

[٨٥] طاميات : مرتفعات . من الخيلاء ؛ بيان لطاميات ، أي : خيلاء شديدة. ليس لهن باب : لا مَخلص له منهن . ديوانه :٥٧ .

يُعارضُ الشاعرُ قصيدةَ صاحبه بالوزن والقافية نفسيهما ، ويكادُ يَسلُكُ أُسلوبَهُ ويَختَطُّ أَلفاظهِ ــ ذاتَها ــ لما عُرِفَ عن النابغة من براعة في التَّصرُّفِ تَعضُدُها قُوَّةُ شاعرية وتَمكُّن .. فالجهل الذي بَــريءٌ منــه عامرٌ؛ يَصِمُهُ النابغةُ به ــ بِعَدِّ نفسه أسَنَّ منه ــ مُعَرِّضا بطَيشه ونَزَقه. ثمَّ يَضربُهُ في الصَّميم؛ عندما يرجو له أن يكون كأبيه أو عَمِّه ؛ اللَّذَين كانا يَحكُمان صوابا ؛ فلا يستطيع عامرٌ أن يُنكرَ ما كانا عليه فعلا ! ثم يَطلُبُ منه أن يُخَفِّفَ من غَلوائه ، واعتداده بنفسه الزائد عن حَدِّ المعقول والمقبول ، إذ جعله في مأزِق لا مَخرجَ له منه . ويَدخُلُ الأَعشى ؛ حَلَبةَ التَّحكيم ، في هذه المواجهة الحامية :

حَكَّمتمُــــوني ؛ فَقَــضى بَيــنَكُمْ	أَبلَــجُ ، مِثــلُ القَمَــرِ البــاهِرِ [٨٦]
لا يَأْخُــذُ الرُّشْــوَةَ ، فــي حُكْمِــه	ولا يُبــالي ؛ غَــبَنَ الخاسِــرِ [٨٧]
أُوَّلُ الحُكْــمَ ؛ علــى وَجْهِــه	لَيسَ قَضائي ؛ بــالهَوى الجــائرِ [٨٨]
قَــدْ قُلــتُ قَــولا فَقَــضى بَيــنَكُمْ	واعتَــرَفَ المَنَفُــورُ ؛ للنــافِرِ [٨٩]
كَمْ قَدْ مَضَى شِعْـــرِيَ ، في مِثْلِهِ	فَســـــارَ لِي مِنْ مَنْطِقٍ سائرِ [٩٠]

تَدُورُ مَعانيه على تأَهُّلِه وصَلاحِه للتحكيم ، ونزاهته وجُرأته في قول الحقِّ واتخاذ القرار الصائب المناسب ، الذي لا بُدَّ من أن يعترفَ به الطرفان ، ويَسيرَ في الناس باستحسان . وقد كان حَكَمَ ؛ بِغَلَبة عامر بن الطُّفيل على صاحبه . ولكن لم يكن شعرُ الشعراء ؛ بالحكم النافذ ،

---

[٨٦] أبلج: واضح ، مُشرق الوجه . الباهر : الذي يبهر النجوم ، فيقطع ضوءها .

[٨٧] الغبن : النقص .

[٨٨] أوَّلَ الحكم على وجهه : رَدَّهُ على وجوهه وجعله يرجع إلى الصواب . الجائر: المنحرف عن الحقِّ والصواب .

[٨٩] المنفور: المغلوب في المنافرة . النافر : الغالب فيها .

[٩٠] منطق سائر : مشهور ، ذهب بين الناس وسار . ديوانه :١٤١-١٤٣ .

أو المُلزم للمُتخاصِمَين ، فكلُّ واحدٍ منهم ، يُمكنُ أن يُدليُ بِدَلوه ، مُعبِّرا عن رأيِه ومَيلهِ ، بحسابات ذاتيـــة نفـسية ، وموضـــوعية ظرفيـــة ، وعشائرية مختلفة . أمَّا الحُكمُ الفاصل الذي يَتَّبِعُهُ المَعنيُّون وذَوُوهـــم ، فيعودُ إلى الحُكَّام ؛ وهؤلاء لهـم شُـــروطُهم وأحكـــامهم ، وشـــهرتهم ومكانتهم في قبائل العرب .. وقد احتكم علقمةُ وعامرٌ في منافرتهمـــا، إلى رجل من هؤلاء الحُكّام، يُقال له خُزَيمةُ بنُ عَمرِو بنِ الرَّجيد ، ثُـمَّ إلى أبي سُفيانَ بن حَرْب ، ثم إلى أبي جَهْلٍ بنِ هشام بـــنِ المُغيـــرة ، وكلُّهم يَتحرَّجُ منَ الحُكم ، فلا يَقولُ فيهما شيئا ، إلى أن صارَ الأمرُ إلى هَرِمِ بن قُطبةَ بنِ سِنان بن عَمرِو الفَزاريِّ ، فاحتالَ للأمر ، واستدعى كلا من الخَصمين على حِدة، فكان يُصَوِّرُ لكـــلٍّ منهمـــا أنَّ خـــصمَهُ ، أفضلُ منه ، فيَتخيَّلُ أحدُهما أنَّهُ سيُفضِّلُ صاحبَهُ ، ويَرجوهُ ألاَّ يفعـــل ، وأن يكتفيَ بالتسوية بينهما. فلما كان يومُ الحُكم ؛ قام هَـــرِمٌ ، فَـــسَوَّى بينهما ، قائلا: ((أنتما كرُكبَتَي البَعيرِ الأدرم [٩١] ، يَقعانِ إلـــى الأرض مَعا . ولَيسَ منكُمَا واحدٌ إلاَّ وفيهِ ما لَيس في صاحبه ، وكِلاكُمَـــا سَـيِّدٌ كَريم)) [٩٢] . وقد قال الشاعرُ في هَرِم هذا :

قَـــضى هَـــرِمٌ يَـــومَ المُرَيْـــرَةِ بَيـــنَهُمْ ... قَضاءَ امرئٍ بالأوَّلِيَّةِ ؛ عـــالِمِ [٩٣]

قَضى ، ثُمَّ ولَّى الحُكْمَ ؛ مَنْ كانَ أهْلَهُ ... ولَيسَ ذُنابى الرّيشِ ، مِثْلَ القَوادِمِ [٩٤]

---

[٩١] الأدرم : الفحل .

[٩٢] ينظر: السيرة النبوية ، ٣/١٩٣ . والأغاني ، ١٥/ ٢٨٣ . وخزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب، ١/١٢٧ .

[٩٣] الأولية : مفاخر الآباء .

[٩٤] ذنابى الريش : ريشات أربع في جناح الطائر ، بعد الخوافي . القوادم : ريشات أربع قبل الخوافي . البيان والتبيين : ١/١٠٩ .

يُشيدُ به ويُكبِرُ طَرِيقتَهُ في الحكم التي أَنْتَجتْ التَّسْوِيةَ ، وقد رضي كلا المتنافرين بها . وما كراهةُ الحكام أن يَحكموا بينهما ، واحتيالُ الأخير في حُكمه ، إلاّ كونَهُمَا ابنا عَمٍّ ؛ فلم يُريدوا بَذرَ الشِّقاق والخلاف ، في الحيِّ الواحد من العرب ، وكانوا يُحافظون ـ ما وَسِعَهُم ـ على وحدةَ العشائر والقبائل عموما ، بعدِّها أعمدةَ كيانِ المجتمع العربيّ ، ولا سيما الوحدات الأصغر التي تُشكِّلُ اللَّبِنات الأساسيةَ لهذا الكيان . ولما كان هيكلُ المجتمع يَبدأُ من العائلة والأُسرة، صعودا إلى الكيان الشامل للعرب، فكذلك أمنُهُ ؛ يَبدأُ من أصغر وحدة فيه ، صعودا إلى أمن المجتمع العام؛ بِتَوَفُّرِ كلِّ مُستلزماته وشرائطه .. ومن ثَمَّ يَتحقَّقُ سِلمُ المجتمع كلِّه .وبعد هذه الدَّورة من الجِدال والحِجاج والتَّراجع .. كَرِهَ كُلٌّ من بني مالك ، وبني الأَحوص بن جعفر بن كلاب؛ ما كان بينهما جَرَّاءَ المنافرةِ بين علقمةَ بنِ عُلاثَةَ ، وعامر الطُّفيل !. وفي ذلك يَقولُ عَبدُ عمرو بنِ شُرَيحِ بنِ الأحوص :

لَحَى اللهُ وَفْدَيْنَا وما ارْتَحَلاَ بِهِ	مِنَ السَّوءَةِ الباقي ـ عَلَيْهِمْ ـ وَبَالُهَا
أَلاَ إنَّمَا يُرْدِيْ صِفَاقٍ مَتِينَةٍ	أَبَى الضَّيْمَ ؛ أَعْلاَهَا ، وأُثْبِتَ حَالُهَا [٩٥]

يُشيرُ إلى ارتحال البطنين ؛ بني مالك وبني الأحوصِ، إلى حُكّام العرب : ليَحكموا بين عامر وعلقمة . ويُمَثِّلُ لوحدتهما ـ في الأصل ـ بِثَوبَين ملبوسين أحدهما على الآخر [٩٦]، وقد التصقا بإحكام؛ حتى كأنَّهما ثوبٌ واحد ، لكنَّ هذه الفتنةَ ؛ فصلتْهما ـ ظاهرا ـ بُرهةً من الزمن ؛ بسبب ما أخذهما من مُكابرةٍ وعناد ، إذ لم يَقبلْ أيٌّ منهما

---

[٩٥] أشعار العامريين الجاهليين ، ص ٨٥ .

[٩٦] ينظر : المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، ص ٢٨٥ .

التنازلَ للآخر عن السِّيادة ، لكنهما سرعان ما عادوا إلى ما كانوا عليه؛ من وحدة قديمة . وبذلك نجد منافراتهم تنتهي بالسلام ؛ فهو المبدأ والمآل في كل وقت وحال، وكما قيل في أمثالهم :**[مَعَ الخَواطِئ ؛ سَهْمٌ صائبٌ]**[٩٧]، فلا بُدَّ من أن يَثُوبَ العاقلُ إلى الرُّشد، مهما انحرف عن المسار القويم لحياة المجتمع ، وإذا لم يَرْعَوِ هو ؛ فهناك حتما ــ في أُسرته أو قبيلته ــ عُقلاءُ يتصدَّون للخَطَل ؛ حفاظا على وحدتهم ومصالحهم العليا. وفي النتيجة يؤوبُ المارقُ إلى مجتمعه وإلى السلم ؛ عاجلا أم آجلا . وهكذا تؤكدُ القبيلةُ ونظامُها ، والرَّحِمُ وآثارُها ؛ تَوقَ الإنسان العارمَ ، وحَنينَهُ الأزليّ ، إلى المِهادِ الفِطري ؛ لحياته الطبيعية ــ كما أراد له تعالى ــ أن يَعْمُرَ الأرضَ ؛ بتعايُشه ــ أولا ــ مع أبناء جِلدته؛ مُتَحابّا مُتآلفا مُتعاونا مُتعاضدا ، من أجلِ خيرِ الجميع ، ثم من خلال ما يَنشأُ من علاقاتٍ وأعرافٍ قَبليةٍ واجتماعيةٍ مُتشابكةٍ ، تَتكاملُ بها مَساعيهم ، وتتنامى مُمارساتهم فيها ؛ فَتتكوَّنُ الخبراتُ وينَشَطُ العملُ ويَتواصلُ ؛ لتَطمينِ حاجاتهم الإنسانية ، ومصالحهم المتبادلة ، فيتواضعوا على كُلِّ ما يَهُمُّهُم من تَفاصيلِ حَياتِهِمُ اليومية ، فيكونُ الوِفاقُ الذي يُثمرُ علائقَ إنسانيةً صافيةً مُتشاركةً مُتساندةً مُتسامحةً ، لِتَزْهرَ حياتُهم؛ هَناءً ورَغَدًا وسَعادةً ، قويمةً سليمةً معافاة ، حتى تَتعمَّقَ أُسُسُ السلام ، وتَتَمَتَّنَ قاعِدَتُهُ ، وتَزدادَ اتساعا ويَتَرسَّخَ بناؤهُ ، ويَشْمُخَ صَرْحُهُ ، لِيَدُومَ ويَبقى ــ أبدا ــ سلاما عَتيدا ؛ لا يَحيدُونَ منه ، ولايَحيدُ . فَبالسِّلمِ التّامّ ــ الذي تَصنعُهُ القَبيلة ــ تَتحقّقُ خِلافَةُ الإنسان .

---

(٩٧) مختار الصحاح ، ص١٨٠ .

المصادر :-

- القرآن الكريم .
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، جزآن : الخالديان أبو بكر محمد ت ٣٨٠ هـ وأبو عثمان سعيد ت ٣٩١ هـ ابنا هاشم ، حققه وعلق عليه د. السيد محمد يوسف ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- أشعار العامريين الجاهليين ، جمعها ووثقها وقدم لها د. عبد الكريم إبراهيم يعقوب ، دار الحوار ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٢ .
- أشعار قبيلة ضَبَّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين ، عبد اللطيف حمودي كاظم الطائي أطروحة دكتوراه ، آداب الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٥ .
- الأصمعيّات : اختيار الأصمعيّ أبي سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك ت ٢١٦ هـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف، مصر ، ص٤ ، ١٩٧٦ .
- الأغاني : خمسة وعشرون جزءا : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القُرَشيّ الأمويّ الأصفهانيّ ت ٣٥٦ هـ ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد الأمير علي مهنا والأستاذ سمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٦ .
- الأمثال : أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك الأصمعي ت ٢١٦ هـ جمع نصوصه وحققها وقدّم لها د. محمد جبار المعيبد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط ، ٢٠٠٠.
- البيان والتبيين : أربعة أجزاء : أبو عثمان عمرو بنُ بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ومكتبة الهلال ، بيروت، والمكتب العربي ، الكويت. ط٣، ١٩٦٨.
- الحماسة الشجرية : قسمان : تأليف ابن الشجري هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني ت ٥٤٢هـ تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد السورية ، ١٩٧٠ .
- خزانة الأدب ولبُّ لُباب لسان العرب: ثلاثة عشر جزءا : تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ت ١٠٩٣ هـ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارو ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٣ ، ١٩٨٩ .
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس : شرح وتعليق د. محمد محمد حسين،الناشر مكتبة الآداب ، الجماميز ، مط النموذجية ، الحلمية الجديدة ، ١٩٥٠ .
- ديوان أوس بن حَجَر : تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم ، دار صادر- دار بيروت ، ١٩٦٠ .

- ديوان بني بكر في الجاهلية : جمع وشرح وتوثيق ودراسة د. عبد العزيز نبوي ،دار الزهراء للنشر ، مط المدني ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩ .
- ديوان الحُطَيأة : رواية وشرح يعقوب بن اسحق بن السِّكِّيت ت ٢٤٦ هـ ، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه ، الناشر مكتبة الخانجي ، مط المدني ، القاهرة ط١ ، ١٩٨٧.
- ديوان شعر الحادرة : حققه وعلق عليه د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٠ .
- ديوان طَرَفة بن العبد : شرح الأعلم الشَّنْتَمري ت ٤٧٦ هـ ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصَّقَّال ، مط دار الكتاب ، دمشق ، ١٩٧٥ .
- ديوان عامر بن الطُّفَيل : رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس ثعلب ت ٢٩١هـ ، كرم البستاني ، دار صادر ــ دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .
- ديوان العباس بن مرداس السُّلَمي : جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٨ .
- ديوان عَبيد بن الأبرص : تحقيق وشرح د. حسين نصّار ، شركة مكتبة ومط مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١ ، ١٩٥٧ .
- ديوان عَدي بن زيد العبادي : حققه وجمعه محمد جبار المعيبد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد ، ١٩٦٥ .
- ديوان عُروة بن الورد : شرح يعقوب بن إسحق بن السِّكّيت ت ٢٤٤ هـ ، حققه وأشرف على طبعه ووضع فهارسه عبد المعين الملوحي ، مط وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، ١٩٦٦ .
- ديوان النابغة الذُّبياني : جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٦ .
- سنن الترمذي : خمسة أجزاء : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣.
- السيرة النبوية :أربعة مجلدات : عبد الملك بن هشام ت ٢١٨ هـ مع شرح أبي ذر الخشني حققه وعلق عليه د. همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٩٨٨ .
- شاعر فارس أُفنون التغلبي : د. عادل جاسم البياتي ، مجلة كلية الآداب ، ع٢٠ ، ١٩٧٦ .
- شرح أشعار الهُذَليين: ثلاثة أجزاء : صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّريّ ت ٢٧٥ هـ ، حققه عبد الستار أحمد فرّاج ،راجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، مط المدني ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

- شرح ديوان لَبيد بن ربيعة العامري : حققه وقدم له د. إحسان عباس ،مط حكومة الكويت ، ١٩٦٢
- الشعراء الحنفاء : د. أحمد جمال العُمري ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨١ .
- شعر خِداش بن زهير العامري : صنعة د. يحيى الجبوري ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دار الفكر للطباعة ، دمشق ، ١٩٨٦ .
- شعر الرَّبيع بن زياد العبسي : جمع وتحقيق د. عادل جاسم البياتي ، مجلة كلية الآداب ، مجلد ١ ، ع١٤ ، ١٩٧٠ – ١٩٧١ .
- شعر عَمرو بن شأس الأسديّ : د. يحيى الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط٢، ١٩٨٣ .
- الشعر في حرب داحس والغبراء : د. عادل جاسم البياتي ، مط الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢ . يتضمنه شعر قيس بن زهير .
- شعر النَّمِر بن تَولَب : صنعة د. نوري حمودي القيسي ،مط المعارف ، بغداد، ١٩٦٩ .
- قبيلة عَبْس أشعارها وأخبارها في الجاهلية : خالد ناجي حمد السامراني ، رسالة ماجستير ، آداب الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٣ .
- قصائد نادرة من كتاب " منتهى الطلب من أشعار العرب " : قسمان :محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي ت ٥٨٩ هـ ،القسم الثاني تحقيق د. يحيى الجبوري ،مجلة المورد البغدادية مجلد ٩ ، ع١ ، ١٩٨٠ .
- مجالس العلماء :أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي ت ٣٤٠ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،وزارة الإرشاد والأنباء ، مط حكومة الكويت، ١٩٦٢ .
- مُختار الصِّحاح : تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦ هـ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٧ .
- المُفضليّات : المُفضل بن محمد بن يَعلى الضّبّي الكوفي ت ١٧٨هـ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، ١٩٧٦ .
- المُنجد في اللغة والأدب والعلوم : لويس معلوف اليسوعي، مط الكاثوليكية ، بيروت ط١٩ ، ١٩٦٦ .
- نهج البلاغة : أربعة أجزاء : من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، اختيار الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى ت ٤٠٦ هـ ، شرح الشيخ محمد عبده ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، د. ت .
- الوحشيّات وهو الحماسة الصغرى : أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي ت ٢٣١ هـ، علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٠ .

الاستاذ الجامعي العراقي بين
فجوة اقتصاد المعرفة وماكنة استنزاف العقول

الدكتور سالم محمد عبود
مركز بحوث السوق وحماية المستهلك
جامعة بغداد

الملخص :

لا تتحقق نهضة الامم بثرواتها المادية فقط بل بمقدار ما لديها من ثروة بشرية .

وتلعب النخبة والصفوة المتخصصة دورا في بناء المجتمع ويمثل الاستاذ الجامعي صفوة الصفوة والعنصر الرئيس والفعال في نهضة عوامل التقدم ولكن الغرب وبكل اساليبه يسعى لخلق فجوة المعرفة وخلق العوامل الطاردة ليقلل من دورهُ وفعاليته . وأن سياسة استنزاف العقول وجذبها للعمل في المؤسسات الاجنبية ومنعها من خدمة البلد تمثل استراتيجية في الابقاء على الفجوة المعرفية وتهجير الاستاذ والمتخصص لكي يفرغ البلد من كل القيادات العلمية الحقيقية وبالتالي تفقد الامة عوامل نجاحها ونهضتها لذا جاءت هذه الدراسة تؤشر اتجاهات الفجوة واساليب استنزاف العقل العراقي وأثاره .

المقدمــة :

ان بناء الحضارة يمثل جهدا إنسانيا يشترك فيه كل الافــراد وكل المؤسسات وهذا يستلزم حشد القدرات وتفاعل ثلاث منظومات (عالم الفكر وعالم الاشياء وعالم الاشخاص) فضلا عن وجود شبكة للعلاقات تمثل بيئة للتفاعل و تعبر عن التصورات الفكرية لعقيــدة المجتمع ..

وهنا تبرز اهمية النخبة والمؤسسات التــي توجــه الجهــود وتعمل على الاستخدام الامثل للموارد في اطــار حركــة منظمــة للمجتمع وتنتج وسائلها وتحقق اهدافها . وان من بين النخبة تظهــر الصفوة وبين المؤسسات تظهر البؤرة فمن هي الصفوة ومــن هــي البؤرة ! أن حركة التاريخ والواقع تؤكــد ان المعرفــة هــي قــوة والاصل في بناء الحضارة . ومن هنا يعتبر الاستاذ الجامعي صفوة النخبة والجامعة هي بؤرة المعرفة المؤسســية .. وانطلاقــا مــن خصوصية مدخلات الجامعة وعناصر العمليــة التعليميــة . فــان الجامعة ليست مؤسسة او منظمة تقليدية لها هياكلها و ليست ابراجا عاجية او لشريحة دون غيرها و لكنها ساحة للمعرفة لعموم النــاس و مرجعية لكل المؤسسات فهي لا تقتصر وظيفتها على التدريس او الابحاث العلمية بل بعدها يمتــد فــي المجتمــع و مؤسســاته لان مخرجاتها هم نواة و مدخلات الحركة التطويرية لكــل الانشــطة ،

فهي تلبي احتياجات المجتمع ومؤسساته المختلفة في جميع المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية وغيرها .

لهذا نجد الاستاذ الجامعي يستمد خصوصيته من سمات الجامعة واهدافها من جانب و كذلك من خصوصية اعداده كونه يمثل رأس مال فكري و تراكم معرفي و استثمار اجتماعي من جانب اخر . فضلا عن انه الوسيلة التي من خلالها يتم تغيير سمات المدخلات (الافراد) وشخصنتها واكسابها مهارات معينة ، فهو ليس موظفا تقليديا وانما يمثل ادارة للابداع وتنمية للفكر وبهذا لابد ان يتسم بالعديد من الكفاءات والخصائص وان تتوفر له عوامل تساعده على تحقيق ما يصبو له .

مشكلة البحث

ان المؤشر الحضاري لاي مجتمع يعتمد على مدى احترامه العلم والعلماء وضرورة منحهم المكانة الاعتبارية وتهيئة البيئة الملائمة للاستفادة من نتائج اعماله وجهودهم . ولكن الواقع في الدول النامية وفي العراق نجد ان هناك عوامل طاردة للاختصاصات بكل مستوياتها . والاستاذ الجامعي وما يعانيه من اشكلات امنية وفقدان كثير من سماته فضلا عما يتعرض له من مناهج في صناعة الخوف والقتل والتهجير وضعف شبكة الامان . وجوهر المشكلة التي تصبو لها الدراسة تتعلق بان الأستاذ الجامعي يقع بين صراع الارادات التي تحاول الدول المتقدمة ادارة احداثه من خلال نظرية الهيمنة ومنهجية التبعية وخصوصا ان الغرب يمتلك ويتحكم في مصادر التقنية المتقدمة ويعيش عصر ثورة المعلومات والاتصالات مما خلق ما يسمى بالفجوة الرقمية بكل مستوياتها والسعي الى تعميق هذه الفجوة وتهشيم كل جسور التواصل بل توظيف ماكنة احتكار المعرفة من اجل استنزاف العقول المبدعة والمتخصصة وافراغ البلدان العربية والعراق منها من النخب وخصوصا الاساتذة الجامعيين وجعل بلدنا في مصاف البلدان المتخلفة وسوقا لمنتجاتها وزبونا ومستهلكا دائما وسلة للموارد بأبخس الأثمان . وجعل الاستاذ الجامعي غير مواكب لحافات العلوم ولا يستطيع ان يؤثر في مخرجاته من الطلبة بما لا يجعله ان يكون أداة تطوير فاعلة في المجتمع . والحقائق والارقام تؤكد ان الكثير من الخبراء والعلماء الذين يعملون في مؤسسات الدول المتقدمة هي تلك العقول المستنزفة من دولها او التي لم يسمح لها بالعودة لاوطانها . وان بعض الدول الغربية تولي اهتماما عاليا لقوانين الهجرة المتعلقة بالاختصاصات النادرة . وان البرنامج الامريكي الخاص بتوطين العلماء العراقيين يمثل احد المسارات لماكنة الامتصاص المعرفي

للعقول ومسخ هويتها ودمجها في سوق العمل وباقل كلفة . وامام هذا الكم الهائل من الاستراتيجيات التي تسعى لاستدامة منهجية فجوة المعرفة نطرح عددا من التساؤلات ومنها :

هل هناك برامج متقدمة لسرقة النخب الوطنية المتخصصة !

هل لديهم وسائل لمنع التطور في بلداننا!

هل نحن لا نستحق الحياة من وجهة نظرهم!

هل حكوماتنا لاتدري بنوع الاستراتيجية الاجنبية وحجمها وأساليبها في تعطيل فاعلية الاستاذ الجامعي؟

هل العراق لا يمتلك حق اقامة حضارة ؟ بل كتب علينا ان نكون مستهلكين لنتاج الاخرين ؟

هل المراد منا فقدان المحتوى لتبقى لدينا الهياكل فقط! وان يكون الاستاذ الجامعي موظفا تقليديا ؟ والجامعة لا تكون لها اي علاقة مع المجتمع و تطلعاته ؟

لماذا تهرب العقول العراقية وخصوصا ذات النفع العام!

لماذا راس المال البشري والفكري لا يستثمر كما يجب!

لماذا فقدان استاذ او عالم يمر مر الكرام ، دون البحث عن الأسباب او التفكير برأس المال البشري الذي يشكل ثروة تعتز به كل امة ؟ لماذا.. لماذا ... لماذا . !!!

هدف البحث :

يهدف هذا البحث الى صياغة استراتيجية وطنية تحمي الاستاذ الجامعي العراقي من مؤامرة استنزاف العقول والعمل على تهيئة البيئة الملائمة بما يجعله بمستوى مواكبة التقدم المعرفي في البلدان المتقدمة . ويحقق خاصيته بوصفه صفوه للنخبة في مؤسسة تمثل بؤرة للتقدم ومؤشرا للتطور الحضاري للبلد .

اسلوب البحث :

لغرض تحقيق الاهداف التي يصبو لها البحث فقد تم تناول المحاور الاتية :

اولاً :ــ الاستاذ الجامعي صفوة النخبة ودوره في البناء الحضاري ويتضمن تعريفا بالمفهوم الحضاري للجامعة والاستاذ واهمية المعرفة في خدمة المجتمع .

ثانيا :ــ مدخل لدراسة فجوة اقتصاد المعرفة ويتضمن تعريفا بما هية الفجوة الرقمية ومحتوياتها وكذلك فجوة اقتصاد المعرفة وبابها و اثارها .

ثالثا :ــ الإشكالية الحضارية لاستنزاف عقول الاساتذة الجامعيين وظاهرة فجوة اقتصاد المعرفة والمناهج الغربية المعتمدة في استنزاف العقول مدعومة بالحقائق والارقام مع الاشارة لاشكالية الاستاذ الجامعي العراقي في ظل استراتيجية صراع الحضارات .

رابعا:ــ بناء استراتيجية وطنية لحماية الاستاذ الجامعي العراقي وكل النخب المتخصصة والعقول المبدعة والمحافظة عليها من المؤامرات التي تسعى لتفريغ البلد من موارده البشرية وتحديد من هي الجهات المسؤولة في بناء هذه الاستراتيجية .

المحور الاول : الأستاذ الجامعي وحضارة المعرفة :

ويتضمن هذا المحور ما يأتي :

اولا :ــ الأستاذ الجامعي صفوة النخبة : إذ كانت الحضارة جهدا إنسانيا يشارك فيه الجميع كل حسب استطاعته وامكانيته وموقعه في شبكة العلاقات الاجتماعية . فلا بد ان يكون من بين هؤلاء من يمثلون النخبة التي تمكن من عملية حشد الطاقات وتوظفيها في اطار حركة منظمة تتسق مع الاهداف . وتتسم هذه النخبة بامكانيات وتصورات ومناهج واتجاهات قد تختلف او تتفق في كيفية تنظيم حركة المجتمع . وكذلك توجد مؤسسات ونظم حياتية مختلفة تلعب دورا في استيعاب موارد المجتمع وتوظيفها .

ولكن من بين النخبة توجد الصفوة ، ومن بين المؤسسات توجد البؤرة ، فمن هي الصفوة ومن هي البؤرة ؟

تمثل الجامعة بؤرة التقدم ونواتها ومركزا للتطوير الاجتماعي والتجديد الهادف نحو رفاهية الامة . فهي مركز اشعاع الاخلاق والقيم الانسانية ، وكل جديد من الفكر والمعرفة ، والمنبر الذي تنطلق منه اراء المفكرين والعلماء ورواد الاصلاح والتطوير . فهي ليست مؤسسة تقليدية ولا هياكل نمطيه ولا ابراجا عاجية للصفوة أو للنخبة بل اصبحت مؤسسات تعليمية لعموم الناس . فهي لا تقتصر في وظيفتها على التدريس او البحث العلمي وحسب بل اخذت بعدا ثالثا في خدمة المجتمع فهي لا تخرج الفلاسفة والادباء بل تلبي احتياجات المجتمع ومؤسساته المختلفة في جميع المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ..الخ

تستمد الجامعة خصوصيتها من مهامها وكذلك من طبيعة ونوعية المدخلات والمخرجات ونوعيتها . وهي في الوقت نفسه مؤشر حضاري يعبرعن درجة وعي حركة التطور وشكلها واتجاهاتها ، فهي تمثل انفاقا استثماريا تضـــمن للبلد موقعا متقدما. وللعملية التعليمية مكونات وعناصر رئيســية ، ويشــكل الاستاذ الجامعي محور العملية التعليمية وصفوة النخبة وذلــك لخصوصــية الدور الذي يلعبه في عمليات تحويل المدخلات وتنميـــة المــوارد البشــرية وشخصنة الافراد وتنمية قدراتها واكسابهم المهارات المتخصصة وجعلهم قوة فاعله ومؤثرة في حركة المجتمع وتنعكس شخصية الاستاذ الجامعي وعلميته واخلاقيته على مخرجات النظام التعليمي .

وتتفق الاديان السماوية والمذاهب الوضعية على ضـــرورة احتـــرام العلـــم والعلماء وبدرجة تحقق ذلك لتترقي الامة وترسم طريقها الحضـــاري . وان الاهتمام بالاستاذ الجامعي ومنحه المزايا الاعتبارية والماديـــة يعبـــر عـــن مستوى وعي الامة برسالتها . والاستاذ الجامعي يمثل كفاءة علميـــة حيـــث عرفت الكفاءات العلمية حسب قانون رعاية أصـــحاب الكفـــاءات العلميـــة لسنة ١٩٧٤ الذي يميز فيه بين مصدرين للكفـــاءات الخارجيـــة والداخليـــة فالمقصود بالكفاءات العلمية بالاعتماد على التوصيفين الآتتين لكل منهما :

صاحب الكفاءة :

كل عراقي في الخارج حصل على شهادة الماجستير في الأقل او ما يعادلها من جامعة أجنبية او عربية او عراقية ذات اعتبار أو مارس عملا او حصل على شهادة في حقل اختصاصه.

صاحب الكفاءة :

أيضا كل عراقي يشغل وظيفة في دوائر الدولة ومؤسساتها إذا كان ممن تنطبق عليه الشروط الوارد ذكرها في الفقرة (١) المادة (٤٢) في قانون أصحاب الكفاءات.

للكفاءات العلمية المدربة دور حاسم ومهم في عملية التنمية والتقدم فالمورد البشري المتعلم المدرب تدريبيا فنيا وتقنيا وثقافيا هو رأسمال الأول لعملية التنمية ، له دور فاعل في تقدم أية أمة وان وجوده في المجتمع يشكل وطنيا وحيويا مختلف اوجه التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

كما ان مقدار رفاهية الدول المتقدمة صناعيا وحضاريا تقدر بما تمتلكه من كثرة العلماء والمهندسين واصحاب الكفاءات العلمية والطاقات الممتازة .

والاستاذ الجامعي كالمؤسسة الجامعية ليس نمطيا في اهدافه ولا مكوناته ولا سماته واساليبه لان ضرورة التراكم المعرفي والخبرة التي تمثل استثمارا طويل الامد يحتاج الى خصائص وسمات يجب ان تتسم بها المؤسسة الجامعة وكذلك الاستاذ الجامعي والا تحول الى موظف تقليدي يرتبط باجراءات قاتلة تفقده القدرة على ادارة الابداع وتنمية الفكر والذي هو محور حركة الارتقاء الحضاري وبهذا تناولت دراسات عديدة مجموعة من السمات الواجبة التوفر في الاستاذ الجامعي وتبلورت في أربع كفاءات اساسية هي :

أ. كفاءة علمية ومعرفية اي يكون في مجال اختصاصه الخاص عالما لـه القدرة على التطور وملاحقة المستجدات العلمية المتنامية وكذلك لـه من الثقافة العلمية للعلوم ذات العلاقة .

ب. كفاءة فنية ومهنية ، ان التعليم بحاجة الى فن التعامل والتوصيل ومهارات التدريب واكتساب مهارات التعلم الذاتي والتعلم المستمر .

ج . كفاءة اخلاقية ، ضرورة ان يكون الاستاذ الجامعي قدوة ومثالا حيا ونموذجا يحتذى به وله قيم وسلوك متوازنة في اقواله وافعاله ويكون عادلا متواضعا دقيقا في مواعيده ويحترم كلمته .

د. كفاءة بلاغيه ولغوية ، وتمثل درجة اتقان اللغة الام مع بعض اللغات الاخرى وبلاغة التعبير التي تمكن له قدرة التوصيل والتفكير وتطوير اساليبه في فهم اختصاصه او التعامل مع الاخر.

ويمكن ان نضيف كفاءة اخرى هي (الكفاءة الشخصية) حيث تؤكد الدراسات التربوية والنفسية على اهمية حسن المظهر والاناقة والاعتداد بالنفس والثقة والروح المتعاونة لما تشكله من اثار على الطالب والمجتمع وتساعد على تقبل آرائه وخلق اجواء للتفاعل واشاعة الثقة وتنمية المعرفة وتبادل الخبرة .

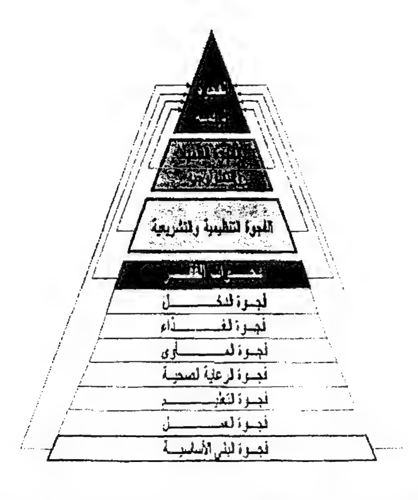
وفي ضوء ذلك نجد أن الدراسات الحضارية اثبتت ان النظام التعليمي ولا شيء سواء يمكن ان يفضي الى تحقيق تنمية ونهضة شاملة لاي بلد ، وذلك لان هناك علاقة بين المعرفة كمصدر والحضارة كنظام وبناء للحياة والجامعة كمؤسسة معرفية والاستاذ الجامعي كصفوة ومحور في عملية البناء لمقومات الحضارة ومصادرها (في عالم الافكار و عالم الاشخاص) لهذا نجد ان العملية التعليمية ونظمها ومكوناتها وعناصرها وهياكلها ومدخلاتها تتعرض لاشكال من الضغوط والتاثيرات المختلفة وخصوصا الاستاذ الجامعي

الذي يراد له اما ان يتخلف ويبقى على الضفة الاخرى من فجوة المعرفة او ان يهاجر ليكون يدا عاملة رخيصة في حركة انتاجهم او في الاقل اذا بقى في بلده الا يشكل رقما صعبا ومهما في معادلة التنمية الشاملة ولا يشكل رأسمال فكري ذا قيمة .

ثانيا : المعرفة منهج حضاري :

تمثل الحضارة تفاعلا بين ثلاث منظومات هي (عالم الاشخاص والأفكار والاشياء) ولا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من اشياء بل بمقدار ما فيه من الافكار . والمعرفة تشكل مصدر عملية الارتقاء وكذلك العقول التي تستوعب توجيهها والتراكم المعرفي يمثل منهجا حضاريا وذلك لان الانسان يتميز عن غيره من المخلوقات كونه يدرك غاية وجوده ، ويتمتع بالفكر النير.

في ضوء ذلك فأن فكرة صراع الحضارات جاء من خلفية التناقض المنبثقة من اتجاهات الهيمنة المتمثلة بالسيطرة على حركة البناء والارتقاء التي مثلتها العولمة لغرض تنميط اتجاهات الحياة ضمن نماذج تجعل التبعية مستمرة والفجوه تتسع من اجل استنزاف الموارد كما يخططون لها واولها واهمها عقول الخبره مثل العلماء واساتذة الجامعات . ويشهد عالم اليوم أهم ثورة معرفية في التاريخ تقودها شبكة المعلومات (الانترنيت) وتقنيات المعلومات ويمكن اعتبار المعرفية ثمرة أولية من ثمار الفكر مرتبطا بالواقع وعاكسا له وليست المعرفة تنشأ من فراغ وبلا واقع وان هناك علاقة بين الحضارة ونشوء المعرفة وتطورها لأن التراكم المعرفي احد محركات الصيرورة الإنسانية.



شكل(١) يبين تراكم الفجوة الرقمية (المصدر د نبيل علي ص ١٣)

وهناك علاقة بين مفهوم المعرفة والبيانات والمعلومات والحكمة حيث يعتقد بعضهم ان المعرفة هي ما أعرفه انا اما المعلومات هي مانعرفه نحن ، ومن المعلوم ان نظرية المعرفة تمتد الى الوراء في الزمن منذ ادراك الانسان غاية وجودة وتعامل بوعي مع حوله وهناك من ينظر الى المعرفة من خلال التمييز بين نوعين :

١)المعرفة الصريحة : ويقصد بها المعرفة التي يمكن نقلها بلغة مفهومة وواضحة

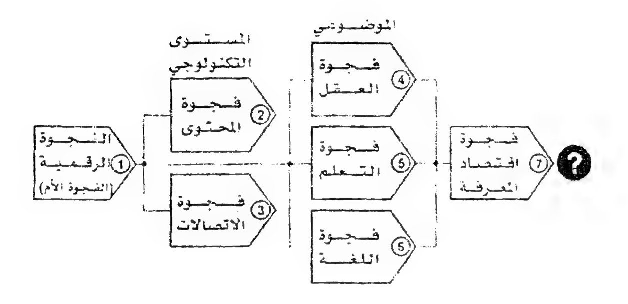
٢)المعرفة الضمنية : تلك التي تكون حدسية ويصعب التعبير عنها لفظا .

وبدلا من ان تصبح المعرفة وسيلة لتقارب الامم ونهضتها كما كانت عليه الحضارة الاسلامية فقد أصبحت عاملا في زيادة الفجوة واستغلال الموارد او نهبها واستدامة حالة التخلف والتبعية.

المحور الثاني :ــ مدخل لدراسة فجوة اقتصاد المعرفة

اولاــ ما هي الفجوة الرقمية وما هي اسبابها ؟

لغرض تحديد مفهوم فجوة اقتصاد المعرفه ومنهجها وكيف تستخدم أداةً للهيمنة . لابد من التعرف على مصطلح شاع استخدامه في خطاب تنمية المعلومات وهو الفجوه الرقمية ويقصد بها تلك الهوة الفاصلة بين الدولة المتقدمة و الدول النامية في النفاذ الى مصادر المعلومات والمعرفة والقدرة على استغلالها وتسمى ايضا الفجوة الام او بفجوة الفجوات اما من منظور التنمية الشاملة فأن الفجوة الرقمية تبدو فجوة مركبة تطفو على قمة هرم يتجمع من مستويات تحتوي على فجوات وطبقات متراكمة من فجوات متنوعة تصب فيها بصورة او بأخرى والشكل رقم ٢ يوضح ذلك :



شكل (٢) يبين أنواع الفجوات و مستوياتها

ومازال مصطلح الفجوة الرقمية يكتنفه الغموض وقد ظهر استخدامه في عام ١٩٩٥ منظور يحدد اتجاهاته المتكاملة بالمهام الأربع :

أ- النفاذ الى مصادر المعرفة ج- توظيف المعرفة

ب- استيعاب المعرفة د- توليد المعرفة الجديدة

وللفجوة الرقمية مجموعة من الأسباب الرئيسة التي تضم اسبابا فرعية يمكن بلورتها المجاميع الآتية :

❖ مجموعة الأسباب التقنية وتشمل :

سرعة التطور التقني و شدة الاندماج المعرفي و تنامي الاحتكار التقني وتفاقم إنغلاقه .

❖ مجموعة الأسباب الاقتصادية وتشمل :

ارتفاع كلفة التوظيف في تقنية المعلومات والتهام الشركات المتعددة الجنسية الأسواق المحلية وتكتل الكبار والضغط على الصغار وفقدان الملكية الفكرية وانحياز التقنية اقتصاديا والقوانين الى صف القوى على حساب الضعيف.

❖ مجموعة الأسباب السياسية وتشمل :

صعوبة رفع سياسات التنمية المعلوماتية و سيطرة الولايات المتحدة العالمي على المحيط الجيومعلوماتي و سيطرة حكومات الدول النامية على الوضع المعلوماتي المحلي و انحياز المنظمات الدولية الى صف الكبار .

❖ مجموعة الأسباب الاجتماعية – الثقافية وتشمل :

تدني التعليم وعدم توافر فرص التعليم و الفجوة اللغوية و تفشي الأوبئة الجمود التنظيمية والتشريعية و غياب الثقافة العلمية – التقنية .

وهذه الاسباب كمجموعات أو كل على انفراد له تأثيرات متفاوتة في نهايتها تصب في تكوين الفجوة الرقمية ومكوناتها .

ثانياـ مفهوم اقتصاد المعرفة :

لم يعد الاقتصاد مجالا محددا من فروع المعرفة المتعلقة في دراسة جوانب سلوكية الإنتاج والتوزيع أو تبادل . ولكن مجال المعرفة قد توسع وأصبح له راس مال فكري من نوع جديد حيث تراكم الخبرات والمهارات تنعكس على مستوى استراتيجي في أداء المنظمات والاستخدام الامثل للموارد بهذا ظهر مفهوم جديد اقتصادي في مجال المعرفة اسمه (اقتصاد المعرفة) حيث أصبحت المعرفة قوة دافعة ومحركة دوليا للاقتصاد الحديث والمعرفة تمثل احد أشكال راس المال الفكري او الموجودات غير الملموسة التي تلعب دورا في تحقيق هدف المنظمات ووسيلة متعددة في زيادة الإنتاجية .

وعلى الرغم من حداثة المفهوم الا انه ظهرت له تعاريف تساعد في تأطيره وتحديد ملامحه ، فقد عرف بعضهم اقتصاد المعرفة كونه نظاما اقتصاديا يمثل فيه العلم الكيفي والنوعي عنصر الانتاج الأساسي والقوة الدافعة الرئيسة لتكوين الثروة . في حين يعرفه آخر بانه فرع جديد من فروع العلوم الاقتصادية حديث الظهور ويقوم على فهم جديد أكثر عمقا لدور المعرفة وراس المال البشري في تطوير الاقتصاد وتقدم المجتمع وتعتبر التقنية العلمية التحول الثالث في حياة الانسان بعد ظهور الزراعة والصناعة .

ويتسم اقتصاد المعرفة ما يأتي :

أ. بأنه اقتصاد وفرة من كونه اقتصاد ندرة حيث تنضب الكثير من الموارد من جراء الاستهلاك في حين إن المعرفة تزداد في الواقع بالممارسة إمكانية استخدام التقانة الملائمة من خلال إلغاء قيود الزمان والمكان الخاصة بخلق الأسواق .

ب. تتسم بامكانية رفع الكفاءة والسرعة في أنجاز التبادل مع تخفيض التكاليف .

ج. عدم إمكانية نقل ملكية المعرفة من طرف إلى آخر كما هو في عناصر الإنتاج .

د. صعوبة تطبيق الكثير من القوانين ، القيود والضرائب على أساس قومي وذلك لان المعرفة تتسم بعالميتها وإنها متاحة لأي مكان .

هـ . ينمو سوق الاقتصاد التقليدي بالعرض supply- driven في حين ينمو سوق الاقتصاد المعرفة بالطلب demand-driven .

ان التقدم الحاصل في التقنية والتغير السريع الذي تحدثه في الاقتصاد يؤثران ليس في درجة النمو وسرعته فحسب ، ولاسيما (ثورة الاتصالات وشبكة المعلومات) ، بل تؤثر في تعليم الإنسان وتربيته وتدريبه ، وتجعل عامل السرعة في التأقلم مع التغير من أهم العوامل الاقتصادية الإنتاجية . فالمجتمع ، وكذلك الإنسان الذي لا يسعى إلى مواكبة التطور العلمي والتقني سرعان ما يجد نفسه عاجزا عن ولوج الاقتصاد الجديد والمساهمة فيه . والدولة التي لا تدرك أن المعرفة هي اليوم العامل الأكثر أهمية للانتقال من التخلف إلى التطور ومن الفقر إلى الغنى ستجد نفسها حتما على هامش مسيرة التقدم ، لتنضم في نهاية المطاف إلى مجموعة ما يسمى (الدول الخائبة) . ان لاقتصاد المعرفة مستلزمات أساسية .

ثالثاً- فجوة اقتصاد المعرفة :

تعتبر فجوة اقتصاد المعرفة في ضوء مجموعة الفجوات المختلفة في المستويات والأنواع بأنها (الفجوة المحصلة) فهي نتيجة اكثر منها سببا وخصوصا في مجتمعنا والى ارادة التغير الحسن أكثر من تفتقد الموارد الاقتصادية ، ويمكن تصور موقع فجوة اقتصاد المعرفة من خلال المستويين في الفجوة الرقمية وهما :

١ــ المستوى التقني : الذي يشمل على فجوة المحتوى وفجوة الاتصالات كونها المكونين الاساسيين لمجتمع الاتصالات واقتصاد المعرفة .

٢ ــ المستوى الموضوعي : ويتفرع الى ثلاث فجوات هي فجوة العقل وفجوة اللغة وفجوة التعلم هذه تنعكس جميعها في الفجوة المحصلة وهي فجوة اقتصاد المعرفة ..

وان تناول فجوة اقتصاد المعرفة تستلزم الفصل بين نوعين من الاقتصاد ، الاقتصاد التقليدي واقتصاد مجتمع المعرفة ، وهي ازدواجية ملتبسة لم يعهد مثلها الفكر الاقتصادي من قبل . واقتصاد مجتمع المعرفة بدورة ينقسم إلى نوعين هما :

أ . اقتصاد قائم على المعرفة Knowledge based لكون المعرفة مفهوما حيويا لاغنى عنه في كل القطاعات الاقتصادية وأنها أصبحت احد الموجودات غير الملموسة .

ب. اقتصاد المعرفة ذاتها بصفتها قطاعا اقتصاديا قائما بذاتة له موجوداته ومقلوباته وتقنياته المحورية وصناعاته المغذية وشبكات توزيع عالمية ومحلية له مدخلاته ومخرجاته .

ولقد غدا المجتمع الانساني في امس الحاجة الى عقل اقتصادي يحقق التوليفة الفكرية وان محاولة أفراغ العقل الاقتصادي من أي مضمون اجتماعي يفقد المجتمع فرصة للتقدم ويبقيه في دائرة التخلف .

وتعريف فجوة اقتصاد المعرفة تستلزم معرفة مؤثرات قياس الأداء الاقتصادي ... ولكن هذه لاتغطي كل منظومة الاقتصاد وخصوصا الاقتصاد القائم على المعرفة بصفة خاصة وهذا يستلزم ان تكون معايير مركبة composition ومعايير ديناميكية لرصد تطورها الزمني حيث لم يعد قياس الفجوة في الاقتصاد التقليدي من المؤشرات في قياس فجوة الميزان التجاري

وفجوة سوق العمل وفجوة الاستثمار والادخار وكذلك الفجوة بين الاقتصاد الرسمي وغير الرسمي وفجوة الدخول وتوزيع الثروات ، وفجوة الادارة والتشريعات والفجوة المؤسسية .

وقياس فجوة اقتصاد المعرفة يعتمد على ثلاثة مؤشرات :

١. مؤشر التقدم التقني في مدى الامتلاك والابتكار والاستغلال .

٢. مؤشر الوضع المؤسسي العام ، كفاءة المؤسسة الانتاجية ، التمويلية ، الاقتصادية .

٣. مؤشر بيئة الاقتصاد الكلي وتبين مدى علاقة التشريعات والتنظيمات والخدمات المساندة للأنشطة وتوفرها ، من قبل الخاصة لجذب الاستثمارات ورفع الكفاءة للاسواق وخدمات المصارف ومصادر التمويل .

ووفقا لتقرير التنمية الانسانية العربية الأولى وبناء على مؤشرات الكثافة الاتصالية وعدد شبكات المعلومات ومواقعها وعدد مستخدميها يعاني الإقليم العربي فجوة رقمية على ثلاث مستويات :

أ ـ فجوة رقمية على النطاق العالمي بين الإقليم العربي وأقاليم العالم الأخرى .

ب ـ فجوة رقمية على النطاق الإقليمي بين البلدان العربي .

ج ـ فجوة رقمية على النطاق المحلي داخل كل بلد عربي على حدة .

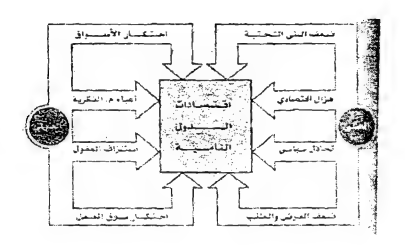
وتعتبر الفجوة الأخطر من كل هذه هي عملية استنزاف العقول أو النخب وتهيئة ظروف هربها أو إبقائها وتوظيفها وخصوصا في المجالات العلمية او الطبية او المعلومات بحيث يمكن تطوير اقتصاديات دولهم مع أبقاء التخلف السمة البارزة على اقتصاديات الدول النامية وخصوصا العربية والإسلامية.

وهذا مدخل للصراع الحضاري في التطور الغربي من اجل تعويق بنـــاء الأمة ومنعها من اي فرصة للإبداع والإتقان لتظل على حالهـــا مـــن خـــلال استخدام نخب الأمة ضمن صراعها الحضاري والعقائدي .. وإذا ما حاولـــت امة امتلاك تقنية أو تطوير معرفي او تنمية عقول ابنائها سوف يكون التغييب او الحصار التقني اوالازمات هو الامر الواقع !!

ان السؤال الذي يطرح نفسه بحدة هو : أين نحن ، كمجتمعات عربية ، من هذا التطور وهذا الاتساع الهائل لنطاق المعرفة ودورها ؟! من الواضـــح ان مجتمعاتنا لم تدخل بعد (اقتصاد المعرفة) . فنحن لانزال في موقع المتلقي السلبي ، لا المنتج ، لثمار الثورة العلمية التقنية وإنجازاتها في كل مراحلها ، ولانزال على مسافة سنوات ضوئية عن مرحلتها الأخيـــرة المتمثلـــة بثـــورة الاتصالات والمعلوماتية (غير ان ذلك لا يجعلنا بمنأى عن آثرها الســـلبية) . ان مجتمعاتنا لاتزال في بدايات الدخول حقبة (المرحلة الصناعية) بمفهومهـــا المتطور ، في حين ان الدول المتطورة أصبحت في قلب ما يسمى (مرحلة ما بعد الصناعة) . وهذا ما يضاعف الهوة بيننا وبينها ، ويزيدها عمقا واتساعا. أن ثقافة التغيير والتأقلم مع متطلبات التطور المعرفي لم تصل الى مجتمعاتنا بعد . أننا بحاجة ماسة الى أعادة النظر في مقاربتنا لمفهوم (المعرفة) ، وفي وعينا لحقيقة ان دخولنا (اقتصاد المعرفة) هو السبيل الوحيـــد لنجاحنـــا فـــي مواجهة تحديات العصر ولاحتلال موقع لائق بين الامم .

في ضوء تصارع هذين الاتجاهين أي المحلي والعولمي ولكل منها محتوياته في فجوة اقتصاد المعرفة ..مما يشكل في نهاية تلاقي محتويات كل مســـتوى تأثيرا مباشرا على اقتصاديات الدول النامية .فعلى المستوى العولمي نجد ان احتكار الاسواق من قبل المؤسسات العالمية واحتكار سوق العمل مـــن قبـــل الدول المتقدمة ، مع اعباء الملكية الفكرية ، وما يرافقها من استنزاف عقـــول

الدول النامية. اما على المستوى المحلي فأن الهزال الاقتصادي والتحليل السياسي وضعف العرض والطلب مع ضعف البنى التحتيه ، الاقتصاد والمعرفة شكل في نهاية الأمر اسباب الفجوة الاقتصادية الرئيسة ويمكن تصور ذلك في الشكل رقم (٣)



الشكل رقم ٣ يعبر عن عوامل الضغط على اقتصاديات الدول النامية

المحور الثالث : هجرة النخب بين المعرفة والاستنزاف

اولاً : تطور فكرة هجرة النخب ونشوؤها :

تعد ظاهرة هجرة العقول المتخصصة الشخصيات المبدعة والمفكرة من الظواهر العريقة في القدم وتعود بدايتها الى المراحل الأولى لتطور العلم فلا نجد زمانا يخلو من هجرة العلماء بشكل فردي او جماعي لأسباب عديدة سعيا للعلم او خوفا من ظلم او لجهة افضل لينهلوا من ينابيع العلم والمعرفة. فكان تاريخ هجرة الادمغة بشكلها الجماعي في عام ١٩٣٣ عندما بدأ تطبيق قانون تطهير الإدارة (الذي شمل غير الاريين) لذلك اقيل / استقال اكثر من ١٢٠٠ استاذ وباحث معظمهم من اليهود من الجامعات الالمانية وغادر نحو ٦٥٠عالما من المانيا بين ١٩٣٣ وعام ١٩٣٥. لذلك تمكنت الولايات المتحدة من اجتذاب قرابة (٤٣٠٠٠) عالم ومهندس بين ١٩٤٩و ١٩٦١.

كما صرح رئيس مؤسسة Careers Incol poration :هي مؤسسة تعمل على تهجير العلماء الى أمريكا أنها استطاعت تسفير (٧٠٠) مهندس وعالم بريطاني الى الولايات المتحدة بلا مقابل ، وبالمقابل قدر خسارة بريطانيا من هؤلاء ما يعادل ١٤ مليون دولار على اعتبار ان نفقة التكوين العلمي لكل هؤلاء العلماء تعادل (٢٠,٠٠٠) دولار وهذه الخسارة تمثل فقط خسارة (مواد خام) كلفة تاريخية من دون حساب ما سينتجون وما سيخترعون لبلدهم

ويبدو جليا في هذا الصدد ان جامعات أمريكا ومدارسها العالية لا يتعدى تخرجها سنويا نحو (٤٥٠٠٠) مهندس عام ١٩٦٨ في حين تبلغ حاجتها (٧٥٠٠٠) مهندس لذلك عمدت الى الإكثار من وكالات تسفير العلماء ونشر شبكاتها لاجتذابهم من معظم أرجاء العالم ، وبذلك تمكنت ان تستحوذ

على (٨٥٠٠٠) باحث وتقني وطبيب بين عام ١٩٤٩ و١٩٦٤. ووجد في عام ١٩٦٥ ان من بين (٤١٠٠٠) طبيب داخلي يعملون في المشافي الأمريكية كان منهم (١١٠٠٠) طبيب قد حصلوا على شهادتهم العليا من جامعات غير أمريكية، وقد اتضح ان هؤلاء الاختصاصيين يأتي معظمهم من البلدان النامية التي تعد من أفقر البلدان بالمهندسين والأطباء والأساتذة ، فقد لوحظ أن (٨٠٠٠) طبيب من اصل(١١٠٠٠) طبيب داخلي منهم ينتمون أصلا لاقطار نامية .

وكانت هجرة العقول في الحضارة الاسلامية لها مقاصدها التي عادت بالنفع الكثير لتقدم الحضارة الانسانية وهناك فارق بين هجرة للتطوير وهجرة للتزييف او للاستنزاف وقد استخدم مصطلح هجرة العقول او استنزاف العقول أول مرة في الخمسينيات عندما بدأت العقول البريطانية تهاجر الى الولايات المتحدة وهجرة الخبرات قد تفيد في جوانبها ما يغني البشرية ويزيد من التعارف ولكن لها مسوغات . وعملت أوربا على استقطاب الهجرة لتنشيط برامجها الاعمارية حيث ازداد سجل تعداد المهاجرين في العالم من ٧٥ مليون شخص في عام ١٩٦٥ و١٢٠ مليون في عام ١٩٧٠ ثم ازداد الى ١٥٣ مليون ولكن تختلف كل هذه الأعداد ولأسباب كثيرة . من هذا كله فالمقصود هو هجرة العقول كأسلوب في استنزافها وما تلحقه من أضرار في برامج التنمية الوطنية .حيث أصبحت ظاهرة استنزاف العقول ذات اثار واضحة على المجتمع وحركة تطورة . والحديث عن ظاهرة الهجرة او الاستنزاف للاستاذ الجامعي يأتي من مصدرين هما :

١. الهجرة المباشرة من ارض الوطن الى ارض أخرى وهذه غالباً ما تكون معلنة وقد تصرح بها الدول مثل تدريس بالجامعات او لأخرى اقتصادية او علمية .

٢. النوع الأخر هي أكثر خطورة والمتمثل من امتناع أعداد كثيرة من الاساتذة بالعودة او منعه سواء بالقوة او بالإغراءات المختلفة .

ويعتبر هرب النخبة قرارا في عقل العالم (الإنسان) الذي قد يأتي من تراكم أجمالي في شبكة علاقات تسيء للعلماء والنخبة والعقول يقابلها عمل مستمر لخبراء في مجال نزيف العقول البشرية من اجل فتح باب الاستنزاف واستثمار كل العوامل النفسية والبيئية في مجتمعات تلك العقول التي لم تعرف كيف توظفها وكذلك قيام بعض الدول من تعديل قانون الهجرة في أمريكا عام ١٩٦٥ وأبداء المساعدات في مجال البحث العلمي وتهيئة البيئة الصالحة اقتصاديا ومعرفيا مع تحقيق رغباته الشخصية والذاتية والعمل على نزعه من هويته الحضارية تحت مسميات مختلفة .

ثانيا: النزيف العقلي للاستاذ الجامعي .الاسباب والدوافع

أن ظاهرة نزيف العقول البشرية هذه ليست هي المرض الذي تعاني منه المجتمعات صاحبة المشكلة وإنما هي اعراض للمرض او لمجموعة أمراض . وتقف وراء ذلك جملة أسباب منها تتعلق بذات الشخص وأخرى تتعلق بموطنه الأصلي ونوع أخر نتيجة عوامل الفجوة والتسهيلات التي يجدها أمامه او بفعل الضغط الذي تمارسه الدول المتقدمة .

وتشير أحدى الدراسات الى أهم الأسباب التي تجعل العقول تكون مهيئة لعملية الاستنزاف وخصوصاً الأستاذ الجامعي وكما يأتي :

❖ **الأسباب الاقتصادية :**

مثل انخفاض مستويات المعيشة في معظم بلدان العالم النامي كما كان يتقاضى الأستاذ العراقي في السنوات السابقة مبالغ لا تسد احتياجاته بالمقابل نجد هناك ارتفاع أجور العلماء والخبراء والفنيين الأجانب عن أجور نظرائهم

في أقطارهم . فضلا عن انخفاض مستويات الأجور او المرتبات أليس مـــن المحزن حقا أن نسمع عن خريجين يحملون درجة الماجســتير او الــدكتوراه أنهم يعينون براتب مقطوع في بعض الجهات الحكومية ولا يسمح لهم بالتثبيت في وظائفهم او تسنم مناصب يحتلها اشخاص اميون او انصاف متعلمين لــو في مجالات لاعلاقة لهم ولا لأختصاصاتهم بها . وكــذلك درجــة الاهتمــام بالأنفاق على البحث العلمي في دول العالم المتقدم او مســاعدة الأهــل فــي الوطن الأم ، وضعف البنيان الاقتصادي لكثيــر مــن دول العــالم النــامي وخصوصا البلدان الفقيرة اقتصاديا .

❖ **الأسباب الاجتماعية :**

مثل فقدان الاحترام او عدم احــتلال المراكــز اللائقــة وتعلــيم أبنــائهم والصعوبات التي تكتنفه بأوطانهم والمرحلة العمرية التــي يهــاجر فيهــا أصحاب الكفاءات . والتفكير في مستقبل الأولاد ، وصــداقات وارتباطــات العلماء الاجتماعية مع نظرائهم بالخارج وغيرها .

❖ **الأسباب العلمية :**

مثل ضعف الإنفاق على البحث العلمي و القصور والعجز في تسهيلات البحث العلمي وانعدام التقدم العلمي الى حد كبير في كثير من مجتمعاتنــا . وانقطاع الصلات بين البحث العلمي والمؤسسات الكبرى والترقيات العلمية في جامعاتنا و تأثر المنافسة العلمية بأمور بعيدة عن العلم ضــعف فــرص نشر الأبحاث العلمية وغيرها .

❖ **الأسباب التعليمية :**

مثل ضعف الكثير من نظم التعليم العالي ومناهجها وتخلفها وعدم احترام التخصصات وانعدام الصلة بين التعليم الجامعي وبيوت التدريب والتطوير فيما بعد . وعدم التخطيط السليم للبعثات وتداخل الصراعات السياسية وانعكاسها على العملية التعليمية ... الخ .

❖ **أسباب متنوعة :**

مثل عدم اهتمام الدول النامية الى النزيف البشري وضعف التخطيط السليم ودور اللوائح الجامدة والقوانين البالية في تخلف المؤسسات فضلا عن عالمية مستويات بعض الشهادات وعالمية التدريب عليها . ومغريات العمل في الخارج .

ثالثاً: الإشكالية الحضارية لاستنزاف عقول الاساتذة الجامعيين

من المعلوم ان هناك تخلفا في برامج التنمية في مجموعة الدول النامية (العربية منها والإسلامية) من جانب واستمرارية عمل الدول المتقدمة لاستدامة الفجوة الرقمية بكل أنواعها وخصوصاً فجوة العقل وفجوة المعرفة . من جانب اخرحيث تعاني المؤسسات من وجود فراغ معرفي وانعكست هذه على نظم التعليم مما أعطى نتائج في عملية تجنيس العقول وينكر على الصغار الإبداع ويخرس أفواه الكبار لينضموا تباعا الى جحافل الأغلبية العامة والإشكالية الحضارية هي نتيجة لترهل العمل المؤسسي فقد ظلت حكوماتنا لا تعطي اولوياتها للبحث العلمي والنخبة بل تقف حائرة بين ارث ماضيه ومتطلبات الحاضر وتحديات المستقبل وعدم التركيز على دور العقل صانع المعرفة وصنيعتها ، فإذا ما بقى الاستاذ الجامعي تحت نير

التبعية والنصوص الجاهزة وسياسة تعليب الوعي سوف تبقى المسيرة عند الاستاذ الجامعي غير متطورة وفاقدة لنخبويتها ومزايا الصفوة ومسؤولياتها اتجاه عملية ادارة التغيير.

ومازالت حضارتنا اليوم حضارة تكديس وليس حضارة أنتاج ومازال ملامح العقل الحضاري يعاني من فجوة في الإمكانيات والطموح . وتعاني البيئة التركيبية في مجتمعنا من تشوهات عديدة يمكن حصرها بما يأتي :

١) التشوه والهزال في التركيبة السياسية :

حيث يعاني العقل السياسي من إشكالية في تصور متكامل للبناء الحضاري فهو بين التشبه والاستنساخ او التحول السريع مع غياب الحاكمية الصالحة حيث يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني تأثير الوضع السياسي حول مجتمع المعرفة ، ومدى فاعليته في تشكيل قوة طاردة للطاقات الشابة المتخصصة خصوصا الاستاذ الجامعي ، وضعف الموجه السياسي الذي يمكن الاهتداء من خلاله وهذا ينعكس على مستوى أداء القطاعات المختلفة في إشكالية برامج التنمية المختلفة في مجال التعليم والثقافة والأعلام والصحة ونقل التقنية وغيرها كما يصاحبها تدني في الأداء الحكومي وما تشكله الرتابة (الروتين) من عصب لحركة الأداء الحكومي و جعل الاستاذ الجامعي طاقة معطلة ومهدورة وبلا جدوى .

٢)واقع الهزال او التشوه الاقتصادي :

ان التشوه السياسي والأداء الحكومي وضعف الاستخدام الامثل للموارد ينعكس على الواقع الاقتصادي حيث مازال الكثير من الخطط حبرا على ورق والمنظمات والهيئات المحلية او العربية تشكل قوى معرقلة في توظيف الطاقات مع عدم توفر بيئة الاقتصاد الكلي التي تشجع على خلق نموذج

لاقتصاد تضامني تشارك فيه كل القطاعات الحكومية المختلفة والخاص مع زيادة درجة الثقة والمسؤولية بالغير .. إشكالية الاستثمار مع ترويج الخصخصة بلا مناخ او ظروف تنجح مقاصده والهرولة نحو اقتصاد السوق بلا قواعد أساسية جعلت اقتصاديات البلد في مهب الريح وعرضة للتغيير بلا سيطرة تضمن حاجات الآخرين وحقوقهم من لم يجد الشباب لهم فرص عمل لإبراز طاقاتهم سواء المهنية او الفعلية .

٣)الأمراض الاجتماعية وشبكة العلاقات :

تماسك أي مجتمع وتفاعله يعتمد على جملة من القيم تتولد مع ولادة المجتمع ومعها شبكة العلاقات التي تشكل القاسم المشترك لكل مكونات المجتمع .. نحو تحقيق وسائل تطوره وإنتاج حضارته وقياس حيوية المجتمع ومكوناته يكون بدرجة قوة شبكة العلاقات وان اي شيء من التراخي او تضخم ذات الأفراد فيصبحون لا يهمهم النسيج الاجتماعي بل (الأنا) المفخمة فذلك أمارة على أن المجتمع مريض وانه ماضٍ الى نهايته .. أما إذا تفككت الشبكة نهائيا فذلك إيذان بهلاك المجتمع فكيف يستطيع ان يعمل الاستاذ الجامعي في بيئه بهذه المواصفات. وهنا يصبح المجتمع قوة طاردة للكفاءات والعقول مما يفقده فرصة للتقدم بمقابل هذا النزيف نجد أن الدول المتقدمة تحتوي هذه العقول المهاجرة تحت ضغط لتجعلها ضمن مواردها المعرفية وبرامجها التطويرية ، وهنا تخسر الأمة شبابها ومصادر قوتها .

رابعا : الخسائر الناجمة من تعطل الكفاءات العلمية :

ان الخسائر المتأتية من جراء تعطل الكفاءات العلمية لا يمكن حسابها بالدولار او بأي عمله كونها ثروة تتجاوز كل تقدير وحساب وعليه سوف يتناول هذا المبحث المؤشرات الاتية:

١ـ خسارة في مجال التعليم :-

يترتب على تعطل / تهجير الكفاءات العلمية خسائر جسيمة في مجال التعليم في جميع مراحله ،

ففي حالة تعطل / تهجير الكفاءات العلمية تتمثل هذه التقديرات بنزيف لاستثمارات كلفة التنشئة والتدريب وبالتحديد خسارة الكلفة التاريخية للتعليم. في حين يشير الأستاذ رغين بريتز في جامعة ماكجيل الكندية أن كل عام يغادر العالم الإسلامي الى الغرب ما يقدر عددهم بنحو ١٨ مليون من المتعلمين ذوي الخبرات والمهارات ، وعند افتراض أن تعليم أحد هؤلاء المهاجرين يكلف في المتوسط عشرة آلاف دولار، وهذا يعني بالمقابل تحويل ١٨ مليار دولار من الأقطار الإسلامية الى الولايات المتحدة واوربا كل عام ، وعند تراكم هذا المبلغ نظريا على مدى عدة سنوات يصبح مفهوما اكثر لماذا تزداد الاقطار الغنية غنى والفقيرة فقرا أما كلفة دراسة الحائز على شهادة الدكتوراه في العلوم والتقنيات التي قدرت حسب نتائج دراسة لجنة خاصة في منظمة الطاقة الذرية العراقية عام ١٩٨٩ بنحو ١٤٠ الف دولار

كما تتجسد الخسائر في ميدان التعليم بصورة جلية عند تقدير متوسط سنوات التعليم للفرد لمدة ٢٥ سنة او اكثر البالغة في العراق لعامي ١٩٨٠، ١٩٩٢ على التوالي ٢,٤٦، ٣,٨٨

الذي يوضح الفاقد من السنوات في تكوين راس المال البشـري. وكما تتجلى هذه الخسارة في مضمار التعليم من خلال الأنفاق الإجمالي على التعليم العالي للفرد البالغ نحو (٢١,٤٢) مليون دولار في العراق عام ١٩٩٦، الذي هو اكثر من الأنفاق الإجمالي لكل من الجزائر ، مصر ، سوريا ، المغرب ، اليمن ، والبالغ إنفاقها على التعليم العالي للفرد لنفس العام وعلـى التـوالي. ١٩,٠٥، ١٨,٢٩، ١٦,٨٥،١٥,٤٧، ٤,١٨ مليون دولار وعند تمثيل هـذه الخسارة على وفق المؤشر الإحصائي المتمثل بالأرقام القياسية يتبين أيضا ان خسارة العراق للانفاق العام الجاري على التعليم العالي للفرد بالـدولار بلـغ قرابة (٤٤,٥٥) عام ١٩٩٠ الان في ظل الاوضاع الامنية وارتفاع التكاليف المعيشية والتضخم فان حجم الانفاق زاد اكثر من ٥٠% .

٢-خسارة في مجال العلم والتقنية :

يعد العلم والتقنية العملة الجديدة للقرن الحادي والعشرين وان التفـوق في مجال العلم والتقنيات يعزز شعور الفخر بالوطن ويعمل علـى تنميـة القدرات التقنية المحلية ويدعم الدور المستقبلي للعالم في بناء عـالم جديـد وهذا يتوقف على ما تمتلكه البلاد من إمكانيات علمية ، ولكن بالمقابل تعطل هذه الإمكانيات يترتب عليه تدهور القاعدة العلمية والتقنية اللازمة لتوليـد المعارف الجديدة ، وتشير الدلائل من أحد المـؤرخين أن سـبب سـقوط الإمبراطورية العثمانية يعود الى قصورها في استخدام المعرفة العلمية التي بدأت أوربا بتسخيرها آنذاك كما أوضحت اليونسكو أن هجـرة الكفـاءات تؤدي الى تأخر تنمية الجامعات العربية كمراكز للامتياز العلمـي وتؤجـل عملية النهوض بالبحوث وملاءمتها للحاجات عن طريق الجامعات لعشـر سنوات وعليه ان هجرة آلاف من الخبراء والفنيين والعلماء والاختصاصين

يعد كارثة علمية وثقافية. وتشير إحصاءات الأمم المتحدة أن نحو ٤٠,٠٠٠ شخص من ذوي المهارات هاجروا خلال عام ١٩٦٧ من البلدان النامية الى البلاد الصناعية ، وان نسبة العرب منهم كانت بحدود ١٢%.أما اليوم فحيازة العلم والتقنية للعالم العربي والعراق بضمنه تتجلى بنشر الأوراق العلمية لكل أنحاء العالم وللسنوات الخمس الأخيرة على وفق معهد المعلومات العلمية ، ان ٣,٥ مليون ورقة كان توزيعها بالنسب المئوية الاتية:-٣٧% الاتحاد الأوربي . -٣٤% الولايات المتحدة الأمريكية . -٢١% دول أسيا على المحيط الهادي . -٢% الهند . -١,٣% الكيان الصهيوني .

أما مساهمة العالم العربي فقد تراوحت بين صفر في المائة لليمن و ٠,٣% لمصر و٠,٠٣% في معظم البلدان وان نسبة صفر في المائة تعني أن عدد الأوراق لا تستحق الذكر في الإحصاءات٢٥ وهكذا يعكس حقيقة ان العالم العربي والعراق منه لا يمتلك قاعدة علمية وتقنية متينة هذا من جانب . ومن جانب اخر يتجسد الدور المستقبلي للعلم وأهميته في تحسين مستويات التعليم والمهارات وبناء العالم الجديد في الالفية الثالثة خلال مقتطفات من كلمة رئيس الوزراء البريطاني السابق (توني بلير) لجمع من ابرز العلماء في الجمعية الملكية في بريطانية عام ٢٠٠٢ قال :

" أننا بحاجة لان نشجع وندعم التعاون الوثيق بين الحكومة والعلماء والمواطنين أجمعين لتكريس الدور المركزي للعلوم في بناء العالم الذي نريده ، ولنا ان نختار مسلكا يتسم بالرهبة من المجهول او ان نكون امة تتبنى المعرفة. مستندين الى ثقافة النهج العلمي المدعوم بالدلائل الملموسة أن الخيار واضح وعلينا تبنيه بثقة" على الرغم من الموقع الراهن لبريطانيا

في مجال العلم والتقنية لكن هذه إشارة واضحة لأهمية دور العلم والتقنية تتمثل في الآتي:

(أ) أهتمام بلاده في تنمية الموارد البشرية بتهيئة بيئة مشجعة للابتكار والتجديد.

(ب) اهتمام بلاده بالعلم والتقنية وتوفير المقدرة الفكرية وتنمية القدرات المحلية كون التقنيات لا يمكن ان تستورد او تشترى.

٣-خسارة في مجال التنمية :

هناك علاقة طردية قوية بين مستوى التنمية الاقتصادية ومدى انتشار التعليم العالي هذا ما اكدته عليه معظم المدارس الاقتصادية . وإن الاستثمار في التعليم يمثل استثمارا في سلعة إنتاجية وليست استهلاكية ، ويعزى ذلك الى ان الدراسات القياسية والرياضية أثبتت أن المردود في هذا الاستثمار هو أعلى من المردود في قطاعات أخرى ،كما ان الاستثمار فيه لا يخضع لقانون المنفعة المتناقصة بل الاستثمار فيه يشبع حاجة آلان ويستثمر في المستقبل (حال الطالب الراغب في التعليم المتواصل) فهو يزيد من قدرة الفرد وإنتاجيته ويزيد من دخله في المستقبل ويعم بالفائدة عليه وعلى أسرته والمجتمع ، بينما طبيعية السلعة الاستهلاكية تشبع حاجة آلان وفي المستقبل لها مدى معين وتشير إحصاءات جامعة الدول العربية ومنظمة العمل العربية ان الوطن العربي يساهم بـ ٣١% من هجرة الكفاءات من الدول النامية التي توزعت على النحو الآتي : ٥٠% من الأطباء ٢٣% من المهندسين ١٥% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية . أما في العراق فقد بلغ عدد العلماء اللذين هاجروا بين عامين ١٩٩١، ١٩٩٨ نحو (٧٣٥٠) عالما في مختلف الاختصاصات نتيجة للاوضاع العامة وظروف

الحصار التي طالت الفئات العلمية بحيث قدرت الخسائر الاقتصادية المتمثلة بخسارة صافي التنمية التي تسهم بها هذه العقول نحو ١٨ مليار دولار سنويا من دون تقدير كلفة تنشئتها وتدريبها حتى تصبح عقولا جاهزة للهجرة. كما أكدت دراسة أعدت من قبل لجنة خاصة في منظمة الطاقة الذرية العراقية التي أجريت عام ١٩٩٨ في نتائجها ان كلفة استقطاب ١٧٥٠٠ حامل شهادة ماجستير و ٧٥٠٠ حامل شهادة دكتوراه تبلغ نحو ١١٢٥ مليون دولار في حين تحقق عودتهم للعراق مكسبا ماليا يقدر بنحو (٣٤٥٢,٤٥) مليون دولار بالمقابل يمثل هذا العائد خسارة مالية في حالة عدم العودة ، إضافة الى خسارة العائد الاجتماعي المتمثل بإعادة القوى البشرية القادرة على العطاء والبناء الاجتماعي فضلاً عن الفاقد من الاستثمار في التعليم ، هناك ضرر آخر هو أضعاف قوى التنمية في المجتمع المتمثلة بأضعاف القدرة الذاتية للمجتمع على القيادة والإدارة أي خسارة فرص النهوض التنموية . تتآكل قيمتها بسرعة وهذا يتطلب تجديد واعادة تأهيل العناصر العلمية من خلال (التعليم المتواصل) وكما أن تعطل الكفاءات العلمية الوطنية تعكس حقيقة مفادها عدم جدوى جدية السياسات التنموية الوطنية مما تعمق التبعية العلمية والتقنية والاقتصادية التي تودي بالنتيجة الى الاعتماد على استيراد التقانة الجاهزة من الخارج .

٤ـ خسارة في مجال الإنتاج :

إن لتعطل الموارد البشرية ومنها الكفاءات العلمية أثرا كبيرا في الإنتاجية التي هي إحدى محددات عملية التنمية الاقتصادية ، ويتضح هذا من بيانات البنك الدولي الذي يظهر من خلاله أن الناتج القومي الاجمالي للعامل في قوة العمل عام ١٩٩٧ في العراق تبلغ ٣ الاف دولار ، وهو يمثل اقل ناتج قومي

ضمن المجموعة الأولى من ناتج الدول العربية التسع الاغنى بالثروة النفطية وهذا الناتج ايضا هو اقل من متوسط الناتج القومي للعامل لمجمل البلدان العربية البالغ (٥,٣٤) الاف دولار. كذلك يمثل ادنى ناتج قومي للعامل مقارنة مع كل من كوريا والأرجنتين عام ١٩٩٧ .

وتتجلى هذه الخسارة كذلك في تقدير إنتاجية العامل التي هي أساس النمو الاقتصادي حيث أشار أليها تقرير أعد من قبل الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٤ موضحا أن تراجع إنتاجية العامل في العراق تعود الى انعدام الاستقرار الإقليمي لهذه المنطقة خلال المدة ١٩٨٠-٢٠٠١ ، الذي بدوره سبب ضعفا في النمو الاقتصادي إضافة الى انعدام التماسك بين راس المال المادي وراس المال البشري الذي ساهم في انخفاض الاستثمار بدوره سبب انخفاضا في معدل نمو نصيب الفرد الاقتصادي .

٥- خسارة في المجال الصحي :

ان تعطل الكفاءات العلمية والطبية في أداء الواجب بسبب ظروف خارجه عن إرادة الجامعي تنعكس بصورة سلبية على سير الخدمات في المؤسسات الصحية التي لها مساس مباشر في حياة المواطنين.

ويستدل من إحصاء رسمي أجرى سنة ١٩٧٢ من قبل وزارة الصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية ان ٧٣٢ طبيبا من جمهورية مصر العربية و ٦١٥ من لبنان و١٨٨ من العراق و١٧٣ من سوريا يمارسون المهنة في الولايات المتحدة عن نشرة امريكية . في حين تشير وزارة التخطيط لدولة الإمارات على وفق إحصاءات حديثة من خلال ورقة عمل قدمت الى المؤتمر الإقليمي حول الهجرة العربية ، أن الوطن العربي يساهم بـ ٣١ بالمائة من هجرة الكفاءات من الدول النامية ، تشكل ٥٠% فيها من الأطباء من مجموع

الكفاءات العربية متوجهين إلى أوروبا والولايات المتحدة ، في حين تستأثر بريطانيا وحدها بنحو ٣٤% من مجموع الأطباء العاملين فيها من العرب وأخذت تزداد ظاهرة الهجرة في ظل عدم توفر البيئة المناسبة للسيطرة التامة على أسبابها نتج عنه تزايد أعداد المهاجرين من الكفاءات العلمية الطبية المتخصصة . وفي العراق تعكس تقديرات الجمعية الطبية العراقية ان ١٠ في المئة من أجمالي الأطباء البالغ عددهم نحو (٣٢) الف طبيب في بغداد قد أرغموا على المغادرة خلال العامين المنصرمين .

أخذت هذه العمليات التي تستهدف الكفاءات العلمية والطبية تزداد في الآونة الأخيرة ، الغاية منها نزيف الأدمغة / هدر الإمكانيات وقتل الخلايا الحية في النسيج العراقي مما يجعل نقص في تلك العقول التي بدورها تعيق عملية التقدم العلمي. وفي السياق نفسه ترتب على مشكلة نقص الأطباء جملة خسائر ومنها انتشار آفة الأمراض وبالقياس العلمي كشف خبراء مصريون ، أن خسارة مصرفي الموارد البشرية الضائعة بسبب الإصابة بمرض " البلهارزيا في الريف " ، قدرت الخسائر الاقتصادية الناجمة منها الى نحو (١٥٠) مليون جنيه سنويا وبالتحديد فان كل ثلاثة فلاحين مصابين بمرض البلهارزيا ليس في مقدورهم الا تقديم حصيلة إنتاج شخصين فقط من الأصحاء.

٦-خسائر أخرى غير منظورة :

هناك خسائر غير مباشرة لا يمكن تقديرها ناجمة من تعطل الكفاءات العلمية عن الساحة العلمية المتمثلة مثل إن عدم استكمال حق التعلم وعدم اشباع الجوانب الاعتبارية والاجتماعية ، فضلا عن الفجوة المعرفية سوف تنعكس على الوعي الاجتماعي وما سيكون علية المجتمع من تخلف .

خامساً : أطراف الظاهرة وتأثيراتها :

ثمة ثلاثة أطراف تساهم في حدوث هذه الظاهرة :

الطرف الأول : هو الدول الطاردة للعقول والاستاذ الجامعي بفعل تشرذم نظامها وبيئتها .

الطرف الثاني : هو الدول المحفزة والسارقة وهي الدول المتقدمة صاحبة ماكنة الاحتكار ومنهجية الهيمنة .

الطرف الثالث : هو العقل المستنزف ويقصد به الاستاذ الجامعي وهو محور عملية التنمية وكذلك النخب المتخصصة .

١ــ اتجاهات غربية لاستنزاف العقول

ان سيطرة الدول المتقدمة على سوق العمل واحتكارها للكثير من التقنيات الحديثة وما تعاني العقول الشابة والمبدعة وأصحاب الكفاءات من حجر فكري أو اجتماعي او سياسي وعدم وجود فضاءات لتحقيق ما يبدعون وفي ظل تسارع العولمة التي أخذت على عاتقها تحقيق فلسفة المنهج الاستعماري بشكلة القديم والحديث وهما :

١. هجرة راس المال المادي ونهب الثروات وتوظيفة تحت مسميات الاستثمار .

٢. العمل على هجرة راس المال الفكري والمتمثلة بالعقول المتخصصة .

وكلاهما يصبان في فكرة تفعيل فرص التطور في الغرب واستدامة الفجوة واستمرار نزيف العقول وهذا يتشكل باتجاهين هما .

الاتجاه الأول : تكالب الدول المتقدمة على الاستاذ الجامعى وعقول النخبة .

الاتجاه الثاني : تنويع قنوات امتصاص عقول الأساتذة الجامعيين في ظل توظيف الفجوة .

أما كيف تتسابق الدول المتقدمة لكسب الاستاذ الجامعي

هذا الاتجاه بدأ منذ مطلع القرن العشرين ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية حيث وضع برنامج متكامل لاستنزاف العقول الشابة المبدعة ونهبها وخصوصا في مجال التعليم مع عدم السماح لهم بالحصول على تخصص في مجالات وثيقة بالمعرفة مثل هندسة البرامجيات او تقنية متطورة ممن يمتنع ان يبقى للعمل لديهم . وان الدول الكبرى في منظمة التعاون الاقتصادي من اجل التنمية (OECD) تتنافس فيما بينها على اقتناص الثروات البشرية . وسن قوانين لهجرة العقول وهذه فرنسا قبل أيام شرعت لتعديل قانونها في الوقت نفسه ترفض هذه الدول تقديم أي شكل المساعدة في مجال تنمية المعلومات ، بل على العكس تريد ان تجعل منا سوق استهلاك وسلة موارد وحديقة خلفية ، مما زاد في ارتفاع كلفة برامج التنمية وتعقيد عملية استخدام الكفاءات يقابلها الضغط المبرمج .

حيث سعت منظمة التجارة الدولية (WTO) لحماية الملكية الفكرية ورأس المال البشري ولكن من اجل الكبار فقط وتلتزم الصمت حيال نهب العقول ونزفها ، كما نشأت شركات بعد عقد الثمانينيات متخصصة لاحتكار اقتصاد المعرفة واحتكار الأسواق والأعمال والعقول الصانعة لهذه المعرفة .

اما قنوات امتصاص عقول النخبة من الاساتذة فهي متنوعة:

فعلى الرغم من ان الغرب كان له منهجيته في امتصاص العقول والموارد على وفق معالجته الاستعمارية فانه أصبح بعد عصر تقنية المعلومات اكثر اتجاها في امتصاص العقول وشفطها وصهرها ضمن ماكنه مجتمعه ونزعه هوية هذه العقول من خلال اساليب ومسارات متعددة والمخطط الآتي يعكس لنا الفكرة الآتية :

أ . بيئة المجتمعات وطاقات الشباب المبدعة والاستاذ الجامعي (في الدول النامية) .

ب. مناهج ومسارات الاستنزاف وهي سبعة مسارات .

ج . تم تدوير تلك العقول والمهارات وتكفيها .

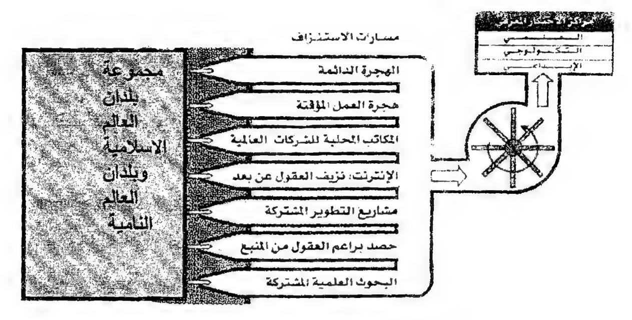
د . تحويلها الى مراكز الاحتكار المعرفي (العلمي ، التقني ، والإبداعي) .

والملاحظة على هذا المخطط هي :

١. استلام قضية الهجرة المؤقتة للعمل أو الدائمة أو التي جاءت بسب الضغط السياسي أو الاجتماعي .

٢. استخدام المكاتب المحلية وشركات متعددة الجنسيات وفلسفة التعاون والتبادل التجاري والعلمي .

٣. نزف العقول من خلال البحوث العلمية المشتركة ، شبكة المعلومات (الأنترنيت) والمقالات المنشورة أو حصد البرعم من المنبع من خلال حملات التسويق للدراسة في جامعات أمريكية أو كندية أو الجامعات المفتوحة في بلدان العالم الاخرى .



والشكل (٤) يعبر عن تلك القنوات والاساليب

(المصدر د نبيل علي ص ٤٢٨)

سادسا : الحقائق والأرقام تتكلم :

لم يعد يخفى على احد حجم العقول المستنزفة وحجم الأعباء المالية والاقتصادية والتنموية التي تتحمل الدول النامية في ظل استمرارية الفجوة ومنهجية استنزاف العقول وخصوصا الاستاذ الجامعي ، وتشير الإحصائيات الرسمية والدراسات أن الدول الغنية تعمل على استقطاب الملاكات الطبية للدول الفقيرة من خلال ظاهرة استنزاف العقول التي أضعفت قطاع الخدمات الصحية في تلك الدول ..

وتشير التقارير ان ثلاثة أرباع الأطباء العاملين في الدول الغنية وفدوا من دول فقيرة وأوضح (د. فتيز هيوز مولان) من جامعة واشنطن ان (٢٣% - ٢٨ %) من الملاكات الطبية التي في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا واستراليا هم من العقول المستنزفة ، وان نسبة الأطباء الأجانب في الدول الصناعية تتراوح بين ٤٠% - ٧٥% ويقول الخبراء ان أمريكا بحلول عام ٢٠٢٠ ستواجه نقصا في الأطباء سيصل حتى (٢٠٠) ألف طبيب بجانب (٨٠٠) ألف من ملاك التمريض وطالبت جمعية كليات الطب الأمريكية جميع كليات الطب في البلاد والبالغ عددها ١٢٥ استيعاب المزيد من المتقدمين ورفع الطاقة الاستيعابية للطلبة الأجانب كما تشير التقارير ان هناك برنامج في استنزاف العقول واقتناص الملاكات الطبية البالغ عددها ٦٠٠ ألف من مختلف الاختصاصات وتحديد القارة الأفريقية .

وان الولايات المتحدة قد رفعت عدد من تمنحهم بطاقة لأقامه (كرين كارد) من ٩٠ ألف للمتخرجين في مجالات التقنية العالية في عام ١٩٩٨ الى ١٥٠ ألف في عام ١٩٩٩ و ٢١٠ ألف في عام ٢٠٠٠ وأعادت النظر في قانون الهجرة بعد أحداث الحادي عشرمن ايلول ٢٠٠١ ولكن بقيت عملية استنزاف العقول محور عملية الصراع الحضاري .

أما في أوروبا الغربية واليابان فقد بلغ عدد العاملين في مؤسسات البحث العلمي وفي مجالات من الكفاءات الشابة والنخب المسروقة من الدول الأم في السنوات الأخير فقط بحدود ٤٠٠،٠٠٠ شخص .

ان حجم الظاهر بالغ الخطورة والأرقام متكاثرة ومرعبة من الناحية العددية من تشير الدراسات والأبحاث الى ان حجم من يعود من البعثات الحكومية في سوريا مثلاً ٥ % فقط في عام ١٩٨٨ ، اما في مصر فقد هاجر أكثر من ٤٥٠ ألف منهم ٦٠٠ في اختصاصات نادرة جداً . في الوقت نفسه يقدر عدد العقول المستنزفة من اختصاص البرمجة والتقنيات بحدود ١٠ الآلاف موزعين على سوق العمل بين أوربا وأمريكا.

وتشير احد الدراسات الإجمالية ان ٧٥ % من العاملين في الشركات العالمية في مجال تنمية البرامج هم العقول العربية الشابة العاملة في برامج الحاسوب ، أما في فرنسا وألمانيا فان ٨٠% من أصحاب المهارات الفنية هم من أبناء أفريقيا والأتراك والأكراد ومن لبنان .

ويشير تقرير منظمة الهجرة العالمية ان أفريقيا تفقد كل سنة نحو ٨٠ ألف عالم وخبير ، كما تشير تقارير خطيرة ان ٢٠%من مجموع الأطباء قد منعوا من العودة وان ١٥% استسلموا للهجرة الدائمة وان ١٥% تم استنزاف عقولهم تحت الضغط او لاسباب متنوعة ومن الناحية المالية ان تكلفة أعداد الفرد تقريبا ١٠٠ ألف دولار وعلى سبيل المثال في مصر كلفة الحصول على الدكتوراه في الطب السريري (الإكلينيكي) هي ٧٥٠ ألف جنية أي ثلاثة أرباع مليون وان مصر خسرت مليار دولار بسب عمليات الهرب وبهذه الطريقة يكون الغرب قد حصل من الدول على كلفة كفاءات أكثر مما في ذمة هذه الدول من مديونية ٣٣ . وان هناك شركات كبيرة مثل نتل وميكروسوفت تملك أكثر من ١٠٠٠ مراكز أبحاث والتنمية في الصين يعمل بها

متخصصون صينيون . وفي مؤتمر كسب العقول الذي نظم في (لاهاي) في سياق رئاسة هولندا للاتحاد الأوربي فقد تبين ان الاتحاد الأوربي بحاجة الى ٧٠٠،٠٠٠ شخص أضافي للعمل بمجال المعرفة والعلم حتى يتمكن من المنافسة في سوق المعرفة وان أوربا ايضا قد تخضع لاستنزاف العقول من قبل الولايات المتحدة حيث أشار المؤتمر ان ٤٠٠،٠٠٠ باحث أوربي يعمل في الولايات المتحدة وهولندا أيضا من الدول التي لها برامجها في عملية استنزاف العقول الشابة من دول مختلفة .ومن الملاحظ ان نظام العولمة ينفذ يوما بعد يوم في عمق العالم مع تزايد عمق تحالف المؤسسات متعددة الجنسيات مع زيادة الطلب على الخبرات والكفاءات العلمية وتشير الإحصائيات الرسمية في أمريكا ان الفترة ما بين الأعوام ١٩٨٦-١٩٨٧ شهدت هجرة أكثر من ٨٥٠ ألف كفاءة من الدوال النامية .

المحور الرابع : نحو استراتيجية وطنية لحماية الاستاذ الجامعي العراقي

ثانيا: استراتيجية تعزيز قدرات الكفاءات العلمية داخل القطر.

وضعت هذه الاستراتيجية لغرض دعم العقول العلمية وتصلب صمودها وتثبيتها في الساحة العلمية (الجامعية) العراقية ، مع الآخذ بنظر الاعتبار الفجوة الزمنية والثقافية التي يتمتع به أقرانهم من أصحاب الكفاءات العلمية العراقية في الخارج وتوفير جميع الإمكانيات لتقليص تلك الفجوة وهي كما يأتي :-

٤. أجراء مسوحات القوى العاملة لإحصاء جميع أصحاب الكفاءات العلمية في الداخل لمعرفة أعدادهم وتقدير احتياجاتهم وتوفير الإمكانيات لهم.

٥. توفير الأمن والعدالة لتحقيق الاستقرار الحياتي والطمأنينة المستقبلية والعدالة الاجتماعية للموطنين ولاسيما أصحاب ذوي الكفاءات العلمية.

٦. دعم قيادات وزارة التعليم العالي والجامعات العراقية في إجراءاتهم لحماية العلماء والجامعيين العراقيين من اجل الحفاظ على حياتهم وصيانة كرامتهم وحماية المؤسسات التربوية والتعليمية

٧. إنشاء / تأهيل نظام تعليم عالٍ جديد يرتكز على رؤية علمية للقيم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية الهدف منه المحافظة على القوى العلمية المؤهلة التي تتمتع بالمهارات. وتلتزم بالاخلاق الاجتماعية والعمل الجماعي التي يتطلبها القرن الحالي.

٨. إنشاء الجامعة (المؤسسة) العراقية للعلوم ، تضم فيها الجامعيين من مختلف الاختصاصات العلمية والإنسانية تتمتع باستقلالية كاملة وتتيح لهم تبادل المعرفة مع نظرائهم في شتى أنحاء العالم وتكون بيت خبرة تتولى دراسة المشاكل الوطنية الهامة وتقترح الحلول الملائمة .

٩. إنشاء المراكز العلمية بحيث يكون الاعتماد في إنشائها على نظام مؤسسات تجارية واعتبارات تنامي القدرة الإبداعية التي تغذيها هذه المؤسسات ، وتكون مقاربة في مستوى نظائرها الى المراكز العلمية في الدول المتقدمة وتركز على المجالات المهمة بما فيها مرحلة إعادة الأعمار ومحاولة زج كل الطاقات العلمية والجامعية العراقية في تلك العملية.

١٠. الآخذ بمستلزمات الجودة الشاملة في مجال التعليم ونشر الوعي الخاص بثقافة الجودة ومناخها وتحقيق تنمية الموارد البشرية بما يلائم متطلبات العصر وتقنياته.

١١. إناطة المراكز العلمية المتقدمة بالكفاءات المتميزة والمعروفة بالإخلاص لكي يتم تحقيق الأهداف المنشودة والسعي لتفجير الطاقات الكامنة للكفاءات العلمية المتبقية لأغراض الأعمار والبناء.

١٢. اعتماد مبدأ التدريب المتواصل كمنهج استثماري فاعل في عملية التنمية الشاملة مع استبعاد النظرة القديمة للتدريب.

١٣. إصلاح سياسة التوظيف وتوفير أجواء العمل المناسبة وتوفير الحرية للباحث العلمي واشعاره بالهدوء والاطمئنان لاستبقاء الباحثين ودفعهم الى العمل المثمر.

١٤. إعادة النظر في سلم الرواتب والأجور التي تمنح للكفاءات العلمية ومحاولة تقاربها مع رواتب أقرانهم العلماء في الدول العربية والأجنبية. وربط الحدود العليا للأجور بمكافأة البارزين من ذوي الكفاءات.

١٥. تقديم الحوافز التشجيعية والمادية فيما يرتبط بالبحث والإنتاج وتسهيل المنح والتسليف بشروط معينة ، مع تحسين الأوضاع المادية لأصحاب

الكفاءات بما يتلاءم مع الجهد المبذول وحاجة المجتمع إليهم ويحقق استقرار تلك الملاكات العلمية.

١٦. إصدار مجلة دورية بكل اختصاص تنشر فيها البحوث والنشاطات العلمية والمكاسب والإنجازات لأصحاب الكفاءات العلمية في الداخل وتوزع نظير ثمن مناسب عبر وكالات وجمعيات إعلامية لاصحاب الكفاءات العراقية المهاجرة .

١٧. تشييد مجمعات سكنية خاصة بذوي الكفاءات العلمية في مناطق آمنة أسوة بمجمعات سابقة تتوفر فيها : روضة ، مدرسة ، مكتبة ، مقهى لشبكة المعلومات (الانترنيت) ، حضانة ومستوصف ، وحدائق ، وسوق ومتاجر ومكتب للخدمات البريدية ونقطة حراسة ، ......، ... اخره.

١٨. تنظيم سفرات جماعية لذوي الكفاءات العلمية وعوائلهم الى الخارج وبأسعار مناسبة.

١٩. توفير السكن بأجور مناسبة قريبة من موقع العمل ومنح سلف للتأثيث تسدد بأقساط شهرية.

اصبح واضحا في ضوء التوصيف العام للمشكلة وبيئتها واسبابها وعواملها والنوايا والمقاصد والمداخل و الاساليب المعتمد في تفريغ الامة من نخبتها وصفوتها ومصادر معرفتها وخصوصا بعد ٢٠٠٣ ولكي لا نكون خارج دائرة الفاعلية الحضارية وان لا نكون في اطراف حركة الحياة ولا تتبعا للاخر ولا بيئتنا رخوة بلا ارادة او سيادة فان من الضروري رسم استراتيجية لحماية كل من الموارد والمؤسسات وفي مقدمتهم الاستاذ الجامعي وتكون على وفق ما يأتي في ضوء ما تقدم يمكن صياغة الخطوط العامة الاستراتيجية حماية الاستاذ الجامعي العراقي من ماكنة استنزاف العقول ومنع وقوعه في حافات فجوة المعرفة ويمكن بلورته بما يأتي :

اولا: الجهات المسؤولة: ان الاستاذ الجامعي يشـكل رأس مـال اجتمـاعي وحضاري.لهذا فالمسؤولية تقع على :

الدول و الحكومة وكل مركز القرار السياسي الفعال .

- المؤسسات والمنظمات الحكومية من اجل توصيف خيالها
- المجتمع كبيئة ومدى احترامه للصفوة من نخبته .
- الافراد كل حسب ادواره .
- الاستاذ الجامعي نفسه مع جامعته من خلال تحقيق النموذج المحترم.

ثانيا:

مجموعة التشريعات والقوانين: التي تشكل الاطار التنظيمي للعلاقـات و بيان الحقوق و الواجبات التي يتركز عليها ابناء المجتمع في حركة حياتهم

ثالثا:

الاجراءات الفعالة:سواء من المؤسسات التعليمية او المؤسسات الاخـرى المناسب والمستلزمات المادية التي يستطيع ان يحقق من خلالها ادارة الابداع

رابعا:

نشر الوعي الحضاري بين الافراد وفي مقدمتهم القيادات ورفـع درجـة المسؤولية الاجتماعية اتجاه المعرفة ومصادرها ومؤسساتها من خلال نظـام رأس المال الفكري وتنميته وخصوصا الاستاذ الجامعي والمبدعين والنخـب والايمان بضرورة استمرار التعليم والعلم .

خامسا:

ضرورة الانفتاح على الاخر بشكل مستقر ومتوازن بما لا يفقدنا هويتنا وثقافاتنا ولا تفوت علينا فرصة الاستفادة من نتاج الحضارات الاخـرى اي االتفريق بين ما هو عالمي وخاص .

سادسا:

بناء منظومة جامعة لتخصصات العلمية والنادرة منها واحتضانه بشـكل نجعل ارتباطه بالوطن اكثر من تفكيره بالهجرة وتبقى المقترحات مفتوحـة لكل حالة وظروف ولكن ليعلم الجميع ان امتنا لم تفقد مشـروعيتها وعلـى امكانياتها ولا قدراتها في البناء الحضاري لان حكمة الله قد اختارت اللغـة والانسان والارض منها المصطفى (ﷺ) وآل بيته والصحابة يشكل نموذجـا حيـا ينـبض لا الاصـل مـا زال موجـودا يقـول الحـق (ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم واحسن) سورة الاسراء الاية ٩ مرتبطة مع منهج الاصلاح والبناء و التغيير في قوله سبحانه (ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم) سورة الرعد الاية ١١ .

الاستنتاجات :

اصبح واضحا ان انعكاسات الفجوة المعرفية وماكنة الاستنزاف على مستقبل الاستاذ الجامعي عملية استرتيجية و كي نتمكن من معرفة الانعكاسات المباشرة وغير المباشرة على مستقبل الاستاذ الجامعي وبالتالي على منظومة التعليم العالي و دور الجامعة المنتجة و المؤثرة في اتجاهات التنمية و مدى تاثر الجامعة ومكوناتها و عناصر حركتها بالتخلف التقني و المعرفي و من ثم تردي اوضاع البلاد و فقدان موارده المادية و البشرية و هجرة العقول المتخصصة وإجبارها بشتى الوسائل على مغادرة الوطن والعمل كأجير عند الاخر وبالمقابل تنهض و تسير عملية التنمية لدى دول الغرب باقل كلف ومن جانب اخر يتراجع المستوى الحضاري للدول النامية والعراق منهم وتبقى مجرد اسواق للاستهلاك وتكديس منتجات الاخر مع بقائها سلة غذاء وموارد لماكنة الغرب وباسعار زهيدة . وفي ضوء كل ذلك يمكن بلورة الاثار والانعكاسات عل شخصية الاستاذ الجامعي بما عطل دوره الاستراتيجي في التنمية الشاملة ومن اهمها:

١. تعطل منظومة الكفاية العلمية والمعرفية لدى الاستاذ الجامعي بما يخلق لديه تقادم معرفي قياسا الى ما وصلت اليه العلوم وجعله بدائيا في قاعدة المعلومات .

٢. اضعاف المهارة الفنية والمهنية من خلال زيادة هوة الفجوة وتوسيعها بما يجعله لا يواكب المستجدات من طرق التعليم والتعلم وفنون ومهارات التوصيل والاتصال وتبادله الخبرات .

٣. العمل على اضعاف المكانة الاجتماعية ولاسيما الصفوة النخبة في المجتمع لما يجب ان يكون علية وبالتالي فقدان بوصلة الحركة بما يجعل الموارد مشتته والاهداف غير موصفة والوسائل غير مرتبطة بالاهداف مما يفقد المجتمع بعد ان يفقد الاستاذ الجامعي كصفوة دلالات الارتقاء ومؤشرات التطور

٤. خلق المجتمع الاستنساخي او الذي يكرر نفسه من خلال طمس معالم النخب والصفوة وجعل الجامعة مؤسسة حكومية تخضع للضغط او التوجهات السياسية او لاراء اشخاص او كاي مؤسسة تسير على منوال ثابت .

٥. السعي نحو اضعاف عملية واخلاقية ومهنية الاستاذ الجامعي شكل تنعكس بالمباشر على عملية شخصية الافراد ومهارات المخرجات بما يفقده فرص الابداع وتنمية القدرات التي تكشف المستقبل باطر اكثر حيوية .

٦. الابقاء على المخصصات الدراسية القائمة او أضعافها من خلال استدامة فجوة المعرفة من جانب و استنزاف عقول الاساتذة الجامعيين وعدم السماح للتخصصات للعودة للقطر مما سيؤدي عدم التحقق اضافة توعية للمخرجات الجامعية وكذلك عدم تأثيرها في برامج التنمية والتطوير المؤسسي .

٧. ان التمزق الذي اصاب شبكة الحماية لمنظومة الامن الحياتي وظهور برامج صناعة الخوف وصناعة الموت وتوجيهها لعموم الناس والنخب وفي مقدمتهم الاستاذ الجامعي وتحديدا للاختصاصات الوطنية التي تشكل راس مال وثروة ستراتيجية للامة جعلت الاستاذ الجامعي يبحث عن ظل يختفي امامه او يقلل من عطائه بالوقت الذي كان ينبغي ان يكون في موقع الصدارة لكل حركة بنائية وتطويرية كونه مركزا للمعرفه وعليه تؤمن وتستوعب كل مظاهر التقدم وما يرفه حياة الناس .

٨. ان سعي ماكنة الغرب واباطرة العولمة الى خلق انفصام بين الجامعة والمجتمع والجامعة وحقل العمل والجامعة وبراج التنمية الشاملة مما يفقدها دوره البارز في حضارة الامة والمتميز وبالتالي انعكاس ذلك على عناصر العملية التعليمية للاستاذ الجامعي وفقدانه صفة الصفوة .

٩. اعتماد الفكر الغربي في عملية بناء المناهج واستخدام منهجية تعليب الوعي والوقوف على نظام التعلم دون التعليم معا مما يضعف العلاقة الارتباطية بين حاجة المجتمع للتخصصات وبين مخرجات الجامعة او يجعل تطلعنا مستمرة وتبيعنا للخارج تحت اي مسمى وهذا يفقد الاستاذ الجامعي دوره في النظام التعليمي والمشاركة في رسم السياسات العلمية والمناهج المناسبة والمتطورة .

١٠. ابقاء الاستاذ الجامعي بصورة العلمي الذي يلقي المحاضرة المكتوبة او المكررة واعداد الاسئلة الامتحانية وتحقيق نسبة نجاح كأن للجامعة دورات تاهيل ما يدخلها يجب ان يخرج بشهادة مهما كان محتوى مستوى تاهيله ومضمونه وما حصل عليه .

١١. شعور الاستاذ الجامعي في ظل بيئة متخلفة قانونيا مع انحباس الحرية الفكرية والحصانة التي يتمتع بها التدريسي وظاهرة الاحباط النفسي والاعتباري والتهشم الذي اصاب نظم السيادة والانقلاب الاعلامي الذي بدأ لا يفعل مكانة الاستاذ الا في تصورات غير حقيقية مما جعل الشخصية الوطنية المخلصة تتردد في التعاون مع اية جهة خوفا من المجهول او قد لا يلقى قبول بسبب الهوية او الانتماء وهذه حالة طارئة نرجو ان لا تتأصل .

المصــــادر :

١- السيد محمد عقيل المهدلي _الجامعة ومكوناتها الاساسـية فـي الفكر المعاصر دار الحديث القاهرة ٢٠٠٤ ص١٢

٢- ا. د.داخل حسن جريو _التعليم الجامعي في العراق ومتطلبـات القرن الحادي والعشرون _مجلة اتحاد الجامعات العربية عدد٣٢ ١٩٩٧ ص٢٥ والمنشور مع عدد من البحوث القيمة في مجلـد للمجمع العلمي العراقي تحت عنوان –دراسـات فـي التعلـيم الجامعي ٢٠٠٥

٣- د. سالم محمد عبود_الخدمة العامة في التعليم العالي الاهـداف والمرتكزات مجلة صدى الجامعــة_ جامعــة بغـداد عـدد٣٨ ٢٠٠٢ص١٣

٤ - قانون رعاية أصحاب الكفاءات رقم ١٥٤/لسنة ١٩٧٤ حسب قرار ١١٥٣ فـي ١٩٧٤/١٠/٢٤ فقـرة أ/ المـادة ٤٢ مـن الدستور المؤقت في الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٩٧٤/١٠/٢٤.

٥_علي الراشد_اختيار المعلم واعداده _ دار الفكر القـاهرة ١٩٩٦ ص٥٥

٦ –مالك بن نبي – ميلاد المجتمع – الجزء الأول شبكة العلاقـات الاجتماعية بيروت دار الإنشاء ١٩٧٤ ص٢٨

٧ - تقرير منظمة غرب أسيا - منهجية إدارة المعرفـة - الأردن سنة ٢٠٠١ ص ٣-٥ .

٨ -د. نبيل علي - د. نادية حجازي - الفجـوة الرقميـة - عـالم المعرفة - كويت سنة ٢٠٠٥ العدد ٣١٨ ص ١٦- ١٧

٩- د. نبيل علي - د. نادية حجازي مصدر سابق ٤١٥- ٤١٦

١٠ــ انترنيـت* نـديم عبـد المـنعم نـديم مصـدر سـابق (أراء اقتصادية - اقتصادية المعرفة) .

١١ــ د. نبيل علي د. نادية حجازي مصدر سابق ص ١٥٠-١٥١

١٢ــ انترنيت * أراء اقتصادية - اقتصادية المعرفة - نـديم عبـد المنعم نديم

١٣ــ د. نبيل علي د. نادية حجازي مصدر سابق ص٤٢٨

١٤ــ انترنيت * محمد ديان - اقتصاد المعرفة

١٥ــ عمر عبيد حسنة - البعد الحضاري لهجرة الكفاءات - كتاب الأمة العدد ٨٩-١٩٩٩ص٥-٦

١٦ـــ د. اياد عطية الخالدي تفاقم ظاهرة هجـــرة العـــراقيين إلـــى الخارج http://www.Google.com.

١٧ـــ سياسات الهجرة والسكان فـــي المنطقـــة العربيـــة / اللجنـــة الاقتصادية والاجتماعية لغربـــي اســـيا / الامـــم المتحـــدة/ نيويورك /٢٠٠١ ص١١٤.

١٨ـــ اياد عطية الخالدي تفاقم ظاهرة هجرة العراقيين إلى الخـــارج http://www.Google.com

١٩ـــ سياسات الهجرة والسكان فـــي المنطقـــة العربيـــة / اللجنـــة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا / الامم المتحدة / نيويورك / ٢٠٠١ ص١١٤.

٢٠- الانترنيت العقول المهـــاجرة بـــين الاســـتنزاف والاســـتثمار ٢٠٠٤/١٠/٢٢ اسم الموقع البلاغ

٢١ـــ الانترنيت د. عبد الله التركماني – مجتمع المعرفة وأبعاده في العالم العربي موقع Teab

٢٢ـــ د. نبيل علي د. نادية حجازي مصدر سابق ص٤١٩

٢٣ـــ د. فاخر غافل / الكفايات العلمية – تحضيرها في بلادها ثم هجرتها الى بلاد غيرها / مجلة العربي / العدد ١٧٠/ ينـــاير كانون الثاني / ذو القعدة / ١٣٩٢/ ١٩٧٤/ ص٣٣

٢٤ـــ د. كاظم المقدادي / عودة أصحاب الكفاءات بين حاجة الوطن والمصلحة الذاتية. comhttp://www.Google.

٢٥ – د. عبد السلام نوير / الخسائر من جـــراء هجـــرة الادمغـــة العربية / مؤتمر مركز بحوث الدول النامية / جامعة القـــاهرة / ٢٠٠٦/٣/١.

٢٦ –احمد صبري / ظاهرة الخطف والاغتيال لاطبـــاء واســـاتذة الجامعات / المركز الدولي لرصـــد الانتهاكـــات فـــي العـــراق ٢٠٠٥/٦/٧.

٢٧–د.نادر الفرجاني / التنمية الانسانية وأكتساب المعرفة المتقدمة في البلدان العربية / دور التعليم العـــالي والبحـــث والتطـــور التكنولوجي /سلسلة دراســـات التنميـــة البشـــرية ١١/ اللجنـــة الاقتصادية لغربي اسيا / الامم المتحدة / نيويـــورك / ١٩٩٩ / ص٢١.

٢٨ـ علي عبد محمد سعيد الراوي / الاستثمار البشري واثره على الإنتاجية والتطور الاقتصادي / اهمية ودور البنى الارتكازيـــة في التنمية مع اشارة خاصة للتجربة العراقية / رسالة دكتوراه/ كلية الادراة والاقتصاد / جامعة بغـــداد / نيســـان / ١٩٨٦/ ص١٩١.
٢٩ـ انترنيت * نديم عبد المنعم نديم مصدر سابق (أراء اقتصادية – اقتصادية المعرفة)
٣٠ـ انترنيت – طلعت ريح – تأملات في حروب النخب من الدول الإسلامية الى الغرب / جريدة لبيان عدد ١٨٥
٣١ـ د.برهان غليون – اغتيال العقل – مطبعة المدبولي ص١٣٣
٣٢ـ انترنيت – اهداف البرنامج الامريكي لتوظيف العلماء-مجلـــة المجتمع العدد١٥٨٣ ٢٠٠٤/١/٣٠ اسم الموقع_ النسيج
٣٣ـ انترنيت * أراء اقتصادية – اقتصادية المعرفة – نـــديم عبـــد المنعم نديم
٣٤ـ د. برهان غليون – اغتيال العقل – مطبعة المدبولي ص١٣١

٣٥ـ انترنيت – اهداف البرنامج الامريكي لتوظيف العلماء-مجلـــة المجتمع العدد١٥٨٣ ٢٠٠٤/١/٣٠ اسم الموقع_ النسيج
٣٦- وزارة التعليم العـــالـــي والبحـــث العلمـــي http:// -٢٢ www.Google٢٠٠٦-٦-٢٨ .com.

٣٧- إصـــدارات قســـم الأعـــلام والعلاقـــات / جامعـــة بغـــداد ٢٠٠٦/٤/١٨ .

٣٨ـ حسناء ناصر واقع الكفاءات العلمية في العراق واستراتيجية حمايتها مركز بحـوث السـوق وحمايـة المسـتهلك جامعـة بغداد ٢٠٠٧ .

شخصية مجمعية

العلاّمة المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله)

١٣٥٠ ـ ١٤٢٧هـ / ١٩٣١ ـ ٢٠٠٦م

سيرة وذكريات

الدكتور جواد مطر الموسوي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يُعَدُّ العلاّمة المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، علامة فارقة في المعرفة الإسلامية ، فهو فريد عصره وجهبذ من جهابذة القرن العشرين ، صال وجال بطول قامة ، فكان طوداً سامقا ، شمخ عبر مسعاه الحثيث لتسليط الأضواء على ذلك الركام الضخم من التراث ، فبرز في مجال الفقه والتحقيق والتاريخ والتراجم والفلسفة واللغة والآداب ، بل رفع اللغة الى المراتب العليا بين العلوم ، إنه ومضة من سراج مثقفي الإسلام .

شُغف منذ نشأته الأولى بدراسة الإسلام وتراثه وما يتعلق به من العلوم الأخرى ، وهذا لا غرابة فيه فهو سليل عائلة علمية مرموقة يشار اليها بالبنان بين العوائل العلمية التي عُنيت بالعلوم الدينية واللغوية والتراث الإسلامي عموماً وبرزت منها شخصيات مهمة لها إشارات واضحة في الثقافة الإسلامية .

تعرفت عليهُ (رحمه الله) وأنا يافع في بداية سبعينيات القرن الماضي في الصحن الكاظمي وهو يؤم المصلين ، قرأتُ بعد ذلك إصداراته المتنوعة ، ولا سيما الصادرة من منشورات جامع الإمام طه (رحمه الله) في شارع الأمين قرب ساحة (الرصافي) ومطبعة الديواني .

جالسته أول مرة ، وتكلمت معه مباشرة يوم الأربعاء المصادف (١٩٨٩/٣/٢٩م) عندما حللنا عليه في بيته ، أنا وزميلي مهدي عريبي حسين (عميد كلية التربية ـ جامعة ذي قار سابقاً) وكنا طلبة ماجستير في التأريخ (مرحلة إعداد البحث) ، وأتذكر أننا عندما طرقنا باب البيت الواقع في منطقة (البستان) في الكاظمية ، كانت الساعة تقترب من العاشرة صباحا ، رحب بنا قبل فتح الباب ، ثم ظهر لنا الشيخ (رحمه الله) بوجهه البهي ومظهره الجميل ، فذهب منا الوجل والاستحياء احتراما له ولمقامه وعلمه ، ولا سيما أنَّ هناك فارقا كبيرا بيننا عمريا وعلميا لكنه استطاع أن يكسره ، فأدخلنا الى حجرته المملوءة كتبا في كل جانب .

بعدها قدم بيده الكريمة (رحمه الله عليه) الشاي ، وهذا جعلنا نكرر الانحناء إليه لإعجابنا بدماثة أخلاقه وقمة تواضعه ، واستنكر انحنائي له ، ولن يتقبله حبا بآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

سأله زميلي عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، وعن شخصية (بسطام) والحقتهُ بسؤال عن (الأساطير والمعتقدات الدينية) وكان يرد علينا بموسوعيته المعرفية ورحابة صدره وروحه العطرة الطيبة (رحمه الله) ، على الرغم من سنه وأثر الجهد البحثي فيه ، وتبرّمِهِ من الوضع السياسي آنذاك ، حيث مطحنة البشر في الحرب العراقية ـ الإيرانية ، التي أحرقت الحرث والنسل .

واللافت للنظر أنَّهُ كان ينصت بدقة ويبتسم من دون أن يقطع حديثنا لتصحيح الأخطاء اللغوية التي نقع بها عند الكلام والقراءة ، كما يتحذق الكثير ممن لهم معرفة في اللغة ، ويبدو أنهُ أراد أن يشد من عزيمتنا على التعلم ، ثم لا يريد أن يحرج من يجالسهم وإن كانوا بأعمار أولاده .

انتهى اللقاء بعد أن أخذنا الكثير من فيض علمه وخلقه ، كما أهدانا مجموعة لا بأس بها من مؤلفاته في مجال (تراجم الرجال) خرجنا من بيته ونحن نتفحص قوله ، في حاجة الأجيال : (إلى وقفة ذكية فاحصة ، بل عودة منفتحة واعية ، الى دراسة التأريخ بعمق واستلهام التراث بتدبُّر ، والتفاعل مع الماضي المشرق بفهم وقدرة على الفرز والتمييز ، لنقتبس من كل ذلك ما يعينها ــ أي الأجيال ــ على صنع الغد المنتظر المنشود ، الذي لا يهدد أمنه طالع ولا يدنس ترابه معتدٍ آثم ولا يقف أمام زحفه الحضاري الخلاّق مُشَرِّق او مُغَرِّب) .

بقي العلامة المحقق الشيخ (رحمه الله) رابضا في بيته كالأسد ، قليل الخروج يكتب ويبحث ، لكن اسمه بقي يتداول بين الباحثين والمثقفين وطلبة العلم ، ففي لقاء خاص نهاية سنة (١٩٩٥م) مع الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي (رحمه الله) رئيس المجمع العلمي العراقي آنذاك ، صرح لي وأنا في بيتهِ الواقع في منطقة الداودي (الأندلس) مقابل المخزن الثانوي ، أكثر من قول مهم لم يصرح به في مكان آخر أو يوثقه ، قال : أن أفضل لغوي عربي في هذا العصر للذي قابع في بيته ، قلت له ، من هو ؟ قال من دون تردد : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، وأعقبها بحسرة حاول أن يخفيها وصب غضبه على الوضع العام .. وكان قول (الأستاذ الدكتور العلي) في حقبة يدعي أكثر من واحد أنهُ اللغوي الأوحد ، ومنهم من كان عضوا في المجمع العلمي العراقي .

اطلعت قبل أيام على بحث مخطوط له بعنوان (ملاحظات في المعجمات المحققة المطبوعة) لغرض تهيئته للنشر في مجلة (الآداب) التي أتولى رئاسة تحريرها ، وكان الفضل في ذلك لنجل العلامة المحقق الأستاذ

الدكتور محمد حسين آل ياسين (الأستاذ في قسم اللغة العربية ــ كلية الآداب ــ جامعة بغداد) .

اتبع العلامة الشيخ (رحمه الله) في هذا المسرد المنهج العلمي بدقة كأنه تتلمذ في إحدى الدول الغربية ، وقد كتب بأسلوب شائق يفرض على القارئ قرأته أكثر من مرة وبتلذذ رائع ، فهو مسرد نقدي بحرفية عالية ، أصاب فيه كبد الصواب من دون أن يمس فيه ، أيّاً ممّن انتقدهم علميا ، وكانت تصويباته وملاحظاته مهمة أدعو الجهات التي ستتولى طبع الكتب مرة ثانية أن تأخذ بها ، ولا يفوت العلامة الشيخ (رحمه الله) كما عودنا في حياته أن يكون في قمة التواضع في طرح أفكاره .

وفي نهاية بحثه نجدهُ يقول : ((فهذه صفحات متواضعة عرضتُ فيها بعض ما كنتُ قد علقته على هوامش بعض المعجمات في أثناء القراءة والمراجعة ، أرجو أن يكون فيها ما ينفع ويفيد ، بل ما يحمي من يعتمد على تلك الكتب من السقوط في وهدة الأغلاط والأوهام ، وما أبرئ نفسي من مثل ذلك أيضا ، لأن هذه السطور عطاء نظرٍ قاصرٍ وفكرٍ غير معصوم ، ولعل في بعض ما عرضتُ من الملاحظات ما زعمتهُ صوابا وهو غير سليم من الخطأ ، وما ظننته خطأ وهو عين الصواب . وفوق كل ذي علم عليم) .

ويبدو أن العلامة الشيخ (رحمه الله) كان يكتب تصويباته واستدراكاته وملاحظاته القيمة على متن المعاجم التي يستخدمها ومنها معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي ، و (مقاييس اللغة) لابن فارس ، (تاج العروس) للحسني الزّبيدي ، لذلك أنبه للمحافظة على هذه المعاجم ، واخراج هذه الملاحظات بمسرد آخر يكون مكملا لهذا المسرد .

وبمناسبة الذكرى السنوية لرحيله (رحمه الله) ونشر أول نتاج له بعد وفاته من تراثه غير المنشور ، ارتأينا أن نقدم لمحة قصيرة جدا عن حياة آية

الله العلامة المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، وقد استفدنا كثيرا من المقال الذي كتبه (الدكتور جمال الدباغ) بمناسبة مرور أربعين يوما على رحيله (رحمه الله) ، ومقال (الأستاذ عبد الكريم الدباغ) بمناسبة ذكراه السنوية ، وهو من منشورات اللجنة الثقافية في جامع آل ياسين في الكاظمية المقدسة ، التي أدعوها أن تتولى نشر مخطوطات العلامة الشيخ (رحمه الله) ولا سيما الكتب منها .

ولد الشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ باقر بن محمد حسن آل ياسين ، في النجف الأشرف يوم السبت ١٨ جمادى الآخرة ١٣٥٠هـ الموافق ٣١ تشرين الأول ١٩٣١م ، وهو الابن الوحيد لفقيه عصره والمرجع الأعلى آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين ، فهو سليل أسرة (آل ياسين) وهي من الأسر العلمية المعروفة والمشهورة ، خدمت الدين والعلم ، وأنجبت العديد من المراجع العظام والأعلام الأكابر .

فكان معلمه الأول والده آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين (رحمه الله) الذي غرس فيه كل مقومات الشخصية الإسلامية المرموقة من علم وتقوى وخلق وفتح عينيه على مجاميع العلماء التي تتوافد على بيت العلم ، لتسقى من علوم الإسلام ومدرسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآل بيته الأطهار (عليهم السلام) أكمل دراسته بمراحلها المتعددة في النجف الأشرف وهو خريج كلية الفقه التي كانت تسمى بـ (مدرسة منتدى النشر).

تتلمذ على يد مجموعة من العلماء منهم : الشيخ عباس الرميثي والشيخ طاهر آل الشيخ راضي النجفي ، بعدها أصبح من خواص تلاميذ المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد الخوئي الذي شهد له بالعلم ، والقدرة على الاستنباط وأجاز لمقلديه العمل برسالة الشيخ محمد حسن آل ياسين الموسومة (مناسك العمرة المفردة) ، منح في (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) إجازة

الاجتهاد من الفقيه الشيخ عبد الكريم الجزائري ، انتقل من النجف الأشرف للإقامة في مدينة الكاظمية المقدسة سنة (١٣٧٢هـ /١٩٥٣م) بطلب من سكانها ليستفتونه بأمور دينهم ودنياهم ، بعد وفاة عمه فيها الشيخ راضي آل ياسين (رحمه الله) ، وأصبح ثقة المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (أطال الله في عمره) والذي وجه أهل بغداد والكاظمية اليه ، فكان له اثر واضح في النشاط العلمي والثقافي في الكاظمية وبغداد وانتقلت شهرته الى عموم العراق والعالم الاسلامي ، فقد اسس في الكاظميه ، دار المعارف للتأليف والترجمه والنشر وانشأ مكتبة الامام الحسن (عليه السلام) العامة ورأس الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية ، وكان مساهما ومشرفا على مجلتها المشهورة (البلاغ).

وكانت له محاضرات قيمه في الكاظمية ولاسيما خلال أيام شهر رمضان في مركز نشاطه العلمي الديني والثقافي في جامع آل ياسين ، ولم يكتف بذلك فقد مارس بعضا من هذا النشاط في جامع الامام طه (رحمه الله) في شارع الامين قرب ساحة الرصافي في الوقت الحاضر ، كما شارك في بعض الندوات والمحاضر في منطقة الكرادة .

ولنشاطه في مجال اللغة ، عُيِّنَ عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي سنة (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م)، وفي السنة نفسها اختير عضوا مؤازرا للمجمع الناشئ في حينه وهو مجمع اللغة العربية الاردني ، وزميلا لملتقى الرواد سنة (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) ، وتم اختياره عضو شرف في المجمع العلمي العراقي (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

وكان الشيخ (رحمه الله) يقرض الشعر في بواكير عمره الشريف ، وله قصيدة في الخامس عشر من عمره سنة ١٩٤٦هـ بمناسبة المولد النبوي الشريف وهي بعنوان (يارسول السلام) :

اشرق الكون بالسنا يتوقــد

حينما اشرق الوليد (محمد)

حادث هز عالم الأرض بشرى

فانحنت عنده العوالم سُجَّدْ

لاح في عالــم الجهالة بــدرا

يهتدي الكون في سناهِ ويرشدْ

وتراءى في ظلمة الشرك نورا

عبقريا لنــار فارس اخمــدْ

وفي العام نفسه رثى المرجع الاعلى السيد ابا الحسن الاصــفهاني ، كذلك له قصيدة بعنوان (في كربلاء) سنة (١٣٨٥هــ/ ١٩٦٥م) ، اعتــزل الحياة العامة ولزم داره ــ فارضا على نفسه الاقامة الاجبارية ، وذلك بعد ان اعدم ابن عمته وفيلسوف عصره السيد محمد باقر الصدر (قــدس الله ســره الشريف) سنة (١٤٠١هــ / ١٩٨٠م) .

كان العلامة الشيخ (رحمه الله) موسوعيا غزير الانتاج ، فقد تــرك تراثا علميا ضخما موزعا بين التاليف والتحقيق والدراسات والمقالات ، باحثا في ذلك عن الحقيقة ، وتنوعت مؤلفاته وجهوده العلمية بين العلــوم الدينيــة وعلوم اللغة العربية والتاريخ والســير وتــراجم الرجــال والفلســفة والادب وغيرها ، وقد حصل (الاستاذ عبد الكريم الدباغ) على جريدة باسماء مؤلفات الشيخ وتحقيقاته من دون المسارد والبحوث والمقالات المتعــددة والمتنوعــة ومنها المنشور في مجلة (البلاغ) ، وصل عدد الكتب الى مئة كتاب مؤلــف وسبعة واربعين كتابا محققا .

اولاً :الكتب المؤلفة:

١ــ ابريق ، لفظ عربي فصيح ، (بغداد :١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .

٢ــ أبوذر الغفاري ، (بغداد : ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) .

٣ــ أبو الهيثم بن التيهان ، (بيروت : ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .

٤ــ الأرقام العربية مولدها ــ نشأتها ــ تطورها ، (بغداد : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

٥ــ الإسلام بين الرجعية والتقدمية ، (النجف الأشرف : ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م) .

٦ــ الإسلام والرق ، (بغداد : ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م) .

٧ــ الإسلام والسياسة ، (بغداد : ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) .

٨ــ الإسلام ونظام الطبقات ، (بغداد : ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) .

٩ــ الإمامة ، ط١ (بيروت : ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، ط٣ (بغداد : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .

١٠ــ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) .

١١ــ الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

١٢ــ الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) .

١٣ــ الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) ، ط١ (بغداد : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ط٢ (بغداد : ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) .

١٤ــ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (سيرة وتأريخ) ، (بيروت : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .

١٥ـ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

١٦ـ الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) .

١٧ـ الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) .

١٨ـ الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤١٨هـ ١٩٩٧م) .

١٩ـ الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) ، (بغداد : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) .

٢٠ـ الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

٢١ـ الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ، (بيروت : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .

٢٢ـ الإنسان بين الخلق والتطور (القسم الأول) ، ط١ (بغداد : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ، ط٢ (بغداد : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ط٣ (بيروت : ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م) .

٢٣ـ الإنسان بين الخلق والتطور (القسم الثاني) ، (بغداد : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

٢٤ـ بين يدي المختصر النافع ، (بغداد : ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) .

٢٥ـ تاريخ الحكم البويهي في العراق (القسم الأول) ، (بغداد : ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) ، (الفصل الثاني) ، (بغداد : ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .

٢٦ـ تاريخ الصحافة في الكاظمية ، (بغداد : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) .

٢٧ـ تاريخ المشهد الكاظمي (بغداد : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) .

٢٨ـ جعفر بن أبي طالب ، (بغداد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

٢٩ـ الحباب بن المنذر ، (بغداد : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

٣٠ـ حجر بن عدي الكندي ، (بيروت : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) .

٣١ـ حذيفة بن اليمان ، (بغداد : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

٣٢ـ حمزة بن عبد المطلب ، (بغداد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

٣٣ـ خزيمة بن ثابت ، (بيروت : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) .

٣٤ـ الدين الإسلامي ـ أصوله ـ نظمه ـ تعاليمه (بغداد : ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) .

٣٥ـ ديوان ابي طالب في صنعتين ، (بغداد : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) .

٣٦ـ ديوان مالك بن نويرة ، (بغداد : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)

٣٧ـ ديوان متمم بن نويرة ، (بغداد : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

٣٨ـ زيد بن حارثة ، (بغدد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

٣٩ـ زيد بن صوحان ، (بيروت : ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .

٤٠ـ سعد بن الربيع ، (بغداد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

٤١ـ سعد بن عبادة ، (بغداد : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) .

٤٢ـ سعد بن معاذ ، (بغداد : ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م) .

٤٣ـ السلسبيل ، لفظ عربي فصيح ، (بغداد : ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) .

٤٤ـ سلمان الخير ، (بغداد : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

٤٥ـ سهل بن حنيف ، (بيروت : ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) .

٤٦ـ السيد علي آل طاووس ، (حياته ـ مؤلفاته ـ خزانة كتبه) ، (بغداد : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م) .

٤٧ـ السيد محسن بن حسن الأعرجي ، (بغداد : ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م) .

٤٨ـ الشباب والدين ، ط١ (بغداد : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، ط٢ (بغداد : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٧م) ، ط٣ (بغداد : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ط٤ (بيروت : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ط٥ (القاهرة : ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م) .

٤٩ـ شعراء كاظميون (الجزء الأول) ، (بغداد : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

٥٠ـ شعراء كاظميون (الجزء الثاني) ، (بغداد : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

٥١ـ شعراء كاظميون (الجزء الثالث) ، (بغداد : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

٥٢ـ الصاحب بن عباد ، حياتهُ وأدبه ، (بغداد : ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) .

٥٣ـ صعصعة بن صوحان ، (بيروت : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) .

٥٤ـ صيغة فُعَل في العربية ، (بغداد : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

٥٥ـ عُباد الرحمن ، (بيروت : ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) .

٥٦ـ عبادة بن الصامت ، (بغداد : ١٤١٨هـ / ١٩٩٥م) .

٥٧ـ عبد الله بن بديل ، (بيروت : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) .

٥٨ـ عبد الله بن رواحة ، (بغداد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

٥٩ـ عثمان بن حنيف ، (بيروت : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

٦٠ـ العدل الإلهي بين الجبر والاختيار ، ط١ (بغداد : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ، ط٣ (بغداد : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، ط٤ (بيروت : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

٦١ـ على هامش كتاب العروة الوثقى ، (بغداد : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .

٦٢ـ عمار بن ياسر ، (بيروت : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .

٦٣ـ عمرو بن حمق الخزاعي ، (بيروت : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م) .

٦٤ـ في رحاب الإسلام (مسائل فلسفية بين المادية والإسلام) ، (بيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م) .

٦٥ــ في رحاب الرسول ، ط١ (بيروت : ١٤١٦هــ / ١٩٩٦م) ، ط٢ (بغداد : ١٤٢٤هــ / ٢٠٠٣م) .

٦٦ــ في رحاب القرآن ، (بغداد : ١٣٨٨هــ / ١٩٦٩م) .

٦٧ــ فُيعل أم فعيل ، (عمان : ١٤٠١هــ ١٩٨١م) .

٦٨ــ قيس بن سعد بن عبادة ، (بغداد : ١٤٢٥هــ / ٢٠٠٤م) .

٦٩ــ الله بين الفطرة والدليل ، ط١ (بغداد : ١٣٨٩هــ / ١٩٦٩م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٣هــ / ١٩٧٣م)، ط٣ (بيروت : ١٣٩٥هــ / ١٩٧٥م)، ط٤ (بغداد : ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م) ، ط٥ (القاهرة : ١٣٩٨هــ / ١٩٧٨م) ، ط٦ (بيروت : ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م) ، ط٧ (بغداد : ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م) ، ط٨ (بيروت : ١٤٠٠هــ / ١٩٨٠م) .

٧٠ــ لمحات من تاريخ الكاظمية ، (بغداد : ١٣٩٠هــ / ١٩٧٠م) .

٧١ــ المادة الأزلية والحدوث ، ط١ (بغداد : ١٣٩٤هــ / ١٩٧٤م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٤هــ / ١٩٧٤م) ، ط٣ (بغداد : ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م)، ط٤ (القاهرة : ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م) .

٧٢ــ مالك بن حارث الأشتر ، (بيروت : ١٤٢١هــ / ٢٠٠٠م) .

٧٣ــ المبادئ الدينية للناشئين / الحلقة الأولى ، (بغداد : ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م) .

٧٤ــ المبادئ الدينية للناشئين / الحلقة الثانية ، (بغداد : ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م) .

٧٥ــ محمد بن أبي بكر ، (بيروت : ١٤٢٠هــ / ١٩٩٩م) .

٧٦ــ محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) ، (بغداد : ١٣٨٩هــ / ١٩٧٠م) .

٧٧ـ مذكرات في فقه الاستدلالي (المجموعة الأولى) ، (بغداد : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

٧٨ـ مذكرات في فقه الاستدلالي (المجموعة الثانية) ، (بغداد : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

٧٩ـ مسائل لغوية في مذكرات مجمعية (القسم الأول) (بغداد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، (القسم الثاني) (بغداد : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) ، ثم جمع القسمان مع مذكرات أخرى لم تنشر وصدر في (بغداد : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

٨٠ـ المشهد الكاظمي في العصر العباسي ، (بغداد : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) .

٨١ـ المشهد الكاظمي من بدء الاحتلال المغولي الى نهاية الاحتلال العثماني، (بغداد : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

٨٢ـ مصعب بن عمير ، (بغداد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

٨٣ـ المعاد ، ط١ (بيروت : ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، ط٣ (بغداد : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .

٨٤ـ المعجم الذي نطمح اليه ، ط١ (بغداد : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ط٢ (بغداد : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .

٨٥ـ معجم النبات والزراعة (الجزء الأول) ، (بغداد : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .

٨٦ـ معجم النبات والزراعة (الجزء الثاني) ، (بغداد : ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) . وطبع الجزآن معاً ، (دمشق : ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) ، ط٢ (بيروت : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) .

٨٧ـ المعمى والأحاجي والألغاز ، (بغداد : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) .

٨٨ــ مفاهيم اسلامية ، ط١ (بغداد : ١٣٨٥هــ / ١٩٦٥م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٣هــ / ١٩٣٧م) .

٨٩ــ المقداد بن عمرو ، (بغداد : ١٤١٥هــ / ١٩٩٥م) .

٩٠ــ ملاحظات في المعجمات المحققة المطبوعة ، (بغداد : ١٤١٥هــ / ١٩٩٥م) .

٩١ــ مناسك العمرة المفردة ، ط١ (بغداد : ١٣٩٠هــ / ١٩٧٠م) ، ط٢ (بغداد : ١٤٢٥هــ / ٢٠٠٤م) .

٩٢ــ من المستدرك على ديوان الخبز ارزي ، (بغداد : ١٤١٥هــ / ١٩٩٥م) .

٩٣ــ منهج الطوسي في تفسير القرآن ، ط١ (مشهد : ١٣٩٠هــ) ، ط٢ (بغداد : ١٩٧٨م) .

٩٤ــ المهدي المنتظر بين التصور والتصديق ، ط١ (بغداد : ١٣٨٨هــ / ١٩٦٨م) ، ط٢ (بغداد : ١٣٩٨هــ / ١٩٧٨م) .

٩٥ــ ميثم بن يحيى التمار ، (بغداد : ١٤٢٥هــ / ٢٠٠٤م) .

٩٦ــ النبوة ، ط١ (بغداد : ١٣٩٢هــ / ١٩٧٢م) ، ط٢(بيروت : ١٣٩٢هــ / ١٩٧٢م) ، ط٣ (بغداد : ١٣٩٨هــ / ١٩٧٨م) ، ط٤ (بيروت : ١٣٩٨هــ / ١٩٧٨م) .

٩٧ــ نصوص الردة في تاريخ الطبري (نقد وتحليل) ، ط١ (بيروت : ١٣٩٣هــ / ١٩٧٣م) ، ط٢ (بغداد : ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م) ، ط٣ (بيروت : ١٣٩٧هــ / ١٩٧٧م) .

٩٨ــ نهج البلاغة لمن ؟ ، ط١ (بغداد : ١٣٩٥هــ / ١٩٧٥م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٥هــ / ١٩٧٥م) ، ط٣ (بغداد : ١٣٩٦هــ / ١٩٧٦م) ،

ط٤ (بغداد : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ، ط٥ (بيروت : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .

٩٩ـ هاشم بن عتبة المرقال ، (بيروت : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .

١٠٠ـ هوامش على كتاب (نقد الفكر الديني) ، ط١ (بيروت : ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ، ط٢ (ببيروت : ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ، ط٣ (بيروت : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ، ط٤ (بيروت : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، ط٥ (بغداد : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، ط٦ (بيروت : ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

ثانيا : الكتب المحققة

١ـ الإقناع في العروض وتخريج القوافي للصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد ، (بغداد : ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) .

٢ـ الأمثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب بن عباد ، (بغداد : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

٣ـ تاريخ العرب قبل الإسلام لعبد الملك بن قريب الأصمعي ، (بغداد : ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) .

٤ـ التنبيه لحدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الاصبهاني ، (بغداد : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) .

٥ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي رواية ابن جني ، ط١ (بغداد : ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) ، ط٢ (بغداد : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) .

٦ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي صنعة أبي سعيد الحسن السكري ، ط١ (بيروت : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ، ط٢(بيروت : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م)، ط٣ (بيروت : ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) .

٧ـ ديوان ابي طالب بن عبد المطلب صنعة أبي هفان المهزمي ، (بغداد : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) .

٨ـ ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة علي بن حمزة البصري ، (بغداد : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، وطبعت الصنعتان معاً (بيروت : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

٩ـ ديوان المثقف العبدي الأحول ، (بغداد : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

١٠ـ ديوان الخبز ارزي (القسم الأول) ، (بغداد : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ، (القسم الثاني) ، (بغداد : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ، (القسم الثالث) ، (بغداد : ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) ، (القسم الرابع) ، (بغداد : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ، (القسم الخامس والأخير) ، (بغداد : ١٤١١هـ / ١٩٩٠م) .

١١ـ ديوان الشيخ جابر الكاظمي ، (بغداد : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) .

١٢ـ ديوان الصاحب بن عباد ، ط١ (بغداد : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م) ، ط٢ (بيروت : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .

١٣ـ رسالتان في الفرق بين الضاد والظاء لمحمد بن نشوان الحميري ومحمد ابن يوسف الأندلسي ، (بغداد : ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م) .

١٤ـ الروزنامجة للصاحب بن عباد ، (بغداد : ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) .

١٥ـ شرح قصيدة الصاحب بن عباد في أصول الدين للقاضي جعفر بن أحمد البهلولي اليماني المعتزلي ، (بغداد : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

١٦ـ شرح مشكل أبيات المتنبي لأبن سيدة الأندلسي ، (باريس : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .

١٧ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الهمزة) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني .

١٨ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الباء) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني .

١٩ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف التاء) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني .
٢٠ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الجيم) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني .
٢١ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الحاء) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني .
٢٢ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف السين) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، (بغداد : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .
٢٣ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الطاء) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، (بغداد : ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .
٢٤ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الغين) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، (بغداد : ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م) .
٢٥ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الفاء) للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، (بيروت : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
٢٦ـ عنوان المعارف وذكر الخلائف للصاحب بن عباد ، ط١ (النجف : ١٣٧٢هـ / ١٩٥٩م) ، ط٢ (بغداد : ١٣٤٨هـ / ١٩٦٤م) ،ط٣ (بغداد : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م) .
٢٧ـ الفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد ، (بغداد : ١٣٨٨هـ / ١٩٥٨م) .
٢٨ـ نصوص الحكم لأبي نصر محمد بن طرخان الفارابي ، (بغداد : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٧م) .
٢٩ـ الفصول الأربعة للصاحب إسماعيل بن عباد ، (دمشق : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

٣٠ــ كتاب الاشتقاق لعبد الملك بن قريب الأصمعي ، (بغداد : ١٣٨٨هــ / ١٩٦٨م) .
٣١ــ كتاب السحاب والمطر وكتاب الأزمنة والرياح لأبي عبيد القاسم بن سلام ، (بغداد : ١٤٠٥هــ / ١٩٨٥م) .
٣٢ــ كتاب الشجر والنبات وكتاب النخل لأبي عبيد القاسم بن سلام ، (بغداد : ١٤٠٤هــ / ١٩٨٤م) .
٣٣ــ كتاب المتوارين للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي ، (دمشق : ١٣٩٥هــ / ١٩٧٥م) .
٣٤ــ الكشف عن مساوئ شعر المتنبي للصاحب بن عباد ، (بغداد : ١٣٨٥هــ / ١٩٦٥م) .
٣٥ــ المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (الجزء الأول) ، ط١ (بغداد : ١٣٩٦هــ / ١٩٧٦م) ، (الجزء الثاني) ، ط١ (بغداد : ١٣٩٨هــ / ١٩٧٨م) ، (الجزء الثالث) ، ط١ (بغداد : ١٤٠١هــ / ١٩٨١م) .
الطبعة الكاملة ، (من الجزء الأول الى الجزء العاشر) (الأصل) و (الجزء الحادي عشر) للفهارس الشاملة ، (بيروت : ١٤١٤هــ / ١٩٩٤م) .
٣٦ــ مقدمة كتاب العين في أرجح نصوصها للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (بغداد : ١٣٩٧هــ / ١٩٩٤م) .
٣٧ــ مناقب جعفر بن أبي طالب للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الدمشقي الحنبلي ، (بغداد : ١٣٨٩هــ / ١٩٦٩م) .
٣٨ــ من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة لأبي حسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية النيسأبوري ، ط١ (بغداد : ١٣٩٢هــ / ١٩٧٢م) ، ط٢ (دمشق : ١٤٠٣هــ / ١٩٨٣م) .

٣٩ــ نسيم السحر لعبد الملك بن محمد الثعالبي ، (بغداد : ١٣٧٧هــ / ١٩٥٨م) .

٤٠ــ نفائس المخطوطات (المجموعة الأولى) ، ط١ (النجف الأشرف : ١٣٧٢هــ / ١٩٥٣م) ، ط٢ (بغداد : ١٣٨٣هــ / ١٩٦٣م) وتشمل على :

أ ــ كتاب الإبانة عن مذهب أهل العدل للصاحب بن عباد .

ب ــ كتاب عنوان المعارف وذكر الخلائف للصاحب بن عباد .

ج ــ كتاب إيمان أبي طالب لنشيط المفيد .

د ــ كتاب الأضداد في اللغة لابن الدهان النحوي .

٤١ــ نفائس المخطوطات (المجموعة الثانية) ، (بغداد : ١٣٧٣هــ / ١٩٥٣م) وتشتمل على :

أ ــ ديوان أبي الأسود الدؤلي .

ب ــ رسالة أبي غالب الزراري في آل أعين .

ج ــ الأصول الاعتقادية للشريف المرتضى .

د ــ التذكرة للصاحب بن عباد .

٤٢ــ نفائس المخطوطات (المجموعة الثالثة) ، (بغداد : ١٣٧٤هــ / ١٩٥٥م) ، ديوان السموأل ، صنعة أبي عبد الله نفطويه .

٤٣ــ نفائس المخطوطات (المجموعة الرابعة) ، (بغداد : ١٣٧٤هــ / ١٩٥٥م) وتشتمل على :

أ ــ مسألة وجيزة في الغيبة ، للشريف المرتضى .

ب ــ رسالة في أحوال عبد العظيم الحسني ، للصاحب بن عباد .

ج ــ رسالة آداب البحث وشرحها ، لطاش كبري زادة .

د ــ تخميس البردة ، للسيد علي (خان) المدني .

هـ ــ مسألة في البداء ، للشيخ محمد جواد البلاغي .

٤٤ــ نفائس المخطوطات (المجموعة الخامسة) ، (بغداد : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) وتشمل على :

أ ــ منازل الحروف ، لعلي بن عيسى الرماني .

ب ــ رسالة في خبر مارية ، للشيخ المفيد .

ج ــ مسألة في النص الجلي ، للشيخ المفيد .

د ــ مجموعة في فنون علم الكلام ، للشريف المرتضى .

٤٥ــ نفائس المخطوطات (المجموعة السادسة) ، (بغداد : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) ، شعر المثقب العبدي .

٤٦ــ نفائس المخطوطات (المجموعة السابعة) ، (بغداد : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) ، وهي مطارحات فلسفية بين نصير الدين الطوسي ونجم الدين الكاتبي ، وتشمل على :

أ ــ رسالة في إثبات واجب الوجود ، للكاتبي .

ب ــ التعليقات على رسالة الكاتبي ، للطوسي .

ج ــ مناقشات الكاتبي لتعليقات الطوسي .

د ــ رد الطوسي على مناقشات الكاتبي .

هـ ــ الاعتراف بالحق بقلم الكاتبي .

٤٧ــ وقعة الجمل ، لمحمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري رواية الصولي ، (بغداد : ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .

وشاء الله تعالى أن يكون المرض ملازما للشيخ محمد آل ياسين في أيامه الأخيرة ، حتى توفي في داره في الكاظمية المقدسة في الساعة (٨،٢١) قبيل غروب يوم السبت ٢٦/ جمادي الآخرة سنة ١٤٢٧هـ الموافق ١٥/ تموز/ ٢٠٠٦م ، وقد أرخ وفاته (الأستاذ عبد الكريم الدباغ) :

من آل ياسين فقدنا الحسن نادرة العصر فريدة الزمن

الحسن الزكي أرخ قصى إمامنا الحسين بعد الحسن

وقد وضع (الدكتور جمال الدباغ) بعد أربعين يوما على رحيل العلامة ملخصا لسيرته ونتاجه الفكري ومصادر الدراسة عنه ، وأدناه أهم مصادر الدراسة عن العلامة المحقق مرتبة زمنيا على ما جاء في ورقة (الدكتور الدباغ) :

١ــ كاظم آل نوح ، ديوانه (الشيخ كاظم آل نوح خطيب الكاظمية) ، (بغداد : ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) ، ج١ ، ج٣ .

٢ــ علي الخاقاني ، شعراء الغري ، (النجف الأشرف : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) ، ج٧ .

٣ــ جعفر آل محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها ، (النجف الاشرف : ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) ، ج٣ .

٤ــ محسن الأمين العاملي ، أعيان الشيعة ، (بيروت : ١٣٨١هـ / ١٩٦١م) ، ج٥٢ .

٥ــ محمد هادي الأميني ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ، ط١ ، (النجف الأشرف : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٤م) .

٦ــ فرج عمران القطيفي ، الأزهار الارجية في الآثار الفرجية ، (النجف الأشرف : ١٣٨٤هـ/١٣٩٦م) ، ج٦، ج٧، ج١٢، ج١٣، ج١٤، ج١٥ .

٧ــ سعدون الريس ، الأدباء العراقيون المعاصرون وإنتاجهم ، (بغداد : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

٨ــ الشيخ محمد هادي الأميني ، معجم المطبوعات النجفية ، (النجف الأشرف : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) .

٩ـ كوركيس عواد ، معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ، (بغداد : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ، ج٣ .

١٠ـ محمد مفيد آل ياسين ، المطبوع من مؤلفات الكاظميين بين ١٨٧٠ـ ١٩٧٠م (بغداد : ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .

١١ـ عباس علي ، فلسطين في الشعر الكاظمي المعاصر ، (بغداد : ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) .

١٢ـ جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم الكاظمين ، (بيروت : ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ، ج٣ .

١٣ـ ديوان راضي مهدي السعيد ، مرايا الزمن المنكسر ، (بغداد : ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) .

١٤ـ طارق الخالصي ، مكتبات الكاظمية العامة والخاصة ، (بغداد : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .

١٥ـ المكتبة الوطنية ، النتاج الفكري العراقي لعام ١٩٧٥م ، (بغداد : ١٣٧٩هـ / ١٩٧٧م) .

١٦ـ عبد الجبار عبد الرحمن ، فهرست المطبوعات العراقية ، (بغداد : ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، ج١ .

١٧ـ طارق الخالصي ، الشيخ محمد حسن آل ياسين ، حياته وآثاره ، السفر الأول ، (بيروت : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ، السفر الثاني ، (بغداد : ١٤١١هـ / ١٩٩١م) .

١٨ـ حميد المطبعي ، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ، ج١ ، (بغداد : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ج١ .

١٩ـ أثير محمد آل ياسين ، مؤلفات آل ياسين ، (بغداد : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) .

٢٠ـ صباح ياسين ، المجمعيون في العراق ١٩٤٧ـــ ١٩٩٧م ، (بغـداد : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .
٢١ـ بتول ناجي الجنابي ، الشيخ محمد حسن آل ياسين وجهوده في اللغـة والتحقيق (رسالة ماجستير) ، (بغداد : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .
٢٢ـ الدكتور جمال الدباغ ، الشيخ محمد حسن آل ياسين (أربعون يوماً على رحيله) ، (بغداد : ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م) .
٢٣ـ الأستاذ عبد الكريم الدباغ ، الشي خ محمد حسن آل ياسـين (الـذكرى السنوية الأولى لرحيله) ، (بغداد : ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) .
٢٤ـ جواد مطر الموسوي ، العلامة المحققة محمد حسن آل ياسين (رحمـه الله) ، (تقريضه) ، مجلة (الآداب) العدد (٧٩) ، (بغداد : كلية الآداب ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) .
٢٥ـ جواد مطر الموسوي ، العلامة المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسـين (رحمه الله) آخر ومضة ، (تقريضه) ، مجلة (مقابسات) العـدد (٤) ، (بغداد : الكاظمية المقدسة ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) .

الشيخ علي الخاقاني
سيرته-آثاره المطبوعة والمخطوطة

الأستاذ بديع الشيخ علي الخاقاني

المقدمة:

الشيخ علي الخاقاني علم من الأعلام الكبار البارزين في الأوساط الأدبية والثقافية والتراثية في انحاء العالمين العربي والإسلامي وقد أدى خدمات جليلة لا تنكر ولا تجحد طوال حياته في جميع الميادين ولاسيما في مجالات التحقيق والتأليف والنشر والتاريخ والصحافة.

وكان خبيراً في شؤون الطباعة والنشر والخاقاني من جيل المخضرمين الذين تعودوا حمل المسؤولية بشجاعة وصدق وأمانة وإخلاص وتضحية وإنكار للذات ، والمقربون منه يعرفون الصفة التي لازمت الخاقاني هي صفة الإفادة من كل ما يراه ويتوقف عليه ويتصل به، وكان يسجل كل ما يجده نافعاً لأبحاثه ودراساته بتواضع، غير انه كان أحياناً شديداً على خصومه وناقديه. وقد خلف عدداً كبيراً من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة ومن تلك المخطوطات عرض جهوده في جمعها وتحقيقها ونشرها نقدمها للقارئ الكريم وهي ذخيرة من الذخائر التي تفيد المحققين العاملين على نشر المخطوطات.

موجز حياته العلمية:

ولد الشيخ علي الخاقاني في مدينة النجف الأشرف عام ١٣٣٠هـ-١٩٠٩م عاش في كنف جده المجاهد الكبير الشيخ علي الخاقاني صاحب كتاب (الرجال) فكان يعلمه القراءة والكتابة ويتوسم فيه كل ذلك وينظر إلى هذا الطفل عن كثب، وبعد وفاة جده -رحمهُ الله- أخذه أبوه وادخله- (الكتاتيب) أي الدراسات العامة فدرس على يد المرحوم الشيخ عزيز الغريباوي والمرحوم الشيخ محمد حسن المظفر والمرحوم الشيخ عبد الكريم الجزائري الخ. وبعد ما جاوز الثامنة من عمره اخذ يعتمد على نفسه ويذهب إلى بعض مكتبات البيوتات في مدينة النجف المعروفة آنذاك مثل أل الجزائري وال الصافي وال كاشف الغطاء وإلى غيرهم فأخذ بأستنساخ المخطوطات بشتى أنواعها وفنونها وبعدما يفرغ منها أي المخطوطة يرجعها إلى مكانها، وبعد مرور سنة استنسخ أكثر من ثلاثين مخطوطة بين كتاب وكتيب وبعض منها لا يزال موجوداً في مكتبة الاسرة، وبعدما اكمل السابعة عشرة من عمره قام بنشر كتابين بالتعاون مع المرحومة والدته إذ كانت هذه المرأة تقرأ وتكتب وتعتبر عالمة فاضلة كبيرة في زمانها وبين قريناتها الكتاب الأول انقاذ البشر، والثاني استقصاء النظر في القضاء والقدر. واول كتاب قام بتأليفه (ثمرة العارفين في العلماء الربانيين)، ثم فكر بعمل موسوعة أسماها ((معجم وفيات القرون الهجرية)) جاوزت (١٤) مجلداً، كما قام بتأليف موسوعة أخرى اسماها ((الأدب المنسي)) جاوزت (١٠) مجلدات

من القطع الصغير. وبعد ما بلغ الثلاثين عاماً من عمره استنسخ اكثر من مائتي مخطوطة بين كتيب وكتاب كما قام بتحقيق الغالبية منها. ثم بدأ بفهرسة المخطوطات الموجودة في المكتبات الخاصة والعامة في العراق ليقطع الطريق على الذين يقومون بسرقتها أو ابتياعها، وبالفعل نجح في هذا المضمار وقام بجمع هذه المخطوطات المار ذكرها فجاوز الكتاب أي الموسوعة (١٠) مجلدات والموسوعة اسماها ((دليل الآثار المخطوطة في العراق)) فنشر بعض منها في مجلة المجمع العلمي العراقي ومجلة الأقلام في سنتها الأولى وبعض منها في مجلة الاعتدال النجفية لصاحبها المرحوم محمد علي البلاغي ومجلة الغري النجفية لصاحبها المرحوم شيخ العراقيين الخ. وسوف نتطرق في بحثنا هذا إلى أهم الموسوعات التي قام الخاقاني بتأليفها وكذلك الكتب والدواوين التي قام بتحقيقها مصنفة على الحروف الهجائية.

٢ـ رحلاته:

قام بجولات في عدد من الأقطار العربية والإسلامية المجاورة، فزار ايران مرتين عام ١٩٤٥ وفيها تجول في جنوبها، والثانية عام ١٩٥٦ وفيها زار كرمنشاه وهمدان وملاير ويروجورد واراك وقم وطهران ومدن أخرى، استفاد خلال تجواله فيها من مكتباتها الآثارية ومعالمها التاريخية، فدخل اكثر مكتباتها الخاصة الكبيرة والمهمة وهي تضم الاف المخطوطات التي لا تقدر بثمن، حيث فهرس بعض الكتب المهمة فيها.

كما زار سوريا فدخل دمشق وحمص وحماه وحلب والسلمية وتجول في لبنان الشمالي ومكث في بيروت والتقى بمجموعة من الرجال الكبار في علومهم ومعارفهم، ثم زار فلسطين فالتقى العلماء والادباءوالشعراء ، كما اطلع على بعض المكتبات الموجودة هناك، قسم من هذه المكتبات يحتوي على مخطوطات في شتى العلوم والفنون المعرفية وهي مهمة جداً، كما زار تركيا وتجول في أهم مدنها فدخل الاسكندرونة واطنة وطرطوس وانقرة واستانبول وجزرها السبع ذات البهجة والجمال وفيها مكث طويلاً منقباً في مكتباتها وآثارها ومتطلعاً إلى حضارتها الإسلامية ومخلفات آل عثمان، وشاهد في المتاحف صوراً مدهشة وجدها في باقي الممالك الأخرى.

كما زار الخليج العربي عام ١٩٥١ فدخل أهم الجزر فيها، البحرين مكث فيها شهرين (يقول) وقفت خلالها على بعض المخطوطات التي أخذها بعض الرحالة عندما كانوا يدرسون في مدينة النجف الأشرف كما التقى أمراءها و زار الكويت والتقى أمراءها، ودوّنَ رحلاته في كتاب اسماه (جولة في الأقطار الإسلامية) لا يزال مخطوطاً.

الشيخ علي الخاقاني في الشام والقاهرة حسب ما جاء بروايته:

قال الشيخ الخاقاني دخلت في ١٩٦٣/٩/١٤ ورأساً قصدت المجمع العلمي العربي والتقيت أمين سره العلامة الأمير جعفر الحسيني حيث استقبلني على عادته المعروفة التي تفيض دماثة وخلقاً كريماً، ورأيت في مجلسه أعلاماً منهم الشيخ عز الدين التنوخي والشيخ بهجة البيطار

والأستاذ احمد الجندي الشاعر ورأيت الأخ الكريم احمد حامد الصراف وهو مشغول بالمقارنة بين الأدب الفارسي والعربي والحديث طويل، بعدها طلبت من الأمير زيارة مكتبة (الظاهرية) الحافلة بالمخطوطات الكبيرة والكثيرة وهي تشتمل على كل صنوف العلم والمعرفة وهي نادرة جداً، وفعلاً استجاب الأمير طلبي مشكوراً وهيأ لي غرفة خاصة في المكتبة بكل مستلزماتها ووضع معي مساعدين، وقال لي شيخ يا أبا بيان كان يسكن هذه الغرفة قبلكم المؤرخ الكبير المرحوم (ابن خلكان). ومكثت مدة ليست بالقصيرة واستفدت من المكتبة المار ذكرها كثيراً في تكملة موسوعاتي ما كان في حقل التأليف والتحقيق، بعدها شكرت اعضاء المجمع المحترمين ما قدموه لي من خدمات جليلة ومعاونة كبيرة وحفاوة وتكريم، وطلبت من الجميع زيارة العراق وسوف اقوم بالواجب تجاههم الذي تفرضه علينا الأمانة العلمية والوقائع الفكرية، ثم فوجئت بطلب من الأمير الحسيني يعرض فكرة وهي ان تكون مكتبتكم العامرة (دار البيان) في بغداد وكيلة عن توزيع منشورات المجمع المذكور وهي لا تعطي إلا للمثقفين والمفكرين. بعدها قبلت المقترح وأبرمَ العقد بيننا نجحنا والحمد لله في مهمتنا ولحد الآن.

وأهم مكان قصده هو دار الكتب المصرية كما يحدثنا وقد شاهدت الأستاذ الباحث فؤاد سيد، المعروف في الأوساط العلمية بمعرفته للمخطوطات وفهرستها، وهو كباقي الأعلام، دمث الأخلاق، رقيق الروح، ذكي الفؤاد، وهو يشرف على قسم المخطوطات في هذه الدار

يبلغ عنده كما ذكرها لي (ثمانين الف مخطوطة)، استطاع المخلصون من المشرفين على هذه الدار جمعها وحفظها، فقد تفضل فأراني خزائنها وقد يسر لي أن أسهر متواصلاً من الصديق فؤاد والشجاعة في هذا العمل المثمر فقد سعد بجلوسه مع تلك الأرواح الطاهرة التي نذرت نفسها لخدمة العلم والمال، وهناك قاعة بهيجة لعرض المخطوطات وتبدأ كما اتصور من القرن الثاني إلى ما بعد الالف، وقد تميزت بميزات جليلة من حيث الخط والزخرف والتجليد، كما علقت على الجدران الواح فنية ممتازة تضمنت بعض الآيات والكلمات المأثورة، ودار الكتب في مجموعها تحفة عالمية نادرة لما حوت في بطنها من كتب قيمة واعلام محترمين.

مؤلفاته:

قال الشيخ الخاقاني ولعي بالتأليف قصة يطول شرحها وربما يستنتجها القارئ من فحوى احاديثي الكثيرة، وخلاصتها اني نشأت ولي شغف عجيب بالتدوين وربما كنت لا ادرك شرف الغاية منه بقدر ما انا مندفع إلى التحلي به والممارسة له، واتذكر جيداً اني كنت اقرأ الاجرومية وعمري لم يتجاوز العاشرة احمل دفتراً ابيض، ولعله موجود عندي إلى اليوم، ومحبرة وقلماً من القصب ادخل كل غرفة من غرف الصحن، أي المقابر، وأشاهد الصخرات التي فيها ومعظمها يشير إلى اسماء العلماء والادباء فأقرأ ما رسم عليها واكتبه، فكان اشبه بدفتر البقال في تجانس كلماته وتصفيف سطوره، وهكذا بقيت مستمراً حتى

سجلت كل ما هو مكتوب على الصخور داخل الغرف وخارجها في جميع الصحن العلوي، في حين ان لداتي يلعبون ويأنس بعضهم ببعض وانا مشغول عنهم بهذه الرغبة التي شقيت من اجلها اليوم .

اما جمعي للكتب فلم اكد اتصور طريقته غير اني كنت اتلقى البيزة والآنة-العملة الهندية- بعد لأي جهد من امي وابي واجمعها لاشتري كتاباً، وان وارد الشهر كان لا يساوي ثمن كتاب اعلام الناس او قصة مريم الزنارية، وهذه احجام صغيرة لا تتغلب على اشغال مساحات الرفوف القديمة ذات الطول والعرض في غرفنا، فصرت احرص على اشغالها واطوف مع بعض اخواني الناشئين على بيوت مراجع الدين للحصول على الرسائل العلمية التي كانت بمثابة الاعلانات لهم غير ان هذا الدافع نبه مني حاسة قوية لتوليد المال فرأيت ان اقوم بنسخ بعض الكتب المخطوطة، وبالنظر لجمال خطي وسرعته فقد نجحت في هذه المرحلة ونسخت كثيرا من الكتب التي بسببها اشتريت كثيراً من المطبوعات القيمة بأثمان زهيدة، وما ان احسست بالقابلية البسيطة حتى غامرت في البحث وماشيت مجموعة من شباب الفرس وأفضالهم وبعد ان نبه شخصي عندهم قبلني مجموعة من مشايخهم، وهكذا تمكنت من استعارة كثير من المخطوطات النادرة عندهم ونسختها، وإذ ذاك صرت اواصل التأليف أولاً على الطريقة التقليدية مع إدخال بعض التلطيف الذي استفدناه من مطبوعات مصر وتطورها، والحق ان الدور الذي صرت اعلن فيه التأليف بين اخواني كان المعظم

منهم لم يجرأ على الدخول في حضيرته أو الادعاء له، غير اني كنت اشاهد الغمز واللمز يحوطني والسخرية تلاحقني، ورأيت ان اصمد امام هذا النفر الذي تعرى عن الخلق الدمث والنفس الطاهرة والتربية الفاضلة، متشدقا بالاباء والالقاب الفارغة والعظامية الهزيلة، ورحت اتحسس ان القوم منتشون بالنصر الكاذب وعما قريب سيصحون، ويعرفون انهم المتأخرون الخائبون، ضاعفت هذه المشاهدات من احاسيس واندفعت ارسم الخطة التي قد تكون خطوطها الأولى لها كل المساس في وفرة إنتاجي الأخير.

واول كتاب قمت بتأليفه بصورة هزيلة من ركة الأسلوب وتفكك الجمل هو كتابي (ثمرة العارفين في سيرة العلماء الربانيين) وهو الذي لا يزال ماثلا امامي وفي الصف الأول من مؤلفاتي اعتز به اكثر من أي كتاب مهم كوني فرغت منه عام ١٣٤٧هـ ويقع في ٣٥٦ صفحة بخط جميل.

٢- ابطال القرون الهجرية، يقع في ثلاثة اجزاء ضخام ابتدأت به عام ١٣٤٧هـ وانتهيت منه عام ١٣٥٠ اشتمل على مشاهير الرجال في القرون الإسلامية الأربعة عشر، رتبته على ابواب وفصول واقسام ادرجت ضمن كل واحد منها مشاهير كل فن من الفنون كالملوك والأمراء والأدباء والفقهاء والشعراء والمفسرين واللغويين والنحاة والفلاسفة والمتصوفة والمغنين.

مؤلفاته المطبوعة:

١. شعراء بغداد- حقق منه عشرة اجزاء للآن، وتقف في الجزء الأول منه على تاريخ بغداد وحوادثه وفي الباقي منها حياة الشعر والشعراء بوضوح، رتبه على حروف المعجم. الجزء الأول بغداد- مطبعة اسعد عام ١٩٦٢م. الجزء الثاني -بغداد- مطبعة اسعد عام ١٩٦٢م.

٢. شعراء الحلة أو (البابليات) خمسة اجزاء الطبعة الأولى الجزء الأول -النجف مطبعة الحيدرية- عام ١٩٥٢م. الجزء الثاني- النجف -مطبعة الحيدرية- عام ١٩٥٢م. الجزء الثالث - النجف مطبعة الحيدرية- عام ١٩٥٢م الجزء الرابع - النجف- مطبعة الحيدرية- عام ١٩٥٣م. الجزء الخامس- النجف- مطبعة الحيدرية- عام ١٩٥٣.

٣. شعراء الحلة أو (البابليات) ثلاثة اجزاء الطبعة الثانية بيروت- دار الاندلس - عام ١٩٧٠م الجزء الثاني -بيروت- مطبعة ميمنة- عام ١٩٧٥م. الجزء الثالث- بيروت- مطبعة ميمنة عام ١٩٧٥م.

٤. شعراء الغري أو (النجفيات) يتكون من اثنى عشر مجلداً حقق فيه جهداً كبيراً. الجزء الأول -النجف- مطبعة الحيدرية- عام ١٩٥٣م الجزء الثاني عام ١٩٥٤م الجزء الثالث عام ١٩٥٤م الجزء الرابع عام ١٩٥٤م الجزء الخامس عام ١٩٥٤م الجزء

السادس عام ١٩٥٤م الجزء السابع عام ١٩٥٥م الجزء الثامن عام ١٩٥٥م الجزء التاسع عام ١٩٥٦م الجزء العاشر عام ١٩٥٦م الجزء الحادي عشر عام ١٩٥٦م الجزء الثاني عشر عام ١٩٥٦م.

٥. تاريخ الصحافة النجفية- بغداد- مطبعة اسعد-١٩٦٩.

٦. حياة الشريف الرضي- عبد الحسين الحلي- بغداد-١٩٦٧.

٧. شاعر الشعب- محمد صالح بحر العلوم -بغداد- مطبعة الزهراء- ١٩٥٨.

٨. مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة الجزء الأول ١٩٦٦ الجزء الثاني-١٩٦٧ المجمع العلمي العراقي.

٩. فنون الأدب الشعبي- بحث فيه عن الأدب الدارج في جنوب العراق مع عرض مبسط لأنواعه وتعداد اعلامه واروع ما قيل في كل فن منه، واهم المواضيع سعة وعناية هما الموال والأبوذية وقد لاحظ في الأول برزخاً بين الفصيح والدارج، وفي الثاني تصوير لطبيعة ابناء الجنوب وقوة الأحساس فيهم، استقى منه مجموعة من الباحثين يحتوي على ١٢ حلقة.

١٠. مجلة البيان النجفية (اربع سنوات ١٩٤٦-١٩٥١) مطبعة الغري -النجف الأشرف.

مؤلفات المخطوطة:

١. الأدب المنسي: يقع في عشرة أجزاء، سجلت فيه الشعر الذي لم ينشر للشعراء الذي هم غير العراقيين خلال الفترة المظلمة، كمصر واليمن وفارس والأهواز والبحرين، ويحتوي كل جزء منه على ٢٠٠ صفحة (مخطوط).

٢. تاريخ وفيات الرجال أو حوادث السنين- يقع في ١٠ أجزاء وكل جزء يحتوي على ٥٠٠ صفحة – (مخطوط) –النجف ١٣٥٦هـ، يبحث في هذا الكتاب عن الأدباء والشعراء الذين ولدوا وتوفوا مرتب على السنين ووضع دراسات عن كل شخص ترجم له وثبت أشعارهم فيه.

٣. دليل الاثار المخطوطة في العراق ويقع في عشرة أجزاء ضخام رتبته على الأنواع:

التراجم والرجال (٢)التاريخ (٣)الأدب والشعراء(٤) التجويد (٥)الحكمة والكلام (٦)المنطق (٧)الحديث الاخبار (٨)الانساب (٩)الرياضيات (١٠)الهيئة والفلك (١١)الهندسة (١٢)الطب (١٣)الجغرافية (١٤)النحو والصرف (١٥) علوم البلاغة (١٦)الدلائل والمسائل (١٧)المراسلات والمناظرات (١٨) تاريخ الأديان ١٩)الأدعية (١٠)الكتب المقدسة (٢١)الفقه الإسلامي (٢٢)اصول الفقه (٢٣) الأخلاق (٢٤)النقود والردود (٢٥)التنوعات (٢٦)التفسير (٢٧)اللغة.

. صرفت على تأليفه زمنا وجهداً عجيباً وسافرت من اجله إلى سوريا ولبنان وتركيا وايران والبحرين، معرفاً ومشيراً إلى النسخة المخطوطة المتشابهة الموجودة في العراق مع الاشارة إلى اسم المالك والمكان. وقد عرفت فيه نحو ثمانية الالف مخطوطة تعريفاً يجعل القارئ مشاهداً للأثر وقد سبق ان نشرت منه فصولاً كثيرة في مجلتي الاعتدال والغرى النجفيتين.

٤. شعراء البصرة: من الكتب التي كفلت تاريخ الشعر والشعراء في مدينة البصرة منذ تأسيسها حتى اليوم يقع في ١٦ جزءاً ضخام يحتوي كل جزء منه على ٥٠٠ صفحة مع مقدمة أضافية وافية عن تاريخ هذه المدينة التاريخية وبعرض فني مبسط للحوادث التي جرت فيها وخاصة في القرون السبعة الأخيرة، مرتباً على الحروف المعجم، وقد أفرد فيه باباً للأسر التي ساهمت في بناء هذه المدينة البصرية العريقة والمحافظة عليها من الغارات والنهب والغزو. كما افرد باباً للمواقع التاريخية ووصف الأنهر القديمة وأسمائها ومخططات فنية للبصرة القديمة لم تنشر حتى الآن.

٥. شعراء الحسين أو أدب الطف: كفل ذكر المئات من الشعراء مع أروع رثائهم للإمام الحسين السبط، وقد وضعت له مقدمة ضافية عن أسرار نهضته المقدسة، ويقع في أربعة أجزاء ضخام.

٦. شعراء كربلاء أو (الحائريات) يقع في ٥ مجلدات يحتوي كل جزء على ٥٠٠ صفحة كفل البحث عن سير وشعر مجموعة من ادبائهم وشعراء كربلاء المنسيين خلال قرنيين من الزمن، مع مقدمة ضافية وافية في تاريخ كربلاء السياسي والاجتماعي والعلمي وتسجيل أهم ما جرى فيها من الحوادث في القرون الثلاثة، وقد نهج فيه النهج الذي سار عليه في موسوعاته المتقدمة في الاكثار من النصوص الأدبية من شعر ونثر مما تقرب فهم حقيقة الشاعر لدى الغزاة، رتبه على حروف المعجم.

٧. مستدرك شعراء الحلة: يقع في مجلد ضخم ٦٥٠ صفحة استدركت فيه ما فاتني في الأجزاء الخمسة مع تصحيح لبعض الأغلاط التي وقعت من جراء ارتباك النصوص والنساخ في المجاميع المخطوطة التي اعتمدنا عليها.

٨. أدب العراق في القرون المظلمة، وهو أول كتاب عالجت فيه الصور المنسية والشعراء الذين لم يستقروا على سكن مدينة معينة لتصحح نسبتهم اليها، مع ذكر بعض الوقائع التي لها علاقة بالنظم، وحياة بعض الولاة الذين ساهموا في احياء الأدب ومعاونة الأدباء.

٩. الأغاني والمغنيات في بغداد: من عام ١٩٠٩-١٩٧٠ في مجلدين يحتوي الجزء الواحد منه على ٥٠٠ صفحة-مخطوط.

١٠. البنود في الأدب العربي- خلال البحث المتواصل عثر على العشرات البنود الاعلام الأدباء والشعراء كونه سفر ضخم ضم مجموعة من الذهنيات والأساليب الرقيقة الرصينة، فرغ منه عام ١٩٥١ ووضع مقدمة ضافية لقرب من تاريخ ظهور هذا اللون من الأدب العربي، وصور من حياة الشعراء الذين لم يأتِ ذكرهم في موسوعاته من غير العراقيين.

١١. تاريخ البحرين قديماً وحديثاً يقع في جزئين ألفته على أثر زيارتي للبحرين الأمارة العربية عام ١٣٧١هـ، وقد اتيحت لي ظروف طيبة كتبت أكثر فصوله هناك مستعرضاً تاريخها القديم والوقوف على آثارها التاريخية ومواقعها الأثارية مع استحضارهم لأهم صورها والمجالس الانيقة التي دارت مع سمو الشيخ سلمان بن خليفة أمير البحرين ورجال الأسرة مع عرض لسير رجالها الذين ساهموا في خدمة العلم والأدب في التاريخ.

١٢. تاريخ الأسرة المالكة في العراق، ويقع في مجلدين الأول في تاريخها العريق المشرق والثاني في الشعر والشعراء الذين مجدوا هذه الأسرة الحسينية قديماً وحديثاً ويقع في الف صفحة.

١٣. جواد الشبيبي أو أعلام مدرسة النجف -حياته-شعره-نثره، النجف- مخطوط-٤٥٩ صفحة.

١٤. ديوان الشيخ محمد رضا النحوي- يقع في ٥٠٠ صفحة وقد جمعه من مختلف المصادر الأدبية المخطوطة وعانى في ذلك زمناً.

١٥. شعراء الموصل- المدينة التاريخية العريقة ذات التاريخ الحافل بالعروبة والمجد والقوة دراسة شاملة لتاريخها ووصف أهم المواقع التاريخية فيها، وضبط قوي للنصوص التاريخية التي عالجت هذا الموضوع، وتاريخ مبسط للشعر والشعراء، ومرتباً على حروف المعجم، ويقع في ١٠ مجلدات ولكل مجلد يحتوي على ٦٠٠ صفحة خصص الأول منها لتاريخ الموقعة والأسر التي ساهمت في بناء المجد والتاريخ فيها مع عرض مبسط للحوادث التي طرأت عليها، ووصف المعارك التي دارت فيها وفيها خاتمة عالج فيها العادات والتقاليد والمقاييس الاجتماعية والنفسية لأبناء الموصل في القرون الثلاثة الأخيرة، استقناها من أهم الدراسات الاجتماعية والتاريخية مع مخططات اثارية توقف المتتبع على جمال ام الربيعيين وأهمية موقعها الجغرافي.

١٦. شعراء واسط، المدينة التاريخية العريقة ذات التاريخ الحافل بالعروبة والمجد والقوة دراسة شاملة لتاريخها ووصف أهم المواقع التاريخية فيها، وضبط قوي للنصوص التاريخية التي عالجت الموضوع، وتاريخ مبسط للشعر والشعراء، ومرتباً

على حروف المعجم، يقع في ٦ مجلدات وكل مجلد يحتوي على ٦٠٠ صفحة.

١٧. وفيات الرجال أو حوادث السنين، يقع في أربعة عشر جزءاً كبيراً. رتبته على السنين وابتدأت فيه من السنة الأولى للهجرة إلى عام ١٣٦٥هـ، وخصصت كل جزء بقرن ذاكراً فيه كل من عاش ومات وله أثر وصدى في مجتمعه.

١٨. رحلتي إلى الخليج صورت فيها زيارتي للخليج عام ١٣٧١هـ ومشاهداتي للآثار هناك ولاسيما في البحرين والكويت وملاقاتي الأمراء والأعيان فيها.

١٩. طبقات المغنين في عهد أحمد زيدان إلى محمد القبانجي ٤٠٠ صفحة – مخطوط.

٢٠. عقود حياتي وهو الكتاب الذي تقرأ فيه مختلف الصور المدهشة التي توقفك على مقايس الرجال الذين عاصرتهم مع وصف متقن للارتباك الخلقي والنفسي، والتصادم الذي وجدته في حياتي من مختلف ابناء بلدتي، وفيه من الأسرار والوثائق التي سينتفع منها تاريخ الجيل الآتي. وهو خير هدية أقدمها للنوابغ من ابناء النجف في المستقبل حيث يحتوي على أدق الصور وأبشع الظلم والأرهاق الذي لاقاه الأحرار في مجتمعهم.

٢١. الكويت ماضيها وحاضرها: الكتاب الذي صور نهضة الكويت وتقدمها السريع .

٢٢. محمد سعيد الحبوبي: شاعر الوجدان- عصره- حياته- شعره-مخطوط النجف وبغداد--٧٥٠ صفحة.

٢٣. معجم المطبوعات العراقية- النجف في ٥٠٠ صفحة عام ١٣٧٧هـ.

٢٤. موشحات منسية: بحثت فيه تاريخ ظهور الموشحات في الأدب العربي مع اثبات اروع الموشحات التي لم تنشر لمختلف الشعراء، وفيه تقف على الوان من الشعر الرقيق خلال القرون المظلمة.

٢٥. النجف بالأمس واليوم، وهو كتاب صورت فيه تاريخ النجف الفكري والسياسي والاجتماعي بأسلوب يغني عن اللجوء إلى عشرات الكتب وفيه صراحة.

٢٦. وحي البيان، مجموعة مباحث في العلم والدين والسياسة والاجتماع، وهي المقالات التي كتبتها أو نشرتها أو القيتها، وقد نشر معظمها في مجلة الغري والبيان والعراق والاستقلال واليقظة والطريق.

اسماء الكتب والدواوين التي قام الشيخ علي الخاقاني بتحقيقها مصنفة على الحروف الهجائية (المطبوعة).

١. اخبار الحمقى والمغفلين-عبد الرحمن بن الجوزي-بغداد مطبعة البصري عام ١٩٦٤.

٢. استقصاء النظر في القضاء والقدر -العلامة الحلي- النجف١٣٤٥هـ.

٣. إنقاذ البشر-السيد المرتضي-النجف- ١٣٤٥هـ.

٤. ديوان السيد حيدر الحلي-الجزء الأول- النجف- مطبعة الحيدرية- عام ١٩٥١ الجزء الثاني بغداد- مطبعة المعارف- عام ١٩٦٤.

٥. ديوان صالح التميمي- الشيخ صالح بن درويش بن زيني التميمي المتوفي ١٢٦١هـ نشرة عام ١٩٥٧- طبع في النجف- وضع له مقدمة ضافية.

٦. نهاية الأرب في معرفة انساب العرب - القلقشندي- النجف- عام ١٩٥٨.

أسماء الكتب والدواوين التي قام الشيخ علي الخاقاني بتحقيقها مصنفة على الحروف الهجائية (مخطوطة):

١. حديقة الزوراء في سيرة الوزراء- لأبي الخير عبد الرحمن بن عبد الله السوسدي النجف-بغداد -٤٥٠ صفحة-مخطوط.

٢. حوادث البصرة. مرتب على النسين. مؤلف مجهول - عثر عليه وانقذه من يد العدم- مخطوط ١٣٥٠هـ، ٣٠٠ صفحة.

٣. ديوان الذهبي: بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي المتوفي ٦٨٠هـ لا توجد له نسخة عند أحد غيره كتبه مرتين وعلق عليه وكتب مقدمة توضح الأسباب التي جهلت كتب التراجم سيرة هذا الشاعر وتوجد عند الأسرة نسخة الأصل مكتوبة في عصر الشاعر، وكذلك نسختان للمرحوم علي الخاقاني الأولى استنسخها حسب النسخة المذكورة والثانية رتبها على القوافي.

٤. ديوان السيد صادق الفحام المتوفي ١٣٠٥هـ يقع في جزأين الأول في الفصيح والثاني في الركباني، علق عليه ووضع على هوامشه كثيراً من حياة اعلامه. مخطوط ٥٠٠ صفحة - النجف.

٥. ديوان الشيخ عباس الملا علي، جمعته من مختلف المصادر وأهمها مجموعة وجدتها كتبت في عصر الشاعر، وقد أثبت في مدخل الجزء الخامس من هذا الكتاب، والمضحك أن الشيخ محمد علي ابن يعقوب عثر على هذه المادة واتخذ منها ديواناً فطبعه

ولم يشر إليها والذي يزيد في المضحك أنه لم يوفق إلى العثور على مقطوعة واحدة زيادة على ما ورد عندي فحيا الله الأمانة والأمناء، وهنيئاً للوعاظ على هذه السيرة.

٦. ديوان الشيخ عبد الحسين الأعسم، جمعته من مجموعة مصادر مخطوطة مع اثبات روضته في الإمام الحسين. وقد مر ذكره في الجزء ٥ صفحة ٤٢-٨٢ (شعراء الغري).

٧. ديوان الشيخ عبد الحسين محيي الدين، تكونت مادته من جراء بحثي عنه، مر ذكره في الجزء ٥ صفحة ٨٣-١٣٣ (شعراء الغري).

٨. ديوان السيد عبد المطلب الحلي المتوفى عام ١٣٣٩هـ، يقع في ٥٠٠ صفحة جمعته من مختلف المسودات التي وجدتها عند أهله وهو في مختلف المجاميع، وقد عانيت في سبيل توضيح مادته ومقاصده الأمر العسير ترجمة له في كتابي (شعراء الحلة) جزء٣ صفحة ١٩٦-٢٣٤.

٩. ديوان الشيخ محمد علي الأعسم، جمعته من مختلف المصادر مع ترجمته له وافية، وقد مر ذكره مع بعض شعره في جزء١٠ صفحة ٣ (شعراء الغري).

١٠. الأدب في مجاري كلام العرب- لأبي منصور الثعالبي- بغداد- مخطوط- ٤٠٠ صفحة.

١١. عبد الغفار الأخرس- شاعر المجون- مخطوط- بغداد- ٢٥٠ صفحة.

١٢. عبد المطلب الحلي-الشاعر الثوري -مخطوط- بغداد- ٢٥٠ صفحة.

١٣. محمد حسين كبه -الشاعر الاخواني- مخطوط بغداد- ٢٥٠ صفحة.

١٤. محمد سعيد الحبوبي- شاعر الوجدان -مخطوط- بغداد ٢٥٠ صفحة.

١٥. محمد القزويني- شاعر المناسبات- بغداد النجف- مخطوط- ١٥٠ صفحة.

١٦. محمد القزويني- شاعر الفكاهة- مخطوط- بغداد- ٢٥٠ صفحة.

الخاقاني والمخطوطات

يقول الشيخ الخاقاني سبق ان تحدثت عن مجموعة كبيرة من المخطوطات العراقية في مختلف الصحف والمجلات، وواصلت التحدث عنها سنين طويلة كشفت خلالها عن كثير من النوادر والآثار الذي تهم الباحثين حتى تولدت من جراء ذلك كتاب اسميته (دليل الآثار المخطوطة في العراق) يقع في ستة اجزاء كبار استوعبت فيه كثيراً من مخطوطات النجف وبغداد وكربلاء والموصل، وكان اخر المطاف في البصرة خريف عام ١٩٤٢م فقد دعاني المرحوم الشيخ صالح باش أعيان لزيارة

مكتبة الأسرة العامرة وهيأ لي جميع اللوازم التي ساعدتني على استمراري في البحث والتحقيق، فمكثت فيها زمناً قد زاد على الشهرين عرفت ما وقفت عليه من جميع المخطوطات فيها التي تبلغ قرابة ١٥٠٠ مخطوط بين كبير وصغير، وتكون من هذه الدراسة والتعريف فيها كتاب يقع في ٣٢٢ صفحة عانيت في سبيل تصنيفها جهداً نظراً إلى وضعها في المكتبة لم يكن على الطريقة الفنية بل حشرت دون الالتفات إلى النوعية، وهذا الجهد قمت به بعد زمن طويل من تسجيلي وتعريفي لها، موصلاً تتمة (الدليل) الذي وصفته لايقاف المتتبعين والباحثين على ما لم يستطيعوا الوقوف عليه إلا عن هذا الطريق.

وحيث اني شغلت عن مواصلة اكماله بالموسوعات التي بحثت فيها الشعر والشعراء في البلدان العراقية فاخرجت منها إلى عالم الظهور موسوعتين (شعراء الحلة) في خمسة أجزاء و (شعراء الغري) في اثني عشر جزءاً، وواصلت البحث عن شعراء المدن (الأربع الباقية التي انجبت الشعراء كبغداد والموصل والبصرة وكربلاء حيث انجزت الجميع ولله الحمد–كان هذا العمل الخطير مدعاة إلى انصرافي عن اكمال (الدليل) المذكور.

واخيراً أحسن فريق من اصدقائي الأعلام الظن بي فطلبوا مني العودة إليه والاعتناء بنشر قسم منه في الأقل، فلم ار بدا من اجابتي هذا الطلب المحترم، فاخترت تقديم مخطوطات (المكتبة العباسية) الذي لا

أشك في ان معظم اخواني الباحثين لم يقفوا على مفرداتها بالصورة التي قدمتها، وسأواصل القسم الثاني أنْ انشاء الله في العدد الذي يليه.

واقتصرت في تعريف الكتاب على وصفه فقط من دون التوسع في ترجمة صاحبه أو الأشارة إلى كونه مطبوعاً أو غير مطبوع، كما لم اذكر النسخ المخطوطة منه في مكتبات الشرق والغرب نظراً لوجود كتاب خاص بذلك اسميته (مخطوطات عراقية،في مكتبات شرقية وغربية) كما اني التزمت في تعريفي لقياس الكتاب بترك كلمة طول وعرض وسمك، مكتفياً بالتسلسل المذكور، والابتداء بعد ذكر عدد الصفحات والسطور بالرقم الكبير وهو الطول.

قائمة بأسماء المخطوطات التي قام الشيخ الخاقاني باستنساخها وتم طبعها:

١. الافصاح في اثبات امامة امير المؤمنين. للشيخ المفيد-فرغ منه عام ١٣٥٥هـ. نشرته المطبعة الحيدرية في النجف مرتين.

٢. بشارة للمصطفى لشيعة المرتضى-يقع في سبعة عشرة جزءاً. كما يقول الشيخ الخاقاني وقفنا على اربعة أجزاء منها- تأليف عماد الدين محمد بن ابي القاسم بن محمد الطبري الاملي الكحلي المتوفي عام ٥٨٦هـ- فرغ منه عام ١٣٥٣هـ.

٣. ديوان هاشم الكعبي- كتبه على مخطوطة الخطيب الشيخ محمد حسن الدكسن وتقع في ٤٥١ صفحة، نشر منه قسم

الرثاء الخاص بالامام الحسين (عليه السلام) في المطبعة الحيدرية في النجف.

٤. رجال البراقي-تأليف محمد بن خالد بن علي البراقي المتوفي ٢٧٤- رتبته على اصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) وعقد في الخاتمة منه فصلاً عن محضر السقيفة وما دار فيها من شجار وحوار- كتبته بتاريخ ١٣٥٠هـ.

٥. فرق الشيعة -لأبي محمد بن الحسن بن موسى النوبختي المتوفي ٣١٠هـ-نسخته ثلاث مرات وبعد الفراغ من النسخة الثالثة عام ١٣٥٤هـ اهداه 'ليّ ناشره المستشرق الالماني هلموت ريتر مطبوعاً بمطبعة الدولة في استنبول ضمن سلسلة مطبوعاته الإسلامية-علماً ان الشيخ الخاقاني والمستشرق الالماني تجمعهما علاقات وثيقة جداً.

٦. فهرست الطوسي-لأبي جعفر الطوسي-خط فيه اسماء المصنفين وكتبهم في الأصول، فرغ الشيخ الخاقاني من كتابة النسخة الأولى عام ١٣٤٨هـ وهي موجودة في مكتبة دائرة الآثار القديمة ببغداد- اما الثانية فقد استنسخها بتاريخ ١٣٥٠هـ وهي موجودة في مكتبة دائرة الآثار القديمة في بغداد أما الثانية فقد استنسخها بتاريخ ١٣٥٠هـ وهي موجودة ضمن كتب

الشيخ وقد سبق ان طبع في مدينة كلكتا الهندية ثم بعد هذا التاريخ طبع في المطبعة الحيدرية في النجف.

٧. المبسوط-تأليف الشيخ عبد النبي الجزائري المتوفي ١٠٢٠هـ. كما يقول الشيخ الخاقاني ووصفت الكتاب له مقدمة في حياة المؤلف ووضعت الكتاب، وقد وقف عليه الأستاذ كاظم الكتبي فنشره طبقاً للمخطوطة عام ١٣٧٢هـ في النجف.

٨. معالم العلماء-تأليف الحافظ محمد بن علي الشهير بأبي شهراشوب المازندراني المتوفي سنة ٥٨٨هـ نسخه ثلاث مرات، وضعه كدليل على فهرست الشيخ الطوسي فرغ منه عام ١٣٥٢هـ اما النسخة الثالثة فقابها على ثمانية نسخ.

٩. منبع الحياة في جواز تقليد حجة المجتهد في الأموات-للسيد نعمة الجزائري المتوفي عام ١١١٢هـ- نسخه مرتين ومن الصدف عندما فرغ من كتابة النسخة الثانية قامت معركة بين الأخبارين والاصوليين في البصرة عام ١٣٤٨هـ طبع على اثرها ببغداد بمطبعة النجاح.

١٠. وقعة الجمل المسمى بـ(النصرة لسيد العترة في حرب البصرة) تأليف الشيخ المفيد، وهو ابرز كتاب في الإسلام تبسط في وصف هذه الواقعة واثبات نصوصها وما دار بين الفريقين من زجل-فرغ منه عام ١٣٥٥هـ-نشرته المطبعة الحيدرية في النجف مرتين.

١١. رجال الطوسي-تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفي ٤٦٠هـ-مرتب على حروف المعجم-فرغ من كتابته عام ١٣٥٢هـ.

عمله في استنساخ المخطوطات:

وقال الشيخ علي الخاقاني لقد قمت باستنساخ عشرات المخطوطات في مكتبات البيوتات النجفية منها:

أ. والفترة ما بين عام ١٣٤٦هـ إلى ١٣٧٦م واليك ايها القارئ الكريم أهم اسمائها:

١. الابانة عن مذهب اهل العدل، بحجج القرأن والعقل. تأليف الوزير كافي الكفاه اسماعيل بن أبي الحسن عباد الديلمي القزويني الشهير بالصاحب المتوفي ٣٥٨هـ، فرغت من كتابته عام ١٣٥٤هـ.

٢. اجازة محمد الاشعري إلى ابن الإمام الغزالي. مبسطة توقفت على اسماء اعلام الرواة والمحققين. فرغت منها عام ١٣٥٣هـ.

٣. اجازة الوليد الثاني إلى ولده البهائي، فرغت منها عام ١٣٥٣هـ. وفي هذه الأجازة عرض لمختلف الاعلام.

٤. احكام النساء . للشيخ المفيد.

٥. الإشراف -للشيخ المفيد.

٦. اصل زيد الزراد- وفيه تقف على اخذ الحكم من الإمام مباشرة فرغت منه عام ١٣٥٥هـ.

٧. اصل علاء بن رزين- برواية محمد بن مسلم عن الإمام الصادق فرغت منه عام ١٣٥٥هـ.

٨. الاعلام فيما تقف عليه الامامية واختلف عند العامة في الفقه الاسلامي. للشيخ المفيد

٩. ايقاظ الراقدين- مجهول المؤلف تضمن حكماً واخلاقاً وامثال ثائرة مرتين على الحروف المعجمة فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ.

١٠. ايمان ابي طالب – تأليف علي بن حمزة التميمي البصري الكوفي الحنبلي، بحث فيه شخصية ابي طالب والد الامام علي (عليه السلام) مع شواهد من شعره وكلامه وقد قال فيه (وكل زعم ان ابا طالب مات كافراً فهو يبغض ابنه علياً) يوجد بمكتبة مديرية الآثار القديمة ببغداد مع خمسة عشر مخطوطة بعثها على الأب انستاس ماري الكرملي عام ١٣٥٤هـ.

١١. بلغة الرجال-تأليف الرحال المعروف الشيخ سليمان الماحوزي الأوالى المتوفى عام ١١٢٩هـ ضبط فيه اسماء الثقات الرجال فرغت منه ١٣٥٥هـ.

١٢. تتمة المقالات في الفرق بين الفرق-للسيد الشريف المرتضى علم الهدىٔ، يسأل به المفيد وضمها إلى سابقها فرغت منها عام ١٣٥٦هـ.

١٣. ترجمة الإمام أبي حامد الغزالي (مقتطفة من الفصل الثالث الباب الأول من الجزء الثالث من كتاب ابطال القرون الهجرية فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ.

١٤. ترجمة اشهر مشاهير الشرق (القرن السابع)- للعلامة الحلي. فرغت من كتابته عام ١٣٥٣هـ.

١٥. التذكرة للأصول الخمسة-تأليف الوزير الصاحب بن عباد فرغت منه عام ١٣٥٤هـ.

١٦. تشريح الأفلاك-للشيخ البهائي العاملي المتوفي ١٠٣٠هـ.

١٧. تفسير العياشي-وهي القطعة الموجودة في مكتبتي آل الصدر في الكاظمية وكاشف الغطاء في النجف الأشرف.

١٨. الكلمة في علم المنطق-كتاب صغير الحجم تجاوز ١٥٠ صفحة بقطع المربع نسخته مرتين.

١٩. جامع الأحاديث-تأليف أبي محمد جعفر بن أبي احمد بن علي نزيل الرى، رتبته على الحروف، فرغت منه عام ١٣٥٥هـ.

٢٠. الحجج القوية في اثبات الوصية- مجهول المؤلف وهو من رجال القرن السابع الهجري، نسخته مرتين الأولى موجودة في مكتبة الآثار والثانية سرقها مني عالم معروف معاصر.

٢١. حياة الشاه عبد العظيم الحسني- وزير الصاحب بن عباد فرغت منه عام ١٣٥٤هـ.

٢٢. ديوان حجي- للشيخ صالح بن مهدي بن الشيخ صالح حجي الكبير المتوفي ١٣٤٤هـ كتبته عام ١٣٦٢هـ على نسخة الشاعر وترجمت له في كتابي شعراء الغري الجزء الرابع صفحة ٢٧٧-٢٩٦.

٢٣. ديوان الشيخ حسن نجف-المتوفي ١٢٥١هـ، كتبته على نسخة الأصل الموجودة عند الشيخ موسى نجف، ولا ادري بعد وفاته موجودة أم لا.

٢٤. ديوان الحميري: اسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميري المتوفي ١٧٣هـ يقع في ٤٠٥ صفحة جمعته عام ١٣٥٣هـ. وكتبت مقدمة إضافية عن حياة الحميري ومن كتب عنه، رتبته على حروف المعجم، وشرحت مقاصده.

٢٥. ديوان السيد عباس شبر قاضي البصرة-نشرت اكثره في مجلتي (البيان) فرغت من كتابته عام ١٣٦٢هـ.

٢٦. رجال الغضائري-قسم الضعفاء تأليف ابي الحسين احمد بن علي بن الحسين بن عبد الله الغضائري المتوفي ٤١١هـ فرغت من كتابته عام ١٣٥٣هـ.

٢٧. رسائل الهمداني-ميزا محمد بن عبد الوهاب بن داود الهمداني الكاظمي، كتبتها على نسخة الأستاذ صادق كمونة بخط الهمداني نفسه.

٢٨. رسالة أبي غالب الزراري: احمد بن محمد بن أبي طاهر بن سليمان، أوصى بها إلى حفيده محمد بن عبد الله بن أبي غالب احمد، فرغت من كتابتها ١٣٥٣هـ، وهي رسالة جليلة تشرح سيرة اهالي القرن الثالث للهجرة وشيئاً من تاريخ الكوفة وعدد من كتب آل ابي غالب.

٢٩. رسالة في علم الحساب-الخواجة نصير الدين الطوسي فرغت من كتابته ١٣٥٣هـ.

٣٠. إلزام النواصب بإمامة علي بن أبي طالب-ينسب للشيخ مفلح الصيمري وقد طبع قديماً على الحجر بايران وفقد.

٣١. شرح خطبة الشقشقية للإمام علي - مجهول المؤلف كتبته على نسخة نادرة جاء بها الشيخ محمد جواد الجزائري من فلاحية الأحواز من كتب آل المشعشع، وبعد الفراغ منه استعاره بعض الأعلام ولم يرجعه رغم المطالبة فاضطررت إلى نسخه مرة ثانية.

٣٢. شرح عقائد الصدوق: للشيخ المفيد- فرغت منه عام ١٣٥٦هـ.

٣٣. صحيفة الإمام الرضا- تأليف ابي القاسم عبد الله بن احمد ابن عامر الطائي، فرغت منها عام ١٣٥٣هـ، وقد اختلف في نسبتها لعبد الله أو لأبيه احمد، والذي يظهر ان الكتاب لأبيه والراوي هو.

٣٤. عقود الاعداد- تأليف السيد احمد اليمني وضع فيه طريقة جديدة بالنسبة لعصره، القرن الثاني عشر، وهو من النوادر.

٣٥. علم التجويد: كتاب مجهول المؤلف، بحث فيه اصول القراءات وطريقة الترجيح في الصوت، فرغت منه عام ١٣٥٣هـ، وبضمنه مثلثات، قطرب النحوي.

٣٦. الفرق والتواريخ- ينسب للإمام الغزالي محمد بن محمد وقد كتب على نسخة الأصل منه، غير أن الصحيح وما جاء فيه يعرب عن أنه ليس للغزالي فقد نقل حوادث تتأخر عن وفاته بسبعين سنة، وانما هو لرجل يماني اسمه محمد بن محمد ويعرف بالغزالي، تبسيط في ذكر الفرق وعقائدها ولاسيما في الإسماعيلية فقد استوعب ذكرهم ثلث الكتاب، وفيه حوادث وعرض للوقائع ومنها وقعه القرامطة ووصف غاراتهم على البصرة والعراق. وكانت نسخة الأصل المخطوطة في القرن السابع بحيازة الإمام أبي الحسن الاصفهاني وقد نسخ عليها صاحب الحصون على الأخيرة رسمنها مخطوطاته، غير أن نسخة الأصل باعها بعد موت ولده حسين الأصغر ضمن كتب والده علي شاه ايران محمد رضا بهلوى والشاه بدوره وضعها في مكتبة خراسان وقد وقفت عليها وقابلت مخطوطاتي عند زيارتي لخراسان عام ١٣٥٧هـ وأخيراً أخذت عليها صورة فوتوغرافية. تقع في ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط.

٣٧. فهرست القمي- منتجب الدين- في الرجال، وضعه كذيل على معالم العلماء لأبن شهراشوب.

٣٨.في الرد على من جوز السهو على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تأليف الشيخ المفيد.

٣٩.في الرد على من يقول أن شهر رمضان لا ينقص أبداً- للشيخ المفيد.

٤٠.كتاب ابي سعيد عباد العصفري، في الأصول الإسلامية برواية موسى بن هارون التلعكبري فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ.

٤١.كتاب جعفر بن محمد بن شريح الحضرمي، بروايته في حميد ابن شعيب السبعي، وعبد الله بن طلحة الهندي، وابي المصباح الكناني، وزريح بن يزيد المحاربي، والجميع برواية ابي محمد هارون بن موسى التلعكبرى، فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ.

٤٢.كتاب حسين بن عثمان بن شريك- بروايته عن الأمام الصادق، وهو في الأصول الأربعمائة، فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ.

٤٣.كتاب خلاد السندي- في الأصول الإسلامية التي رجع اليها الرواة كافة فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ .

٤٤.كتاب زيد النرسي برواية هارون التلعكبري وهو من الأصول الاسلامية التي وجهت رجال الحديث ووافقناهم على صحاح الأخبار وصادقي الرواية. فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ.

٤٥.كتاب سلام بن ابي عميرة أيضاً من الأصول الأربعمائة فرغت منه عام ١٣٥٥هـ.

٤٦.كتاب عاصم بن حميد الحفاظ، برواية أبي القاسم حميد بن زيادة ابن هوار. وهو في الأصول الأربعمائة فرغت منه عام ١٣٥٥هـ.

٤٧.كتاب عبد الله بن يحيى الكاهلي. في الأصول الإسلامية فرغت منه عام ١٣٥٥هـ.

٤٨. كتاب عبد الملك بن حكيم- أحد مراجع رجال الحديث فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ .

٤٩. كتاب المثنى بن الوليد الحناط- ايضا في الأصول المهمة فرغت ن كتابته عام ١٣٥٥هـ.

٥٠. كتاب في الأشياء- فرغت من كتابته ١٣٥٦هـ.

٥١. كتاب في الجغرافية- فرغت من كتابته ١٣٥٦هـ.

٥٢. مجموع أدبي، سجلت فيه طائفة الاعلام الشعراء مع تراجمهم ونوادر شعرهم، من المتقدمين والمتأخرين، فرغت منه عام ١٣٤٦هـ.

٥٣. مجموع فيه ترجمة نصير الدين الطوسي (الخواجة) فرغت من كتابته عام ١٣٥٣هـ

٥٤. مجموعة خطية كبيرة فيها طائفة من تراجم العلماء والشعراء ومن نوادر الشعر الغير مطبوع للمتاخرين والمتقدمين، فرغت من كتابته عام ١٣٥٦هـ.

٥٥. كتاب محمد بن مثنى الحضرمي في الأصول الأربعمئة فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ

٥٦. متشابه القرآن- للحفاظ ابن شهراشوب المازندراني يقع في جزئين من ضخمين وضعته على الطريقة التي طبعوه عليها أخيرا في ايران واعترافا بما جناه من ثمر أهدى الناشر إليّ نسخته موقعة بالاعتراف.

٥٧. مختصر سيرة الأمين والمأمون- تأليف محمد بن محمد بن محمد اليعمري المعروف بسيد الناس.

٥٨. المسألة الكافية في توبة الخاطية – للشيخ المفيد وهو مفقود عثرنا على قطعة كبيرة منه تتمه للكتاب السابق.

٥٩. المسائل العكبرية- للشيخ المفيد- أجاب بها الحاجب على أسئلة بعث بها اليه في عكبرة وفيها امور كلامية جدلية مهمة.

٦٠. المسائل المهنائيات- وهي التي سال بها المهنى بن سنان بن عبد الوهاب أستاذه جمال الدين أبي منصور الحسن بن

يوسف بن علي ابن المطهر المعروف بالعلامة الحلى المتوفي سنة ٧٢٨هـ. فرغ من الاجابة عنها سنة ٧٠٧هـ، وفي ضمنها أسئلة لولده فخر المحققين وأجوبتها، وفرغت من كتابته عام ١٣٥٤هـ. على نسخة مخطوطة في عصر العلامة المذكور يملكها السيد محمد باقر حفيد السيد كاظم اليزدى وقد باعها في حينها بالقاهرة.

٦١. المسائل للميافارقيات. للشريف المرتضي. أجاب عن اسئلة وردت اليه في ميافارقين وهي تخص الدين والتشريع.

٦٢. مصادفة الأخوان- تأليف الشيخ السعدون محمد بن علي بن موسى ابن بايويه القمى المتوفي ٣٨١هـ في الاخلاق والتوجيه النفسي، فرغت من كتابته ١٣٥٣هـ.

٦٣. معرفة المهر- للشيخ المفيد.

٦٤. مغالطة الجذر الأصم: للمحقق ملا جلال الدواني المتوفي عام ٩٠٧هـ على قاعدة قال: كل كلامي كاذب فهو اخبار هذا صادق فيه أم كاذب. نادر الوجود، فرغت من كتابته عام ١٣٥٥هـ.

٦٥. المقالات في الفرق بين الفرق: تأليف محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد البغدادي المتوفي ٤١٣هـ، وهو كتاب جليل يصور تقدم الرأي عند المؤلف،

غير أن للعقيدة أثرا كلي في هذه الأراء، فرغت منه عام ١٣٥٦هـ.

٦٦. المقدمة في الأصول: للشريف المرتضى، فرغت منه عام ١٣٥٤هـ.

٦٧. المقنع- تأليف علي بن الحسين الشريف المرتضى المتوفي عام ٤٣٦هـ، فرغت من كتابته عام ١٣٥١هـ بحث فيه الأمامه في ضوء العقل والنقل، صنعه للوزير المغربي الحسين المتوفي ٤١٨هـ.

٦٨. منظومة الشيخ محمد الحر العاملي المتوفى ١١٦٢هـ في النبي (ص) والائمة الأثنى عشر (عليهم السلام) في أكثر من ألفي بيت فرغت منها عام ١٣٤٩هـ.

٦٩. منظومة في علم الشطرنج لناظمها الشاعر السيد مهدي ابو الطابو البغدادي المتوفى عام ١٣٢٩هـ، وقد نشرتها ضمن من ترجمت له في الجزء الثاني عشر من كتابي شعراء الغري.

٧٠. منظومة في المواريث للحرا العاملي- وفيها أجاد في النصوص الشرعية الصنعاني اليماني المتوفي عام ١١٢٩هـ يقع في مجلدين كتب الأول منه عام ١٣٥٦هـ مع تعليقات وضعه عليه، أما الثاني فليح لي الظرف فرصة حيث قمت مشاكل زراعية لوالدي استمرت أربع سنوات ففقدت أكثر

زمانها، ورتبته على حروف المعجم، أبتدا في الأول من الهمزة الى أخر الضاد المعجم.

٧١. نوادر الأثر علي خير البشر تاليف ابي جعفر بن خولويه القمى نسخته مرتين عام ١٣٥٣هـ. نوادر علب بن اسباط، وهو في الأصول الاربعمائة نور العيد في تلخيص سيرة الأمين والمأمون- عن تلخيصه الحافظ فتح الدين بن محمد اليعمري- فرغت من كتابته ١٣٥٣هـ وقعه الجمل المسمى بـ(النصرة لسيد العترة في حرب البصرة) تأليف الشيخ المفيد، وهو ابرز كتاب في الاسلام تبسط في وصف هذه الواقعة وأثبت نصوصها وما دار بين الفريقين في رجل ورجز وفرغت منه عام ١٣٥٥هـ، نشرته المطبعة الحيدرية في النجف مرتين.

الخاقاني في نظر الأدباء والمحققين:

بعد الانتهاء من عرض المخطوطات ندرج أدناه أقوال بعض الأساتذة الكيار عن الشيخ علي الخاقاني وجهوده في دراسة المخطوطات ونشرها استكمالاً لتلك الجهود والصبر والمجاهدة في هذا الاختصاص العلمي منهم:

كوركيس عواد عن الشيخ الخاقاني:

منذ ان حل القضاء في هذه البلاد على أيدي التتر. وافل نجم نهضتها العلمية والادبية والاجتماعية بعد ان تألق وضاء في سماء العالم أجيالا طوالا. يهدي التائه، ويرشد القاصد ويضيء غدا في الجهل وهو على اشد ما يكون عليه من الطاقة والقدرة، تبعثرت آثار تلك النهضة الجبارة ورقدت اسفارها الجليلة ومؤلفاتها العظيمة في الاقبية والزوايا، حتى مر الدهر بيده القاسية عليها أو كاد.

ولكن حينما انبثق نور النهضة الحديثة في فجر هذه الدولة الفتية، وتطلعت نفوس ابناء الجيل الجديد مفتشة باحثة عن زاد ثقافي تقيم اودها، ومورد صافٍ يروي ظمأها، اتجهت لتلك الأثار، وعرفت ما حوتهُ من غزير المعرفة والحكمة، وتلهفت لبعثها مرة أخرى من مراقدها ونشرها للمجتمع ليعرف حقيقتها ويتزود من مادتها. غير انها صدمت ويا للأسف بمن يمتلكونها او لتلك الذين خيل لهم بحكم تفكيرهم الضيق ان اخراجها إلى حيز الوجود واعادة طبعها وتشذيبها وتنظيمها على وفق العصر، امر غير صحيح، ويخفي بين طياته الشر والبلاء، فحالوا دون البقية ووقفوا حجر عثرة دون الوصول إلى الغاية، وهكذا باء ابناء الجيل الحديث بالخسران، ولم يتمكنوا من معرفة مقدار تلك الآثار، وأنواع ما حوته من الأدب والحكمة والعلم.

بقيت الحالة على هذه الصورة سنين طوالا وبقيت لهفة طلاب النهضة في ثورة عنيفة وشوق جارح لمعرفة تلك الآثار حتى قيض الله لها واحداً من زمرتها. فتمكن بهدوء وحذر ان يطلع على تلك الآثار، ويسجل القسم الأعظم منها في جميع مدن العراق بدقة وحسن تعبير، ويبدأ بالتحدث عنها في كبريات الصحف بما كانت لابحاثه اهمية لا تنكر وفائدة لا تقدر، إذ مكنت في الأقل. طلاب النهضة من معرفة مقدار وأنواع مؤلفي تلك الآثار الخطية، ليستطيعوا بعد هذا وحينما تنطلق الأفكار من عقال الجهل والتقليد الأعمى، أن يخرجوا تلك الآثار لعالم الواقع ويضعوها تحت متناول يد جميع ابناء المجتمع العراقي بصورة خاصة والعربي بصورة عامة.

هذه الخطوة الأولى التي قام بها مؤلف هذا الكتاب الأستاذ الكبير الباحث الشيخ علي الخاقاني الحميري الذي خدم النهضة الحديثة خدمة صادقة، ولكنه إذ قام بذلك فقد حضر الغير للخطوة الثانية وهي خطوة تسجيل الآثار المخطوطة بصورة رسمية، إذ لفت بما كتبه عنها نظر كثير من الغيارى اليها مما حملهم على تذكير مديرية الآثار القديمة -بصفتها- مسؤولة عن هذه الجهة بوجوب سن نظام يكفل ذلك التسجيل، ولقد سرت المديرية بذلك وسنت النظام المطلوب وأذاعت الغاية النبيلة من تسجيل ودعت مالكي الآثار المخطوطة بكل وسيلة أي وجوب تسجيل ما لديهم لئلا تبلى ويهمل ذكرها ويغفل اسم مؤلفيها، وتخسر الأمة مادتها، ولم

تكتف بذلك بل أوفدت الموظفين المختصين الى المدن التي تكثر فيها المخطوطات وفي مقدمتها النجف والموصل والبصرة بغية التسجيل.

ولكن هل تمت الغاية المرجوة... وهل استطاعت المديرية ان تسجل ولو نصف تلك الآثار وهل وجدت المساعدة المطلوبة من مالكيها اليوم؟

الواقع أن الجواب بالسلب فتلك الغاية النبيلة لم تتحقق ويا للأسف إذ لم تتمكن المديرية من تسجيل قسم صغير منها وسر ذلك عدم مساعدة مالكيها للمديرية، واعتقادهم بأن هذا العمل معناه سلبهم ملكيتهم.

والحق يقال أن شغفي بالآثار الخطية ورغبتي في تسجيلها باجمعها في هذا الوقت حتى يحين الوقت الذي يمكن فيه طبعها شيئاً فشيئاً هو الذي هداني للأتصال بحضرة الباحث الحميري في النجف الأشرف ومعرفة خططه وأهدافه في تسجيله المخطوطات والاطلاع على مؤلفاته في هذه الكتب الخطية.

لقد وجدت عنده أكثر من ثلاثة مؤلفات كبيرة تلتقي عند نقطة واحدة احدها هذا الكتاب وهو الآثار المخطوطة في العراق، وكتاب (تراجم أبطال القرون الهجرية) وكتاب (أعلام التأليف في الإسلام) وهذه المؤلفات لو قيس ما حوته بما نشره طوال سبع سنوات بالاستمرار لصار المنشور لا يوازي شيئاً مما لم ينشر بعد لعل القارئ يعجب كما عجبت انا بادئ الأمر من كيفية امكان تسجيل تلك المخطوطات وهي كما اشرت عند اناس تصعب معهم المخاطبة والأفهام ولكن سعيه اكثر من اثنتي عشرة سنة في هذا الشأن ومكانته الأدبية وأسلوبه الهادئ

الرزين وانعزاله عن العالم ومادته وخلوه من كل غاية مريبة كانت كلها من العوامل التي مكنته من ذلك ومما لا شك فيه ان مؤلفات هذا البحاثة ستبقى مُعَوّلَ الكتاب والباحثين وأهم مصدر لغواة الآثار وعشاق الفن وخير سجل يربطنا بالقرون الإسلامية المتقدمة وهي في الوقت نفسه الوقت لكل عالم واديب جهوده وتضحياته وخدمته للإنسانية والعلم خدمة صادقة غير مشوبة بدون المادة ولا ملوثة بأوساخ الأنانية والتبجج.

الاستاذ الفاضل المرحوم السيد جواد هبة الدين قال:

تعرفت على الشيخ علي الخاقاني في مدينة الكاظمية في صدر الأربعينيات باحثاً عن المخطوطات في مكتباتها واستقر به المقام في مكتبة الجوادين واذكر انه استنسخ العديد من المخطوطات التي عند الوالد وقد اهتم بصورة خاصة بكتاب (احكام المرجان في ذكر مشاهير المدن والبلدان) لأسحق بن حنين العبادي المتوفي سنة ٢٩٨هـ-٨٧٣م والنسخة مستنسخة من نسخة فريدة وعتيقة لأحد ملوك اليمن كما ذكر في صدر الكتاب كتبت له سنة ١٠٧٨هـ، ولا شك في ان ما استنسخه بخط اليد من أنواع المخطوطات المتبقية من مختلف المكتبات وما جمعه من فرائد الكتب ونفائس المخطوطات تعتبر ثروة فكرية وثقافية زاخرة كان الشيخ الخاقاني يتحدث عنها ببالغ الغبطة والاعتزاز.

الشيخ الجليل المرحوم جلال الحنفي قال:

كنت أرى الاستاذ الخاقاني وهو يطيل العكوف على المراجع والمضان الخطية النادرة يستخرج منها ما لم يستخرجه من دقائق

النصوص والمقالات التراثية ولولاه لضاع ذلك من ركام الضائعات فان المعنيين بمثل هذه المسائل ليسوا الكثرة من كل جيل بحيث إذا مات واحد قام مقامه أكثر من واحد، إن امر العلم والتأليف امر عظيم لا يقتحم دروبه إلا من لا يريد أن يؤثر العافية لنفسه. والشيخ الخاقاني وراق معاصر زود المكتبة العربية بنفائس المخطوطات النادرة التي كان رجال العلم والأدب احوج ما يكون إليها.

الأستاذ الفاضل سالم الالوسي قال:

كان الشيخ علي الخاقاني عالماً وباحثاً ومربيا جليلاً له الفضل الكبير في عالم المخطوطات وهو من الأوائل الذين دونوا وسجلوا وحافظوا وقطعوا الطريق على السراق واللصوص من ضعاف النفوس والمتاجرين باصالة حضارتنا وتراثنا، كما نسعد بلقائه والتزود بفيض علمه ومعارفه فهو من الباحثين الفضلاء واعلام الكلمة فقد كانت مكتبته ملتقى أهل العلم وارباب الفكر والأدب، كان منهجه منهج علمائنا الأوائل من المصنفين والوراقين، ومن خلال عملي في مديرية الآثار عرفت الكثير عن هذا العالم الجليل الذي خدم تراث الأمة والوطن، وعندما كنت امينا عاماً للمركز الوطني لحفظ الوثائق كنت الجأ اليه طالبا مشورته وتوجيهاته في العديد من المسائل التي لها صلة بالأحداث والوقائع التاريخية المعاصرة، فكان نعم الموجه ونعم الأستاذ الثقة فلم يبخل علينا بكل ما كنا نطلبه منه.

الاستاذ علاء محمد حسين الكتبي قال:

تعود علاقتي بالشيخ علي الخاقاني في مدينة الهندية (طويريج) عندما كان يزورها بين حين وأخر ويرتـاد مجالسها الشامخ وهـو مجلـس (آل القزويني) الذي يعتبر محفلاً لشعراء العراق وأدبائه وزعمائه وخطبائه في زمن المرحوم السيد الجليل العلامة هادي حميد القزويني، وذلك لغرض البحث والتنقيب عن الكنوز الدفينة وذات السلف إذ كانت في الدار مكتبة حافلة تحتوي على كتب خطية نادرة أكثرها بخط أصحابها فكان سريع الكتابة والتدوين وهذه صفة فريدة يحسد عليها.